بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى فى إبداعه الروائى

إعــــداد

مى جمال محمد محمود الشربينى

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

قسم اللغة العربية وآدابها

الكتاب : بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى فى إبداعه الروائى
إعداد : د. مى جمال محمد محمود الشربينى – كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"
البريد الالكترونى: justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com
تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨
الناشر: "العنـــوان" للنشر والتوزيع - الشارقة مويلح
ص.ب : ٨١٨١١ alenwan10@gmail.com
الناشر: دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر
تليفون : ٠٣/٤٨٦٠٠١٢
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٨٨٣٨/ ٢٠٢٠
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانونى
الترقيم الدولى : I.S.B.N 978 – 977 – 735 – 961 - 0
الغلاف:
تصميم وإخراج: خالد شعبان
الإشراف على التنفيذ: الأستاذ / احمد حافظ
الجمع والصف الالكترونى: وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ: خالد شعبان
التوزيع:
مكتبة ليلى: القاهرة– ش جواد حسنى – أمام بنك ناصر – متفرع من ش قصر النيل
تليفون: ٠١٠١٧٥٧٦١٥٩
مكتبة أكمل: الاسكندرية ١٨١/ ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى
تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

جامعة عين شمس
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم اللغة العربية وآدابها

بلاغة التعبير عن فكر السيد حافظ السياسى فى إبداعه الروائى

إعداد

مى جمال محمد محمود الشربينى

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
قسم اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ.د. حسن أحمد البنداري

أستاذ البلاغة والنقد الأدبى – كلية البنات – جامعة عين شمس

معاونة

د. زينب عبد الكريم أحمد

مدرس البلاغة والنقد الأدبى – كلية البنات – جامعة عين شمس

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

جامعة عين شمس

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

بلاغة التعبير عن فكر السيد حافظ السياسى فى إبداعه الروائى

اسم الطالبة : مي جمال محمد محمود الشربيني
الدرجة العلمية : الماجستير
القسم التابع له : اللغة العربية وآدابها
الكلية : كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
الجامعة : جامعة عين شمس
سنة التخرج : ٢٠١٢م
سنة التسجيل : ٢٠١٦م

التلخيص :

يُعنى هذا البحث بدراسة روايات الكاتب السيد حافظ التي تحتوي علي بعض الوقائع والأحداث السياسة الهامة، حيث احتوت هذه الروايات على محاور سياسية ثلاثة هي : محمور السياسة المصرية (الداخلية والخارجية) ومحور السياسة العربية ومحور السياسة العالمية.

وقد أفصحت هذه المحاور عن ثلاث ظواهر بلاغية قام الكاتب بتوظيفها داخل رواياته، وهى تتعلق بالتناص، والالتفات والإزاحة، ومن ثم فإن هذه الدراسة قد احتوت على ثلاث فصول :

الفصل الأول : عن "بلاغة التناص" ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عن "التناص التاريخى" ، وقد تناولت فيه عدة محاور، وهى : "التناص مع المقولات التاريخية"، و "التناص مع المذكرات السياسية"، و"التناص مع الأماكن التاريخية".

المبحث الثانى : عن " التناص الأدبي" ، ويشتمل على محورين وهما: " التناص مع الشعر"، و"التناص مع الحديث الشريف".

الفصل الثانى : عن " بلاغة الالتفات " وبه مبحثان :

المبحث الأول : عن "تحول الأفعال" وفيه تناولت "التحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي" ، و"التحول من الفعل الماضي إلى فعل المستقبل " ، وما عكسته تلك التحولات من تلوين في أشكال الزمن داخل الروايات، حيث نجد الكاتب تارة يرتد إلى الزمن الماضي،وتارة أخرى يستشرف المستقبل.

المبحث الثانى: عن " التحول الأسلوبي" ، وفيه درست "التحول من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي الطلبى"، بصورة المتعددة، وهي "الأمر، و"النهي"، و"التمنى"، و"النداء"، و"الاستفهام".

الفصل الثالث : عن "بلاغة الإزاحة" ويقع في مبحثين :

المبحث الأول : عن "بلاغة الإزاحة بحلم المنام".

المبحث الثانى: عن " بلاغة الإزاحة بحلم اليقظة".

وينتهى البحث بخاتمة، تظهر بها أهم النتائج التي توصلت إليها فى هذا البحث ، والتى تكونت بناءً على الدراسة الفاحصة للنصوص الروائية في ضوء الفصول السابقة ، بالأضافة إلى ثبت المصادر والمراجع التى استعنت بها لإتمام هذه الدراسة.

مستخلص : مى جمال محمد محمود الشربينى

بلاغة التعبير عن فكر السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى

ويهدف هذا البحث إلى دراسة الجانب البلاغي للأفكار السياسية التى احتوتها روايات السيد حافظ، حيث تنوعت تلك الأفكار لتبرز جوانب سياسية مختلفة، تنوعت ما بين السياسة الاجتماعية ، والسياسة الاقتصادية، والسياسة التاريخية.

وبالوقوف على النصوص الروائية نجد أن الكاتب قد وظف عدداً من الأساليب البلاغية للتعبير عن المضمون السياسي لرواياته، وهى: "التناص" (حيث اقتبس من الشعر، والقصة، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمقولات، والمذكرات الشخصية)، والالتفات (حيث استخدم التحول بين الأفعال الحاضرة والماضية والمستقبلية لإظهار المزج الزمني داخل الروايات، وكذلك استعان بالتحول بين الأساليب الخبرية والإنشائية)، وبلاغة الإزاحة (حيث نجده يوظف الحلم بشكليه، وهما "الحلم المنامي"، و"حلم اليقظة"، لإزاحة الواقع الرديء الذي تعيشه الشخصية، وتمني الوصول إلى واقع أفضل) ، فتلك الوسائل الفنية قد جاءت كاشفة عن الحالة الوجدانية للشخصيات الروائية، وذلك عن طريق الولوج إلى عالمها الداخلي ، وإبراز الخوالج التي تدور داخل نفوسها .

الشكروالتقدير

في البداية أود أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى من كان له فضل كبير في إتمام هذا العمل، أبى الروحي وأستاذي الجليل : الأستاذ الدكتور/ حسن أحمد البنداري، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بقسم اللغة العربية – كلية البنات جامعة عين شمس، على ما قدمه لى من نصائح، وإرشادات ، وملاحظات سديدة، ولم يبخل علي بعلمه الغزير الذي استفدت منه كثيراً، حيث أمدني بكتبه العلمية القيمة، وبالمصادر والمراجع التي دعمت هذا البحث، ولم يبخل علي بوقته الثمين ، فما لجأت إليه يوماً إلا وجدته خير مستمع لي، بالإضافة إلى توجيهاته العلمية التي ساعدتنى على إكمال البحث ، وتخطي جميع الصعوبات التي واجهتني في أثناء إعداده ، فضلاً عن تشجيعه ومساندته المعنوية لي ، حيث إنه زودني بالثقة ، وأتاح الفرصة لي لإبداء رأيي ، ونمي بداخلي روح الإإبداع، والمثابرة على تحمل مشقة البحث العلمي، فكان يرعاني كأبنه له دون كلل أو ملل، فكل هذه التوجيهات العلمية والمعنوية القيمة، كان لها أعظم الأثر في خروج هذا البحث ، وأطال الله فى عمره ، وبارك فى علمه ، وصحته ، ونفعنا به.

كما أتوجه بالشكر والثناء إلى د/ زينب عبد الكريم أحمد مدرس البلاغة والنقد بالكلية على ما قدمته لي من مساعدات وملاحظات مفيدة ، فجزاها الله تعالى عني خير الجزاء.

كما لا يفوتنى تقديم خالص التقدير والشكر الجزيل إلى الأستاذين الجليلين الذين قبلا تحمل عناء قراءة هذه الرسالة ومناقشتها وهما : أد. / سوسن ناجى رضوان ، أستاذ النقد الأدبى – كلية دار العلوم – جامعة المنيا ، أ.د/ طارق سعد شلبي ، أستاذ النقد الأدبى – كلية دار العلوم – جامعة عين شمس. فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وكذلك أتوجه بالشكر إلى كل من عاونني لإتمام هذا البحث وبالأخص العاملين في مكتبات جامعة عين شمس (كلية البنات، وكلية الآداب، والمكتبة المركزية بالجامعة) وجامعة القاهرة (كلية دار العلوم ، وكلية الآداب والمكتبة المركزية بالجامعة) ، ومكتبة الجامعة الأمريكية.

الباحثة

مي جمال محمد محمود الشربينى

مقدمة

تعد الرواية من الأنواع الأدبية الحديثة نسبياً، التي تعود جذورها الأولى في الأدب الأوروبي إلى الملحمة في القرن التاسع عشر، كما نجد جذورها في ملحمتى "الإلياذة والأدويسا" لهومبروس، بينما تعود نشاتها في الأدب العربي إلى القرن العشرين ، مع ظهور رواية "زينب" لمحمد حسنين هيكل عام ١٩١٤ م، التي سيطرت عليها الرؤية الرومانسية.

ونظراً لأن الرواية تعد من اهم الأجناس الأدبية التي تهتم بتصوير الواقع وما بشوبه من عواصف ، وتقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية ، لذلك اتجه معظم كتاب الرواية في المرحلة المعاصرة نحو "نقد المجتمع من اجل الإصلاح والنهضة والتقدم، من خلال تقديم نماذج إنسانية مأزومة ، تعكس حركة المجتمع ، وبعض قضايا الواقع "(١)

وقد انتمى الكاتب "السيد حافظ " إلى تلك المرحلة، حيث إن كتاباته تسعى نحو كشف مواطن السقوط في الواقع الاجتماعى، والسياسي، والاقتصادي، ومراكز التدهور في أوضاع المجتمع بشكل عام، فنجده يستلهم أحداث رواياته من المجتمع الذي يعيش فيه، وأحياناً يعود إلى التاريخ ليستوحي

---

(١) طه وادي (د)، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية ، طـ١، ١٩٩٦م، ص٧٩.

من الوقائع السياسية الماضية موضوعات رواياته.
وتتناول هذه الرسالة بالفحص روايات السيد حافظ، وهى :

مسافرون بلاهوية – ١٩٩٧م

نسكافيه – ٢٠١١م

قهوة سادة – ٢٠١٢م

كابتشينو – ٢٠١٣م

ليالى دبى شاى بالياسمين ٢٠١٤م (أ)

ليالى دبى شاى أخضر ٢٠١٥م (ب)

كل من عليها خان ٢٠١٥م

حتى يطمئن قلبى ٢٠١٧م

وقد ناقش الكاتب فى رواياته عدة قضايا سياسية تتعلق بمصر، والوطن العربى والشأن العالمي.

الباعث على الدراسة :

وقد كان وراء اختيار الباحثة لموضوع الدراسة عاملان ، هما :

- **العامل الأول : يتعلق بالجانب السياسي فى روايات الكاتب، والذي لم تخصص له دراسة منفردة متعمقة من قبل النقاد والبلاغيين من قبل، بل إن معظم البحوث قد تناولت الروايات بشكل عام، ونأت عن دراسة هذا الجانب، على الرغم من أهميته عند الكاتب، لما فيه من عرض ونقل لأهم الحداث السياسية التيي مرت بها مصر، ومر بها الوطن العربي ، وبعض دول العالم في فترات زمنية مختلفة، سواء أكان الكاتب قد عاصر جميع هذه الأحداث، ام اعتمد فى رصد بعضها على القراءة فى كتب التاريخ ، فقد استطاع تخليد هذه الأحداث بأسلوب أدبي، ونقلها للقراء من الأجيال القادمة الذين لم يعاصروا تلك الأحداث السياسية.**
- **العامل الثانى : يرجع إلى رغبة الباحثة في دراسة روايات السيد حافظ من الناحية البلاغية ، فبعد قراءة فاحصة للروايات وجدتها غنية بالظواهر البلاغية المتعددة التي تستحق الدراسة، مثل "التناقض" ، والالتفات فى الزمن، والأفعال، والأساليب المختلفة"،**

و"اللجوء إلى الحُلم لإزاحة الواقع"، فقد استطاع الكاتب من خلال هذا التنوع الأسلوبي البلاغي أن يسوق أحداث رواياته إلى القراء بصورة فنية، فكان توافر هذه المادة البلاغية الخصبة داخل الروايات خير باعث لي على دراستها، وخاصة أن تلك الروايات لم تخصص لها دراسة بلاغية متعمقة من قبل.

الدراسات السابقة :

لا توجد أي دراسة أكاديمية جامعية تناولت أعمال الكاتب الروائية، إنما وجدت بعض الكتب الأدبية التي تناولت بعض الزوايا النقدية داخل رواياته، ومنها دراسة "التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية : السيد حافظ نموذجاً" ، وهى من إعداد وتقديم د. نجاة صادق الجشعمى، وقد نشرها مركز الوطن العربى "رؤيا" عام ٢٠١٧ ، وهي دراسة تتكون من جزئين. وقد احتوى الكتاب بجزئيه على العديد من المقالات النقدية التي تناولت روايات الكاتب، وهذا يختلف عن دراسة الروايات من المنظور البلاغي الذي نحن بصدد إظهاره فى هذا البحث.

منهج الدراسة :

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تحديد خصائص الظواهر البلاغية الثلاثة، وتحليل النصوص

الروائية المختارة بعد القراءة المتأنية لها في ضوء تلك الظواهر، واستخلاص العديد من النتائج، والملاحظات التي تتضح من خلالها براعة الكاتب في توظيف هذه الظواهر للكشف عن دواخل شخصياته الروائية، فهذا الفحص قد ساعد على الوعي بالخصائص الفنية لتلك الظواهر البلاغية، ودورها في إضفاء معاني ودلالات جديدة للنص الروائى.

محتويات الرسالة :

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول ، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع ، وذلك كما يلي :

المقدمة : تتناول أسباب اختيار الموضوع، والباعث على الدراسة ، والدراسات السابقة ، والمنهج الموظف في هذا البحث ، ومحتويات الدراسة.

التمهيد : يحتوى أهم مصطلحات الدراسة التي تحتاج إلى توضيح.

وقد جاءت فصول البحث على النحو التالى :

الفصل الأول : عن بلاغة التناص" ، وهو يتشكل من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عن "التناص التاريخي" ويحتوى على ما يأتى:

أولاً : التناص مع المقولات.

ثانياً : التناص مع المذكرات.

ثالثاً : التناص مع الأماكن التاريخية.

المبحث الثانى : عن"التناص الأدبي " ويشمل على ما يأتى:

أولاً : التناص مع الشعر.
ثانياً : التناص مع القصة.
المبحث الثالث : عن "التناص الديني" ويندرج تحته ما يأتى:
أولاً : التناص مع القرآن الكريم.
ثانياً : التناص مع الحديث الشريف.
الفصل الثانى : عن "بلاغة الالتفات" ويتألف من مبحثين :
المبحث الأول : عن "تحول الأفعال" ويحتوى على محورين:
المحور الأول : التحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضى (الارتداد).
المحور الثانى : التحول من الفعل الماضى إلى فعل المستقبل.
المبحث الثانى : عن "التحول الأسلوبي" ويندرج تحته خمسة محاور.
المحور الأول : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الأمر.
المحور الثانى : التحول من السرد الخبري إلى صيغة النهى.
المحور الثالث : التحول من السرد الخبري إلى صيغة التمنى.
المحور الرابع : التحول من السرد الخبري إلى صيغة النداء.
المحور الخامس : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الاستفهام.
الفصل الثالث : عن "بلاغة الإزاحة" ويندرج تحته مبحثان :
المبحث الأول : عن "بلاغة الإزاحة بحلم المنام".
المبحث الثانى : عن "ابلاغة الإزاحة بحلم اليقظة" .
الخاتمة : يتم فيها عرض النتائج التي تم التوصل اليها من خلال البحث والدراسة.

التمهيد

قبل الخوض في هذه الدراسة لابد من الوقوف أولاً علي النقاط الرئيسية التي يبني عليها هذا البحث، ومن هنا نجد أن التمهيد يتأسس على التعريف بمصطلحى "البلاغة" ، و"الفكر السياسي" الواردين في عنوان الرسالة، بوصفهما مدخلاً للرسالة.

أولاً : تعريف البلاغة :

لقد ذهب البلاغيون إلى أن البلاغة تعني إدراك الغاية، والوصول إلى النهاية، وإيصال معني الكلام كاملاً إلى المتلقي سواء كان مستمعاً ، أم قارئاً – بإيجاز ، بشرط أن يتلاءم الكلام مع المقام الذي قيل فيه ، فيقال إن البلاغة : "مأخوذة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري. ومبلغ الشئ: منتهاه، والمبالغة في الشئ : الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"(١) ، كما حددها آخر بأنها "إصابة المعنى وحسن الإيجاز"(٢) ، ومن ذلك نجد أن البلاغة يقصد بها : "وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز ، وتأدية المعنى أداء

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، ت/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص١٢.

(٢) عبد العزيز عتيق (د)، ، علم المعاني، دار النهضية العربية ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨.

واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة ، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه، وللمخاطبين به"(١)

ثانياً : الفكر السياسي :

يعتبر الفكر السياسي أحد الفروع الأساسية للعلوم السياسية، والذي يضخم العديد من النظريات والأفكار والقيم، التي يستطيع من خلالها الفرد أو الجماعة التعبير عن الواقع السياسي، وتفسيره في مختلف الأزمنة والأمكنة. وبالنظر إلى الفكر السياسي نجده مرتبط بالدولة، حيث إنه نشاط فكري يهتم بظاهرة الدولة ويدرسها ويبحث في شئونها"(٢)، فمن خلاله يتم تنظيم حياة البشر ، ورسم بعض القوانين واللوائح التي تحفظ لكل إنسان حقه، دون تعدي طرف على الأخر، وذلك عن طريق التصور العقلاني، والتامل للواقع السياسي والاجتماعى القائم.

وقد تباينت حدود الفكر السياسي، واختلف الباحثون حول تحديد مفهوم واحد له، فمنهم من عرفه بأنه "كل أشكال التفكير والتأمل العقلي في الظاهرة السياسية المتجسدة عملياً في السلطة السياسية"(٣)، وعرفه آخر بأنه "هو أحد أشكال

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠.

(٢) عبد الرضا حسين الطعان (د)، موسوعة الفكر السياسي عبر العصو ، ابن النديم، الجزائر، ط١ ٢٠١٥م، ص ١٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤.

الأعمال الفكرية حول وضع الإنسان في المجتمع، والذي ساهم بقوة فى صنع الحضارات، فهو ينسق ويربط بين التمثلات أو الأفكار التي لم يكن بإمكان العقل، ولا يمكن له إلا أن يكونها عن الظاهرة الأساسية والجذابة التي تسمى السلطة، والتي وصفت صراحة أو ضمناً بالسياسة"([١])

وبالنظر إلى المذاهب والأفكار السياسية نجدها عديدة ومتنوعة، ما بين القديمة والمعاصرة، على سبيل المثال الفكر السياسي اليوناني القديم، والفكر السياسي عند أفلاطون وأرسطو، والفكر الليبرالي، والفكر الاشتراكى، والفكر اليساري، وغيرها العديد من الاتجاهات والأفكار السياسية.

والكاتب "السيد حافظ"[٢] ينتمى إلى الفكر اليساري ، وهو أحد الاتجاهات الفكرية السياسية المعاصرة، وهو يتميز بأنه

---

(١) جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي (من المدينة الدولة إلى الدولة القومية) ، ت/محمد عرب صاصيلا(د)، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٧.

(٢) السيد حافظ: كاتب مسرحي، وقاص، وروائي مصري، ولد بمحافظ الإسكندرية عام ١٩٤٨م، تخرج من كلية التربية جامعة الاسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦م، وعمل أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالاسكندرية من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٦م، كما عمل بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب من عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٧٦م، وعمل أيضاً بالعديد من المجلات، مثل "مجلة الشاشة"، والمغامرة ، و"أفكار" ، و"رؤيا"، و"صوت الخليج"، وكتب العديد من المسرحيات، وكتب مجموعة قصصية بعنوان "لك النيل والقمر"، وأيضاً كتب العديد من المسلسلات التليفزيونية والإذاعية، وروايات ثمانية ـ نحن هنا بصدد دراساتها في هذا البحث. وحصل على العديد من الجوائز، منها جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرح موجه للأطفال فى الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠، وحصل على جائزة التميز الإبداعي من اتحاد كتاب مصر عن منجزه الإبداعي عام ٢٠١٦.

"يرفض الواقع القائم، ويسعى إلى تغييره جذرياً واستبداله بواقع آخر أكثر تقدماً وازدهاراً"[1] فهو تيار تقدمي يدعو لتغيير الوضع القائم، والتقدم به نحو الأمام، ويتبنى مفهوماً أسياسياً، وهو العدالة الاجتماعية، لذلك يسعي لتغيير المجتمع إلى حالة أكثر مساواة بين أفراده، رافضاً تدخل التسلط الديني في الشئون السياسية. ومن هنا فإن الكاتب مؤمن بالاشتراكية، ويكره الرأسمالية، والإقطاع، والاستبداد السلطوي والديني والعسكرى.

وقد ظهر فكر الكاتب (السيد حافظ) اليسارى بمظاهره المتعددة داخل رواياته التى تقوم داخل هذه الدراسة على فحصها، وهى: "مسافرون بلا هوية" (١٩٩٧) ، و"نسكافيه" (٢٠١١)، و"قهوة سادة" (٢٠١٢) ، و"كابتشينو" (٢٠١٣)، و"ليالى دبى الجزء الأول: "شاى بالياسمين" (٢٠١٤) ، و"ليالى دبى الجزء الثانى: "شاى أخضر" (٢٠١٤، و"كل من عليها خان" (٢٠١٥)، و"حتى يطمئن قلبي" (٢٠١٧).

وقد احتوت تلك الروايات على محاور سياسية ثلاثة هى: محور السياسة المصرية (الداخلية والخارجية)، ومحور السياسة العربية، ومحور السياسة العالمية، فنجد أن تلك

---

(١) عبد الرضا حسين الطعان ، موسوعة الفكر السياسي ، ص ٦٠٣.

المحاور الثلاثة قد احتواها مضمون الروايات من خلال الأحداث السياسية المختلفة التي ناقشها الكاتب داخلها.

أولاً : محور السياسة المصرية ،ويظهر ذلك من خلال بعدين :

١- البعد الأول هو البعد الداخلي، ويتمثل في علاقة السلطة بالشعب، والتي تشمل العديد من المظاهر السياسية التي تبرز المعاناة التي مر بها الشعب المصري نتيجة قهر الحكام والاعتقالات، والانقلابات السياسية العديد على مر التاريخ، وقيام العديد من الثورات، واستشهاد الثوار نتيجة سوء معاملة بعض أفراد الشرطة لهم لقمع حرياتهم، فضلاً عن مظاهرات فئات أخري لتحقيق مطالبهم ورفع المعاناة عنهم، هذا بالإضافة إلى الاصطدام السياسي مع جماعات الإخوان المسلمين، ويضاف إلى ذلك الضغط على بعض المثقفين المنادين بالمزيد من حرية الرأي، الأمر الذي يجعل المواطن المصري يشعر بالاغتراب داخل وطنه فيفكر في الهجرة خارج الوطن. وقد عبرت الروايات عن الهجرة الفعلية والهجرة الفكرية للمواطن، وذلك للبحث عن غد أفضل.

٢- البعد الثاني هو البعد الخارجى ، ويتمثل في علاقة مصر بالدول الأخري العربية والأوروبية، حيث تناول علاقة مصر بالولايات المتحدة الأمريكية، وما تقدمه لمصر من

معونات سنوياً منذ توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩م، والتي تتمثل في المعونة الاقتصادية والعسكرية، في الوقت الذي كان فيه المصريون خارج اهتمام رأس المال الخليجي. ويتمثل هذا البعد أيضاً فى الحروب التى خاضتها مصر كحرب عام ١٩٦٧، وما نتج عنها من نكسة، وهزيمة أثرت في نفوس الشعب العربي، وحرب الاستنزاف ، وحرب عام ١٩٧٣م، فقد عمد الكاتب إلى تسليط الضوء على صراع مصر وإسرائيل ويرجع سببه إلى الصدام بين المصريين أيام الفراعنة، وبين بني اسرائيل في زمن سيدنا موسى عليه السلام.

ثانياً : محورالسياسةالعربية :

ويتمثل في بعض الحروب التي أشار إليها في رواياته، وهي الحروب التى قامت بين الدول العربية بعضها مع بعض، كالحرب بين الدولة اللبنانية وبين المقاومة الفلسطينية عام ١٩٨٢م، واحتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠م، والتي أدت إلى حرق الجيش العراقي ما يقارب من ١٠٧٣ بئر نفطي قبل إنسحابه من الكويت، كما يرصد الاتب أيضاً الصراع بين الفلسطينيين وبين بعضهم، والذي تمثل في الصراع بينمنظمة فتح وبين منظمة الجبهة الشعبية.

ثالثاً : محور السياسة العالمية :

ويتمثل في الحروب التي قامت بين الدول الأوروبية، والتي أشار إليها في بعض رواياته، الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، وحرب فيتنام التي جرت بين أمريكا وكوريا وحلفائها من جهة وبين فيتنام والاتحاد السوفيتي والصين من جهة أخرى.

الفصل الأول

بلاغة التناص

التمهيد:

أصبح لمصطلح التناص أهمية كبيرة في الأدب المعاصر، وأجريت حوله دراسات كثيرة، حيث إنه يعد من أكثر الوسائل الفنية التي حفلت بها الأعمال الشعرية والنثرية، كما أن هذه الظاهرة الفنية لها أثر كبير، حيث يعاد من خلالها اكتشاف الماضى وتوظيفه للتعبير عن الحاضر، وذلك يتحقق من خلال تداخل أو تفاعل نص الكاتب مع عدة نصوص متنوعة، وترابطها داخل العمل الأدبي، وذلك من خلال "تأثر النص المنتج بالسياق الثقافي السابق على إنشائه"[١]، بمعنى أن التناص يعتمد في أساسه على الخلفية المعرفية أو الثقافية المستقرة في ذاكرة الكاتب، بحيث يتم استدعاؤها عند كتابة العمل الأدبي سواء بوعي من الكاتب أو دون وعي، ويقوم بترتيبها وتنظيها لإيصال فكرته، ومن ثم ينشأ نص جديد مترامي الأطراف يتميز بالانفتاح والثراء.

ومصطلح التناص كمادة لغوية يعود إلى الجذر اللغوي "نصص"، وقد جاء في المعاجم العربية مشيراً إلى معان متعددة ومتقاربة لمفهوم التناص : "نصص: النص : رفعك الشئ. نص الحديث ينصه نصاً : رفعه. وكل ما أظهر فقد نص

---

(١) عزة شبل محمد (د)، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط٢ ، ٢٠٠٩م، تقديم د/ سليمان العطار، ص٩٨.

، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بضع، انتص الشىء: ارتفع واستوى واستقام ، تناص القوم : ازدحموا"[١]. والازدحام يعد أقرب دلالة لمصطلح التناص بمفهومه الحديث، لأنه يدل على التراكم والتداخل والتفاعل بين النصوص المتعددة، وهذا يتفق مع معنى التناص اصطلاحاً، فالتنص هو : تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[٢].

ومصطفح التناص بدأت بذوره الولى كمصطلح نقدي في النقد الغربي، من خلال مجهودات عدة علماء اختموا بدراسة علاقة النصوص بعضها مع البعض، فقد "ولد مصطلح التناص على يد جوليا كريستيفا عام ١٩٦٩، التي ايتنبطته من "باختين" في دراسته لدستوفيفسكي، حييث وضع تعددية الأصوات البوليفونية والحوارية(الديالوج) دون أن يستخدم مصطلح التناص، ثم احتضنته البنيورية الفرنسية، وما بعدها من اتجاهات سيميائية، وتفكيكية في كتابات كريستيفا، وورولان بارت، وتودوروف، وغيرهم من رواد الحداثة النقدية، حيث ترى "جوليا" رائدة مصطلح التناص أن كل نص عبارة عن

(١) ابن منظور، لسان العرب ، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، ص ٩٧، وانظر المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ص ٩٢٦.
(٢) محمد مفتح ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢م، ص ١٢١.

فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحول لنصوص أخرى"(١)، كما اشارت في أثناء حديثها عن الفضاء النصي إلى أن المدلول الشعري "يميل إلى مدلولات خطابية عديدة داخل القول الشعري، وهكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشعري، تكون عناصره قابلة للتطبيق في النص الشعري الملموس، هذا الفضاء النصي سنسميه فضاء متداخلاً نصياً"(٢).

بعد ذلك تعددت مصطلحات التناص في النقد الحديث، فـ"بعدما قدمت جوليا هذا المصطلح للدراسات النقدية توالت الأبحاث المرتبطة بهذا المفهوم، على الرغم من تعددية المسميات، فهو تخارج نصي لدى"يوري لوتمان"، وتحويل أو تمثيل عند "لوران جييني"، أما "جيرار جينيت"، فقد أطلق عليه تسميه التعالي النصي، أو التداخل النصي"(٣).

وعلى الرغم من أن التناص مصطلح نقدي حديث المنشأ إلا أن له جذورًا في النقد العربي القديم ، "فقد لاحظ العلماء بالشعر هذه الظاهره وتناول، وتناولوها بالبحث والتقصي

---

(١) محمد عزام ، النص الغائب (تجليات التناصفي الشعر العربي)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١. ٢٠٠١م، ص ٢٨ ، ٣٠.

(٢) جوليا كريسطيفا، علم النص، ت /فريد الزاهي، دار توبقال الدار البيضاء ، ط٢، ١٩٩٧م، ص٧٨.

(٣) حاتم هالصكر، ترويض النص (دراسة للتحليل النصى فى النقض المعاصر: إجراءات ومنهجيات)،الهيئة المصرية العامة

والموازنه، وأطلقوا عليها مصطلحات عديده تشير الى مصطلح التناص"[١] ومن هذه المصطلحات النقدية القديمة "الاقتباس " و "التضمين " و"الاحتذاء" و"الأخذ "، وغيرها الكثير فقد ورد لابن طباطبا في كتابي عيار الشعر تحت عنوان "المعاني المشتركة وشروط تناول الشاعر لها لكي تظهر باحسن كسوه " ما يلي : " وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في احسن من الكسوة التي عليها لم يُعب؛ بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه ويحتاج من سلك من سلك هذه السبيل الى إلطاف الحيلة، و تدقيق النظر في تناول المعاني و استعارتها ، وتلبيسها حتى تخفي على نقابها و البصراء بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها"[٢].
أما عبد القاهر الجرجاني فقد ظهر عنده تحت مسمى الاحتذاء ، فقال : "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعرُ في معنى له وغرض أسلوباً، و"الأسلوب" الضرب من النظم والطريقة فيه = فَيَعْمِدَ شاعرُ آخر إلى ذلك "الأسلوب" فيجىء به في شعره فيُشبه بمن يقطع من أديمه نعلًا على مثال نعل قد قطعها صاحبها ،

---

(١) انظر حسن البنداري (د) ، الصنعة الفنية في التراث النقدي ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٨١ : ١٠٨.
(٢) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ت/ عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٧٩، ٨٠.

فيقال : "قد احتذى على مثاله"(١).

وقد تناول التناص أبو هلال العسكري في كتاب "الصناعتين"، وأطلق عليه حسن الأخذ؛ فقال : " ليس لأحدٍ من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم – إذا أخذوها – أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويورِدوها في غير جليتها الأولي، ويزيدوها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال جليتها ومعرضها ، فذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها، ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطق اظفلل بعد استماعه من البالغين.... وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله، أو أخذه فأفسده، وقصر فيه عمن تقدمه، ورما أخذ الشاعر القول المشهور ولم يبال"(٢).

أما االتضمين، فقد تناوله ابن الأثير فى كتابه "المثل اسار في أدب الكاتب واشاعر"، فقال : "وهو أن يضمن اشاعر شعره والناثر نثره كلامًا آخر لغيره، قصدًا للاستعانة علي تأكيد

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، القاهرة، د.ت، ص ٤٦٨ ، ٤٦٩.

(٢) أبو هلال العسكرى ، كتاب الصناعتين، ص٢٠٢، ٢٠٣.

المعنى المقصود"[١]، أما الاقتباس فهو" أم يأخذ الشاعر شعرًا من بيت شعري بلفظه ومحتواه"[٢].

وبعد بعض النقاد أن كلًّا من الاقتباس والتضمين هما أقرب الأشكال لمصطلح التناص، حيث إن التناص هو "أن يضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكاراً أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس ، أو التضمين، أو التلميح ، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتمتزج فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[٣].

ويتضح مما سبق أن مفهوم التناص قد اتسع مؤخرًا ، وتعددت الآراء حوله، مما أدى إلى تنوع ألوانه وأنماطه، فظهر التناص الأدبي، والتناص الديني، وكل لون من ألوانه قد تشعب إلى صور مختللفة، كما سيظهر من خلال البحث.

ونجد أن التناص الفني له دور كبير في الأعمال النثرية والشعرية بشكل عام، وفي الروايت موضع الدراسة بشكل خاص، حيث استطاع الكاتب من خله أن يسلط الضوء على العديد من القضايا التاريخية والسياسية التي حدثت في الواقع،

---

(١) ضياء الدين بن الأثير، المثل اسائر في أدب الكاتب واشاعر، ت/محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى ابابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١ ،ج٢، د.ت، ص٣٤٤.
(٢) محمد عزام ، النص الغائب (تجليات التناصفي اشعر العربي) ، ص ٤٤.
(٣) احمد الزغبي (د)، التناص نظريًا وتطبيقيًا ، مؤسسة عمون، ط٢ ٢٠٠٠م ، ص١١.

معتمداً صعلى بعض النصوص الدخيلة على النص الأصلي، والتى تقوم بتوثيق هه الأحداث، وتساعد على إبراز المحتوي الفكري والوجداني الموجود داخل الروايات، كما أن التناص يسهم في استخلاص العبرة من التجارب الحياتية السابقة، ويعيد لنص القديم حيويته، حيث إن له دورًا كبيرًا في إحياء التراث ، ودمج الماضي في الحاضر، مما يؤدي إلى ظهور النص القديم في قالب جديد يتميز بدلالات وإيحاءات جديدة، وذلك في سبيل تجديد الأب وتطوره، حيث إن "وجود التناص يعنى أن فضاء رحبًا من الأدب ععلى الأدب ينفتح في وجه القارئ الفضولي والناقد"(١).

وقد اعتمدت الروايات السياسية للسيد حافظ على وسيلة التناص بألوانه المختلفة، ومن ثم يمكن تقسيم ها الفصل إلى ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول "التناص التاريخي"، أما المبحث الثاني فسوف يتناول "التناص الأدبي بصوره المتعددة"، والمبحث الثالث يختص "بالتناص الديني".

(١) محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٨م، ص١١٦.

المبحث الأول
التناص التاريخى

لقد تعددت الأحداث التاريخية في روايات الكاتب، وكأنه يهدف إلى إعادة قراءة التاريخ وكتابته داخل قالب فنس روائى، وقد لجأ الكاتب إلى أداة فنية لتساعده على ذلك، ألا وهي "التناص التاريخي"، التى تعمق الحدث وتغذيه، وتساعده على ربط الماضي بالحاضر ، وإبراز المحتوى الفكري والسياسي داخل الروايات، متخذاً من الأحداث والشخصيات التاريخية إشارات كثيرة، يستطع من خلالها تسليط الضوء على الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمر بها البلاد، سواء على المستوى الداخلي ام الخارجي، لذلك يعد التناص التاريخي من أثرى أنواع التناص، ويقصد به "تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للرواية، تبدو منسجمة لدى المؤلف مع السياق الروائي أو الحدث الذي يرصده ويسره، وتؤدي غرضًا فكريًا أو فنيًا أو كليهما معًا"(١).

وقد انقسم التناص التاريخى فى الروايات إلى ثلاثة أنواع، التناص مع المقولات، والتناص مع المذكرات، والتناص مع الأماكن التاريخية.

---

(١) أحمد الزغبى (د) ، التناص نظريًا وتطبيقيًا ، ص ٢٩ ، ٣٠.

أولاً : التناص مع المقولات :

ويقصد بها العبارات الشخصية التى قيلت بواسطة شخصيات متعددى، مثل الشخصيات السياسية، ورجال الدين، والفلاسفة، والكتاب، والفنانين، والمؤرخين وغيرهم الكثير ، وتحمل في طياتها مدلولًا سياسيًا ، أو لها هدف سياسي، وقد تناص الكاتب مع هذه الأقوال من اجل تعميق الحدث السياسي ، والتعبير عن وجهة نظر شخصياته الروائية حيال الأوضاع السياسية التي تدور من حولهم ، وهو ما وضح في رواية "قهوة سادة" التى تناص فيها الكاتب مع مقولتين لكل من الإمام "على" رضى الله عنه، والفيلسوف "أفلاطون" ، قاصدًا إلقاء اللوم على الحكومات العربية المستبدة التي قهرت شعبها ، وظلمته، وسرقت أمواله، وقتلت حريته، وجعلته لا يشعر بالأمان داخل وطنه، بل انتابته حالة من الإحباط العميق نتيجة شعوره بالغربة داخل وطنه وبين أهله، ولك على نحو ما نرى في ذلك النص :

" آه يا كاظم.. الحكومات العربية نجحت فى جعل المواطن العربي يكره وطنه وأرضه ويبحث عن وطن آخر له.. وطن آخر.. في أوروبا أو أمريكا... وأنت يا كاظم واحد منهم... يقول الإمام على رضي الله عنه : "الفقر فى الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن... نحن العرب سيئو المستوى... يؤمن

بقول أفلاطون من يعزف عن المشاركة في الحياة السياسية، يستحق العقاب بأن يحكمه جاهل، أو لا يرعى شئونه، ويتجاهله ديكتاتور... ونحن العرب هكذا ..."[١]

يشعر كاظم بالألم والحسرة على ما وصل إليه حاله ، وتتردد في ذهنه فكرة الهروب من وطنه نتيجة كرهه له ، وإحساسه بالغربة داخله، بسبب فساد الحكومات وضياع الحقوق. وهنا نجد الكاتب قد تناص مع مقولة الإمام علي رضي الله عنه "الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن"، فهي مقولة إنسانية سياسية، وواقعية، فقد وصف الإمام علي رضى الله عنه الفقر في الوطن بأنه حالة من حالات الغربة، وعلى الرغم من ان الإمام "عليًا" كان يقصد من مقولته الفقر المادي الذي يجعل الفرد يشعر بالغربة داخل وطنه لأنه لا يملك مالًا يسد حاجته فيضطر للجوء إلى الغربة الحقيقية ألا وهي الهجرة خارج وطنه بحثًا عن الرزق .. لأن الحاصل على الرزق يمتلك وطنًا حتى لو عاش بين الغرباء.. فإنه لا يختزل الفقر هنا في الجانب المادي فحسب ، بل يتعداه إلى الجانب المعنوي المتمثل في الكرامة الإنسانية ، والمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين ، وتكافؤ الفرص والعدل، وهذا ما أظهره التناص ، فما فائدة الوطن إن كان لا يحفظ حقوق المواطن وكرامته.

---

(١) رواية قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢٠١٢م ، ص ٢٩.

وقد تناص الكاتب أيضًا في نفس النص مع مقولة الفليسوف أفلاطون : " يعزف عن المشاركة في الحياة السياسية يستحق العقاب بأن يحكمه جاهل ، أو لا يرعي شئونه ويتجاهله ديكتاتور" ليوضح بذلك أن العرب أخطأوا فى حق أنفسهم حينما تهاونوا في حقوقهم، وتركوا أمرهم في يد من يحكمونهم دون رقابة أو مساءلة، فتركوا الحكام يعبثون في الأرض فسادًا، يهينون كرامتهم، ويسرقون أموالهم وأحلامهم، وكأنه يقصد بذلك تنمية الوعي السياسى لدى المجتمع، من اجل المشاركة الفعالة وذلك من خلال تناصه مع هذه المقولة.

وهنا نجد أن التناص مع المقولتين قد قدم صورة واضحة عن أحداث الماضى ، ووظف ذلك لفهم الحاضر، فعلى مدار عقود تحكمنا منظومة فاسدة تحكمت بمقادير الحكم، كان نتاجها الفقر والمرض ، والغربة التي نعيشها الأن، سواء داخل الوطن أم خارجه، فمع اختلاف الزمان تبقى الغربة للبحث عن مستقبل أفضل وحياة آمنة هي الرابط بين كل الأزمنة، كما أن التناص أظهر الخلفية السلبية – عند كل إنسان عربى – القائمة على فكرة إدانة الحكومات العربية، وظههر ذلك من خلال بطل الرواية كاظم وما يشعر به داخل نفسه ، وإدانته للحكومات العربية لما يشوبها من فساد، ومع ذلك فهو يشعر

في نفس الوقت بأنه لا فائدة من المشاركة في الحياة السياسية.

ويستمر الكاتب في إدانة الحكومات العربية، ويتهمها بالظلم والطغيان والفساد على مر العصور التاريخية المختلفة، وذلك من خلال تناصه في الرواية نفسها (قهوة سادة) مع مقولة أخرى للفيلسوف "أفلاطون" ذهب فيها إلى أن الطاغية أو المستبد ذئب يأكل اللحم البشرى، ويستعذب الدم، ويتضح ذلك من خلال النص التالي :

" قدم عبد الناص جثة عبد الحكيم للشعب، كي يدفن غضبهم من النكسة في قبر المشير عبد الحكيم عامر.. دعا ابن عباد القاضي (أحد حكام الأندلس وأمرائها) كل حكام الإمارات في الأندلس في الحمام.. بعد أن بنى حمامًا عجيبًا ، ودعاهم للغداء ثم للاستحمام في الحمام الجديد الفاخر.. وشرب القهوة السادة هناك، وأثناء الاستحمام أغلق عليهم الباب بالطوب والخشب.. وجعلها مقبرة جماعية، وكتب على المقبرة هنا يرقد أمراء الأندلس الذين سببوا الفرقة والتفرقة.. قام محمد على في مصر بنفس الشيء عندما دعا المماليك في القلعة، وأطلق النار عليهم جميعاً .. نفى عبد الناصر الرئيس محمد نجيب في فيلا فى ضواحى القاهرة (المرج) واستمر السادات فى نفيه كذلك .. قام صدام حسين بالتخلص من رفاق حزب البعث فى

مذبحة جماعية بحجة الخروج والتآمر على نظام الحزب.. الطغيان لا يعرف جنسية أو هوية ، الطغيان لا يعرف عنونًا .. أنا أكره الظلم والطغيان سيدتي....

قالت وهى تتمايل : الناس غلابة.. شعبنا غلبان يا فتحى.

- شعبنا تحول إلى ذئاب ، يقول أفلاطون إذا ذاق المرء قطعة من لحم الإنسان تحول إلى ذئب ، وشعبنا أكل لحم الإنسان، اكل أهله وأصحابه في الشدة المستنصرية.. تحولنا إلى ذئاب"(١)

لقد تناص الكاتب في هذا النص مع نظرية أفلاطون :

" إذا ذاق المرء قطعة من لحم الإنسان تحول إلى ذئب ، ومن يقتل الناس ظلمًا وعدوانًا ، ويذق بلسان وفم دنسين دماء أهله ويشردهم ويقتلهم، فمن المحتم أن ينتهي به الأمر إلى أن يصبح طاغية ويتحول إلى ذئب..."(٢) ، وذلك ليوضح الظلم والقهر والغدر الذي تعرض له بعض الأشخاص على يد الحاكم خلال تاريخنا الطويل، فالحاكم الذي يسفك دماء من يهددون بقاءه فى السلطة وتفرده بها حتى لا يتآمروا عليه، يشبه الذئب الذي يأكل لحم أخيه، ويمثل لذلك بما حدث في الشدة المستنصرية، فنتيجة غياب مياه نهر النيل بمصر في نهاية

---

(١) رواية قهوة سادة ص ٧٨.

(٢) إمام عبد الفتاح إمام (د)، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي) عالم المعرفة ط١ ، د.ت، ص ٧٥.

عصر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله لمدة سبع سنوات، تصحرت الأرض وحدثت مجاعة بمصر، ولجأ الناس إلى أكل الميتة، وأخذوا بعد ذلك في اكل الأحياء. وتوضح المقولة أن الظلم ليس مقصورًا على ظلم الحكام لمن ينازعونهم على السلطة فحسب، بل امتد هذا الظلم إلى الشعب أيضًا ، فالظلم أصبح في حياتنا، وتفكيرنا، وسلوكنا، وتعليمنا، وإرادتنا، وأصبحنا نعيش في فوضي جعلتنا نظلم بعضنا بعضًا، وهذه الفوض أدت إلى تأخرنا فى كافة المجالات الفكرية والعليمة والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية.

وهكذا فالتناص مع مقولة أفلاطون كشف عن المشاعر الذاتية لبطل الرواية "فتحى خليل رضوان" ، فهو يشعر بالظلم داخل مجتمعه ، سواء اكان هذا الظلم من الحكام، أم من أفراد الشعب المحيطين به ، كما أنه يشعر بالحزن الشديد على وطنه الذي هزم في نكسة ١٩٦٧ ، ويرى أن الظلم والطغيان ، والفوضى من أهم الأسباب التى أدت إلى الهزيمة، وموت آلاف المصريين في الصحراء دون أن يحاربوا.

ولكن على الرغم من حالة الإنكسار والظلم التي يعيشها المصريون، إلا أنه شعب قوي لا يستسلم أبدًا للهزيمة ، وقادر على الانتصار ، فهم دائمًا وأبدًا خير أجناد الأرض ، وهذا ما أوضحته مقولة "الحجاج بن يوسف الثقفي " التي تناص معها

الكاتب في الرواية نفسها ("قهوة سادة") ، حيث نجد فتحى رضوان يتذكر ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي لطارق بن عمرو ، فيقول : " قال الحجاج بن يوسف الثقفي لطارق بن عمرو، لو ولاك أمير المؤمنين أمر مصر فعليك بالعدل، فهم قتلة الظلمة ، وهادمي الأمم ، وما أتي عليهم قادم بخير إلا التقهموه كما تلتقم الأم رضيعها ، وما أتى عليهم قادم بشر ، إلا أكلوه كما تأكل النار أجف الحطب ، وهم أهل قوة وصبر وجلدة وحمل، ولا يغرنك صبرهم ولا تستضعف قوتهم، فهم إن قاموا لنصرة رجل ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه ، فاتق غضبهم ، ولا تشعل نارًا لا يطفئها إلا خالقهم، فانتصر بهم فهم خير أجناد الأرض ، واتفق فيهم ثلاثًا :

١- نساءهم فلا تقربهم بسوء وإلا أكلوك كما تأكل الأسود فرائسها.

٢- دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك .

٣- وهم صخرة في جبل كبرياء الله تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله .. كيف عرف الحجاج المصريين ... نحن شعب متدين منذ فجر التاريخ ، وبيننا وبين الله علاقة خاصة"(١).

فالتناص مع هذه المقولة أظهر طبيعة الشعب المصري التي لم ولن تتغير على مر العصور، ومع اختلاف الأزمات

---

(١) رواية : قهوة سادة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢٠١٢ ، ١ ، م، ص ١٤٨.

السياسية التي مرت بها مصر، فقد صدق الحجاج بن يوسف الثقفي فى وصفه لمصر وأهله فى وصيته لطارق بن عمرو حين صنف العرب، فالشعب المصري شعب عنيد وقوي لا يعرف الهزيمة ، ولا يستطيع أى ظالم أن يجور على حق من حقوقه ، فما دخل عدو في عناد مع هذا الشعب إلا وقد خاب وخسر.

كما تناص الكاتب مع المقولات الشخصية في رواية " كابتشينو" مستمرًا فى البحث عن الديمقراطية اخل وطنه ، وعرض قضية الظلم ، مسلطًا الضوء على المحنة التي مر بها المثقفون فى عهد الرئيس "محمد أنور السادات" ، وهو ما وضح في النص التالى :

" السادات قال لنا الديمقراطية، وضحك علينا خدعنا.. الخدعة كبيرة وتحول المثقفون إلى جواسيس على بعضهم لأمن الدولة وكتبوا عن بعضهم بعض.. إن ٩٩% من المثقفين خونة فما بال الشعب الذى يخون نفسه كل لحظة وكل يوم، وخان نفسه سبعة آلاف عام.. أشعر أنى أبحث عن وطن أو وطن يبحث عنى لحظة الغياب.. أنا لست فى دهشة ولا استغراب مما يدور.. قال لى محفوظ عبد الرحمن صديقى ذات يوم أنت فى عصر الخيانة بالمجان.. ركبت الباص شغل السائق الكاسيت شريط الشيخ كشك واستمعت الشيخ كشك وهو يقول بلهجة

ريفية: لو تكلمنا عن عيوبنا فى الريف أو المدينة نتكلم كلام يتكتب فى مجلدات احنا اللى اخترعنا الكذب فى العالم.. الواحد فى وشك يقولك كلامك مظبوط تدير وتمشى يلعن أبوك ويسفه فى أفكارك ليه؟؟ ليه بنعمل فى بعض كده؟ احنا مسلمين واحنا مصريين لازم نحب بعض ونتطهر نبطل نكذب مش معاكم معاكم.. وعليكم عليكم..

ضحكت كثيراً على ما يقول الشيخ كشك.. كم هو رائع هذا الشيخ أصاب كبد الحقيقة"(١).

يتحدث الكاتب في هذا النص عن قضية الخيانة بمفهومها العام ، فتحدث عن خيانة الحاكم لوطنه وللمحكومين، حيث وعدهم بحكم ديمقراطي ولم يوف بوعده، فعلى الرغم من انجازات الرئيس السابق "أنور السادات" في إدارة حكم مصر، وفي حرب ١٩٧٣ إلا أنه بعد النجاح في العبور عندما قام بتوقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل عام ١٩٧٩، وعمل على سيادة سياسة الانفتاح ، إدى ذلك إلى غضب بعض المثقفين ، خوفاً وقلقًا على مستقبل مصر، فاتبع سياسة قمع الحريات، واعتقل عددًا كبيرًا من المثقفين ، وأغلق صحفهم ، ورغم ذلك فهناك بعض المثقفين الذين أصروا على الاستمرار في النضال داخل الوطن ، من أمثال "نجيب محفوظ" و"يوسف إدريس" و

(١) رواية كابتشينو ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٣ م ، ص ١٩٨.

"جمال حمدان" و"فتحى رضوان"، و"حلمى مراد" ، وغيرهم الكثير، كما أبرز النص قضية انقسام المثقفين ، بعضهم كان مؤيدًا لهذه السياسة ، والبعض الآخر كان رافضًا لها ، مما ادى إلى تآمر كل طرف على الآخر ، كما أوضح النص فكرة خيانة الشعب لنفسه ، ويقصد بذلك خوف الشعب وكوته عن حقوقه.

وقد تناص الكاتب في هذا النص مع مقولة "الشيخ كشك" التي يتحدث فيها عن داء شديد يصيب بعض البشر، وهو الكذب والرياء ، وذلك ليظهر المشاعر الجدانية لبطل الرواية فتحى خليل رضوان" ، فهو محب لوطنه ، باحث دائمًا عن الأمان داخله فلا يجده، كما أنه يشعر بالخوف عليه، وعلى مستقبله، ويتمنى أن يراه وطنًا كاملًا خاليًا هو وشعبه من العيوب، لأنه يستحق أن يكون كذلك ، كما أنه من كثرة ما يراه ويمسعه أصبح يشعر بعدم الثقة في الناس المحيطين به ، كما أن تلك المقولة جاءت بمثابة وسيلة تأكيديه لما أشار إليه محفوظ عبد الرحمن صديق فتحى رضوان – بطل الرواية – بأن الخيانة أصبحت فى عصرنا صفة منتشرة لا يخجل منها من يتصف بها.

كما ظهر هذا النوع من التناص مرة أخرى فى رواية "ليالى دبى : شاء بالياسمين" ، وذلك عندما تناص الكاتب مع مقولة

"جمال الدين الأفغاني" ، ليوضح حالة استسلام المصريين للخوف، وكأن الخوف أصبح سمة متأصلة في نفوسهم من كثرة ما مروا به من أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية ظالمة على مر التاريخ ، وذلك كما يتضح في النص التالى:

" كانت أول أيامك فى الإمارت مرة.. لا مكان لك للنوم إلا مع العزاب كل عشرين رجلا في شقة كالسردين.. وتنتظر دورك للدخول للحمام.. آه.. كنا خمسة في الحجرة صرخ الشاب السوري: "فلوسي اتسرقت من المحفظة".. اغلقوا باب الشقة وبدأ التفتيش.. البعض ذهب للدوام (العمل).. فتشوا الحقائب والدواليب الخاصة بالغائبين.. وجدوا الملابس المسروقة في حقيبة شاب من شمال أفريقيا ولم يجدوا النقود.. ربما كان تونسيًا او مغربيًا او جزائريًا.. قلت دعوه يرحل من الشقة لا تسلموه للشرطة ربما يسجن ويضيع مستقبله وكفاية يقف أمام الجميع والمسروقات في حقيبته التي كان عليها قفل وكسر.. كان مشهدا مهيبا قام الشاب السارق بالزعيق والشتم بالفرنسية فأخذ علقة ونزل.. كان المصريون في الشقة يرتعدون كالعبيد، خائفين..

وتذكرت قول جمال الدين الأفغاني:

(أنتم يا معشر المصريين قد نشأتم فى استعباد، وربيتم في حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة

حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسوموكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون)"[١].

يصف الكاتب في النص شعور بطل روايته "فتحى خليل رضوان"، وشعور زملائه المصريين الذين يشاركونه غربته، حيث يقيمون معه في دولة الإمارات ، فجميعهم كانوا يشعرون بالخوف الشديد من أن توجه لهم تهمة سرقة الشاب السوري، وينتهي بهم الأمر إما بالسجن ، أو بالترحيل من البلاد التي هربوا إليه بحثًا عن ذاتهم، ولقمة عيشهم ، هاربين من الفقر الذي يعصف بجموع الشعب.

وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة "جمال الدين الأفغاني" التي قيلت في الفترة الصعبة التي مرت بها مصر في عهد "الخديوي إسماعيل" ، فعلى الرغم من أن مصر حققت في بدية عصره قفزة كبير فى الزراعة والصناعة، إلا أنه بسبب إسرافه ، ورغبته في حصر الحكم فى ذريته ، دخلت مصر في أواخر عصره في أزمة تراكم الديون، والتدخل الأجنبي ، وزادت سخرة الفلاحين، وساءت أحوال الموظفين ، ووقعوا تحت استبداد الموظفين الأجانب ، كما تم انتزاع أراضى

---

(١) رواية : ليالي دبى الجزء الأول "شاي بالياسمين " ، مركز الوطن العربي، رؤيا ، ط١، ٢٠١٤م ص ١٢٦.

المصريين لسداد الديون التي تراكمت على مصر، ومن هنا بدأ النشاط السياسي لجمال الدين الأفغاني عن طريق تأسيس الصحافة السياسية ، التى كانت تدعو المصريين إلى الثورة في وجه الاستبداد.

وكان الكاتب استطاع من خلال تناصه مع هذه المقولة الغوص داخل نفس بطل روايته "فتحى رضوان" كنموذج للشباب المصرى، لإبراز ما يشعر به من اختناق بسبب الاستبداد والأوضاع الظالمة التي يحيا فيها المصريون على مر العصور المختلفة، وتأثير هذه الأوضاع على حالتهم النفسية، فهم دائمًا يشعرون بالخوف على مستقبلهم ، ومستقبل وطنهم، كما أن بعضهم يفضل دائمًا الهروب بحثًا عن ذاته بدلاً من أن يطالب بحقوقه فى وطنه، وعلى الرغم من ذلك الهروب إلا أنهم يجدون الخوف يلاحقهم دائمًا وأبدًا ، وكأنه أصبح غريزة متأصلة داخل نفوسهم تظل معهم أينما ذهبوا، فغربتهم أيضًا مليئة بالخوف من المجهول الذي ينتظرهم ، فالتناص هنا أظهر الخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها مصر في عصر من العصور ، وتأثيرها على نفسية المواطنين.

ولكن على الرغم من تعدد هذه الأزمات ، وإحساس بعض المواطنين بالخوف والعجز أمامها ، إلا أن طبيعة الشعب

المصري لا تعرف الاستسلام والهزيمة ، فهم مستعدون لأن يفعلوا كل شيء ، وأي شيء من أجل رفعة شأن مصر، وهذا ما أظهره تناص الكاتب فى روايته " ليالي دبى : شاء أخضر" مع مقولة "وجيه أباظة " التي ألقاها على الفنانين في قطار الرحمة ، فتلك الفكرة كانت خير شاهد على ترابط الفن والجيش والشعب ويتضح ذلك من خلال النص التالى :

" أول مشروع جماهيري قامت به حركة الجيش، ولم يكن قد مضى عليها خمسة شهور، كان من ابتكار وجيه أباظة.. وكان أولاً من أجل فلسطين، حتى تظل القضية الفلسطينية حية متيقظة فى نفوس الجماهير..وكان ثانياً من أجل الدعوة للثورة، والتعريف بقادتها، فى وقت لم تكن هناك أجهزة تليفزيون ولا فيديو..وكان انتشار الراديو محدوداً.. بل محدوداً جداً، فلم يكن هناك إلا الذهاب للناس.

وأن يقول الفنانون لهم ما يريدونة، حتى يمكن أن يسهل استيعابه يستوعبونه وعن طريق هذه الفكرة المبتكرة فى ذلك الوقت عرف الناس الثورة .

وقد أطلقت على فكرتى اسم ((قطار الرحمة)).. التى كانت تحقق - عدا الهدف الأساسى وهو جمع التبرعات رحمة باللاجئين الفلسطينيين – وما يستتبع ذلك من إيقاظ الضمير الوطنى وتهيئة الجماهير حول أبرز قضايا الثورة بمشاركة

كبار فنانى مصر!
وكان المشروع يقوم على اساس أن تنطبق – فى منتصف ديسمبر ١٩٥٢ – من القاهرة ثلاثة قطارات يحوى كل منها عربات نوم، وطعام، وبضاعة، وتحمل قوات رمزية من الجيش ، وموسيقى عسكرية وأيضاً.. فى المقدمة الفنانن الذين تطوعوا للإسهام فى التعبئة حول الثورة والتعريف بها وجمع التبرعات .
وقد تقرر إعداد ثلاثة قطارات يتكون كل منها من العربات المختلفة ومعها قوات رمزية من الجيش وموسيقى عسكرية وبعض أهل الفن والتمثيل .
[........] في ظل شعار "الاتحاد والنظام والعمل" [.......].
وفى قطار الشرق، المسافر إلى دمياط، ألقى "وجيه أباظة" فى الفنانين المرافقين للقطار كلمة حماسية، طلب فيها منهم أن يؤججوا نيران الوطنية فى نفوس سكان الأقاليم، حتى يقف المصريون صفًا واحدًا ضد الاستعمار، ثم قال لهم :
_ اخطبوا فى الجماهير ، وقولوا لها إن الجيش قد اتخذ الأهبة لتحرير البلاد.. قولوا لهم اننا لن نهدأ ولن نلين، حتى نرى وادى النيل حرًا كريمًا مستقلا ! "[١]

(١) رواية : ليالي دبى ، الجزء الثاني : " شاء أخضر " ، مركز الوطن العري ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م، ص ١٨٢ : ١٨٥.

يعرض الكاتب في هذا النص الروائي موقفًا من أهم المواقف المصرية المشرفة ، وهي فكرة قطار الرحمة التي أطلقها الرئيس الأول لمصر محمد نجيب، وذلك في أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢، وذلك من خلال إطلاق ثلاثة قطارات طافت مصر من دمياط إلى أسوان ، فكان القطار الأول يتجه من القاهرة إلى أسوان ، والقطار الثاني يتجه من القاهرة إلى الإسكندرية، والقطار الثالث يتجه من القاهرة إلى دمياط ، وذلك من أجل النهوض بمصر ، وتوعية الشعب ، وحثه على التبرع لدعم الجيش المصري وتسليحه ، واستعادة قوته وهيبته بعد الهزيمة في حرب ٤٨ ، والتي كانت أحد الأسباب الهامة لقيام الثورة ، كما كان الهدف الأساسي من قطارات الرحمن تعريف الناس بالثورة وبرجالها المجهولين، وذلك عن طريق مشاركة فناني الزمن الجميل، وفي مقدمتهم أنور وجدي ، وليلي مراد، وفاتن حمامة، ومريم فخر الدين، وإسماعيل ياسين ، ويوسف وهبي، وماري منيب، ومديحة يسري، وشادية وحسن فايق، وغيرهم الكثير، الذين ظلوا يهتفون باسم الثورة ، فكان للفنانين أثر كبير في الدعاية للثورة ومشروعاتها ، من خلال حديثهم مع الناس في كل محطة يتوقف بها كل قطار، وإلقائهم للعديد من الخطابات الحماسية التي تدعوى إلى الاتحاد في سبيل عودة مجد العرب. وبالفعل لاقت هذه الحملة نجاحاً كبيرًا

، فاستجاب الشعب لمبادرة الجيش والفنانين، واستطاع الجيش من خلال الحملة الحصول على دعم ومساندة الشعب له ، وجمع مبالغ ضخمة ، بالإضافة لما جمعوه من بضائع ، وأغطية ، وأقمشة ، وثياب .

وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة " وجيه أباظة" ، وهو أحد الظباط الذين تشكل منهم تنظيم الظباط الأحرار ، وكان له دور كبير في ثورة ١٩٥٢ ، ليؤكد أن مصر لن تنهزم رغم الشدائد ، لأنها تستحق أن تظل حرة كريمة، فالمقولة الحماسية كانت بمثابة وعد من الجيش المصري للمصريين بأنهم لن يتركوا مصر والمصريين ليتذوقوا مرارة الاستعمار، فالتناص هنا كشف عن الروح الوطنية ، وعن الطابع المصري الأصيل الذي يظهر دائمًا وقت الشدائد ، فالمصريون بمختلف طوائفهم ، ووظائفهم وقفوا صفًا واحدًا ضد الاستعمار.

ويستمر الكاتب في الكشف عن الروح الوطنية عند المصريين، ودور الفنانين فى تعبئة الجماهير للثورة ، وذلك من خلال تناصه في الرواية نفسها "ليالي دبى : شاي أخضر" مع مقولة الفنان "حسين صدقى" في حفل بمناسبة المولد النبوي الشريف الذى تحول إلى احتفال وطني ، كما سنرى في النص التالى:

" عاد وجيه اباظة من قطارات الرحمة ليحضر مندوباً عن

الرئيس احتفالاً يقيمه الفنان حسين صدقى بمناسة المولد النبوى..

وقد نشرت الصحف صورة الحفل، ومندوب الرئيس – وجيهأباظة – مع حسين صدقى أما التفاصيل فكانت تهدف إلى تعبئة الجماهير للثورة وتحويل الاحتفال الدينى أيضًا إلى مناسبة وطنية.. قالت المصور :

اختار الأستاذ حسين صدقى مساء الأحد الماضى، الليلة الكبرى للمولد النبوى، موعد للاجتماع بممثلى شعب الوادى عسكريين ومدنيين، رسميين وأهليين، ومعهم رجال السلك السياسي العربي حيث دعا حضراتهم لمشاهدة فيلمه الوطنى ((يسقط الاستعمار)) بدار سينما ركس، فى حفلة تبرع بإيرادها – كدفعة أولى – لمشروع تقوية الجيش .

فكانت مظاهرة وطنية لم تشهدها المجتمعات الفنية من قبل، بدأها الأستاذ حسين صدقي بكلمة قال فيها : ((إن الجيش قد تقدم باسم الشعب فأسقط الملك الطاغية وأخرجه من بلادنا وباسم الشعب سيتقدم الجيش لتطهير وادى النيل من الاستعمار باذن الله .

أيها السادة، إن الشعب المصرى اليوم كله من جنود الجيش، وأن الجيش المصرى اليوم هو الشعب، وهانحن نقدم للجيش وثيقة شعبية سجلتها السينما المصرية لغضبة مصر المسلحة

ضد عدوها ثم فى القتال.. هانحن ندعوه إلى تحرير وادى النيل من عار الاحتلال الأجنبى، كما حرره من الاحتلال الداخلى .
ثم قال : على هذه القاعدة أقدم فيلمى هذا"يسقط الاستعمار"، فإلى العلا والى الأمام ياجيش الاتحاد والنظام والعمل . إن الله معكم لأن الشعب معكم .
ثم بدأ عرض الفيلم الذى يصور كفاح مصر والسودان فى سبيل الوحدة والجلاء، منذ وطئت أقدام المستعمرين أرض بلادنا العزيزة، وتركزت دعوة الفيلمفى تعبئة الشعور الوطنى، واجتماع شعب الوادى حول جيشه الذى تلقى حوله آمال العرب جميعًا"(١).
يبرز النص العلاقة القوية بين الفن والسياسة، فالفن خدم السياسة في الكثير من المناسبات، ووقف الفنانون كثيرًا إلى جانب السياسة لحشد التعبئة في الحروب السياسية، وقد تناص الكاتب مع مقولة الفنان "حسين صدقي" فى أثناء الحفل ، ليؤكد فكرة تكاتف الشعب والجيش ، ومساندته ودعمه له ، موجهًا إلى الجيش دعوة لتحفيزه على قتال أعداء الوطن، فهذه الدعوة نابعة من ثقة المصريين في الجيش بأنه قادر على تطهير أرض الوطن من الاستعمار ، فالتناص هنا أوضح

(١) رواية : ليالي دبى : الجزء الثانى " شاي أخضر" ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤، ص ١٨٧ :١٨٨.

مدى شعور كل مصري بالمسئولية تجاه وطنه ، فالكل يعمل جاهدًا من أجل رفعة شأن الوطن .

وقد عاود الكاتب التناص مع المقولات في الرواية نفسها "ليالي دبى : شاي أخضر" وذلك من خلال تناصه مع مقولة "برناردشو" ، وذلك في أثناء حوار دار بين بطل الرواية "فتحى رضوان خليل" وعفت الممرضة حول حالة الفساد التي تسري فى مصر :

– " - لا يا عفت.. كل المناطق متشابهة.. وما يحدث هنا يحدث هناك فى الرمل فى زيزينيا ورشدى والمناطق الراقية.. السرقة والبلطجة واللصوصية فيروس ينتقل بسرعة فى الشعب..إن الفيروسات تأتى إلى مصر ولا تغادرها مثل فيروس.. الكبد الوبائى والسرطان والفشل الكلوى.. كانوا ضيوفاً فأقاموا فى مصر ويملأون المستشفيات والشوارع أصبحوا امراضاً مستوطنة.. بنسبة ما بين ٣٠ إلى ٥٠%.. والبلطجة كذلك فيرس اجتماعى ..

– عارف يا سى فتحي كان نفسى تكون دكتور..

ضحكت.. وقلت..

– ليه ؟

– كنت حتكون شخصية محترمة.

- اسمعى يا عفت يقول برناردشو أن مهنة الطب ليس لها شخصية سامية بل على العكس إنها ذات شخصية شائنة.. أن مأساة المرضى فى الوقت الحاضر هي أنه يلقى بك وأنت بلا حول ولا قوة.. بين أيدى رجال ينتمون إلى مهنة.. تحمل لها فى صدرك.. شكاً مريباً.. وعميقاً ليس هناك من يفترض أن نصيب الأطباء من الفضيلة أقل من نصيب القضاة لكن القاضى الذى يتوقف مرتبه وتتوقف سمعته عن الحكم الذى سيصدره وهل هو لصالح المدعى أم لصالح المدعى عليه لصالح ممثل الاتهام أم لصالح السجين.. مثل هذا القاضى لن يوثق فى ذمته الا بمقدار.. ما يوثق فى ذمة جنرال يعمل لحساب العدو.. إن جئت بطبيب على أنه حكم وفيصل ثم اثرت على حكمه برشوته بمبلغ كبير من المال مع ضمان مؤكد بانه إذا وقع خطأ فلا يمكن إثبات شئ ضده وهذا حالنا.."(١)

يتضح من خلال النص تردي الوضع الاجتماعي والصحي في مصر، ومن أهم مظاهر هذا التدهور الانفلات الأمني، وانتشار ظاهرة البلطجة – فقد أصبحت ظاهرة مخيفة تهدد أمن واستقرار البلاد والعباد – وانتشار الأمراض والفيروسات

---

(١) رواية : ليالي دبى : الجزء الثانى " شاي أخضر" ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤، ص ٣١٣.

بأشكالها المختلفة ، وانتشار وتفشي أبرز مظاهر منظومة الفساد، ألا وهي آفة الرشوة التى يعاني منها المصريون بكافة فئاتهم. وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة "برناردشو" التي يتحدث فيها عن شكل من أشكال الفساد في مهنة الطب، وما أصابها من قصور، ومأساة المرضى ومعاناتهم من الأطباء، فقد أصبحت مهنة الطب وسيلة لجمع المال بكل الوسائل الممكنة ، دون النظر إلى مصلحة المريض، وذلك نتيجة الرشوة ، كما تتطرق المقولة إلى شكل أخر من أشكال الفساد لابد من مواجهته، وهو فساد بعض القضاة الأخلاقي والمالي.

والواضح من خلال النص أن الأزمة الاقتصادية التي تمر بها مصر هي السبب الرئيسي وراء هذا التدني الاجتماعي والصحي ، فارتفاع الأسعار والبطالة أديا إلى انتشار البلطجة ، كما أن الحال الذي وصل إليه الأطباء فى مصر ومعاناتهم، وبحثهم عن حياة كريمة، جعلهم يتحولون من ملائكة الرحمة إلى تجار يستغلون المرضى أسوأ استغلال، ويؤكد الكاتب هذه الفكرة، وذلك من لال تناصه في موضع آخر من الرواية نفسها ("ليالي دبي : شاي أخضر") مع مقولة أخرى لـ"برناردشو" يتحدث فيها عن الأطباء والفقر الذي يعانون منه، وكيف أن هذا الفقر جعلهم يستغلون مرضاهم، ويتسنفذونهم باستخدام

العديد من الحيل من أجل الحصول على لمال، فيقول برناردشو: " إن قيمة أجرة الطبيب تتناسب تناسباً طرديًا مع قيمة أجره الذي يتقاضاه من مريضه، وإن المرض الخطير يعد دعاية حسنة للطبيب المعالج، كما يعد الشنق دعاية حسنة للمحام الذى ترافع عن المشنوق..."[١].

فالتناص مع هاتين المقولتين أظهر مدى تذمر بطل الرواية " فتحى خليل رضوان" كنموج للمواطن المصري من حالة الفساد التي وصلت إليها مصر، وإحساسه بالوجع والحسرة والألم على المصريين، بعد أن كانوا أفضل شعوب الأرض، وهذا أيضًا ما أوضحته مقولة "نابليون" التي تناص معها الكاتب في الرواية نفسها ("ليالي دبي : شاي أخضر"):

" لو كان .. لو كنت جعلت عفت تستقيل من مستشفى الميري لأنقذتها ، كلن الحل ليس خروجها.. بل الصعب هو تغيير المستشفي والنظام الطبي في مصر . نحن شعب مريض بالكسل والكذب والمرض البدني كذلك.. عندما جاء نابليون إلى مصر كان عدد سكان مصر مليونين ونصف.. كان مليون ونصف منهم أعمي بسبب مرض في العيون.. وقال نابليون حين جلس في مصر : لو كان محمد رسول الله شاهد مصر

---

(١) رواية : ليالى دبى ، الزء الثاني : "شاى أخضر"، مركز الوطن العربى : رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م، ص ٣١١.

وزارها لجعل مقر إقامته ودعوته في مصر بدلًا من مكة، فهى أفضل من بغداد ومن الشام ومن مكة.."[1].

يستمر الكاتب في الحديث عن المنظومة الطبية فى مصر، والفساد الذي حل بها، وحل بمصر بوجه عام، وقد تناص الكاتب مع مقولة "نابليون" التي قالها في أثناء جلوسه فى مصر، والتي يتضح من خلالها أن مصر خير بقاع الأرض، ولكنها دفعت ثمن الإهمال والفوضي ، وقلة ضمير بعض المصريين، فالتناص هنا يظهر مشاعر بطل الرواية " فتحى خليل رضوان " تجاه وطنه، فهو على الغم من انتشار صور الفساد بمصر، إلا أنه يظل يفتخر بوطنه، فمصر أفضل مكان على وجه الأرض بشهادة كل من زارها، كما أنه يأمل ويتمنى أن تعود مصر مثلما كانت فى سابق عهدها أرضًا نقية، وأن تتطهر أرضها من الفساد والفاسدين.

ويستمر الكاتب في إظهار مشاعره تجاه وطنه، مشاعر الافتخار والاعتزاز به – لأنه يرى أن مصر خير بقاع الأرض – ممزوجة بمشاعر حزن شديد على وطنه بسبب ما حل به من فساد وخراب، يرجع إلى قلة ضمير بعض الناس، وذلك من خلال تناصه في رواية "كل من عليها خان" مع مقولة المؤرخ "المسعودي"، ويتضح ذلك من خلال النص التالى :

---

(١) رواية : ليلي دبي، الجزء الثاني : "شاى أخضر"، ص ٣٦٠.

" أنت أول مجرم يا قابيل في البشر لم ولن يسامحك الرب.. وقدرك البشرى أن يصير إسمك عبر الأجيال كلها يسمون قابيل ولا يسمون هابيل لأن البشر يحبون الشر)..

حاول قابيل أن ينسى وجه أخيه القتيل هابيل.. حاول أن يكلم أمه حواء.. حاول أن ينسى منظر الدم..

نارمر أول أنثى في التاريخ.. تعرف الحزن على قلبها الذي انشطر نصفين.. نصف حزن.. ونصف عشق دفين.. ترى ما معنى الأرض ؟؟ هل هي سكن أم كفن ؟

هل هي حياة.. أم موت ؟؟

كانت أمها حواء في كل ليلة تضمها إلى أحضانها.. حضن الأم وطن.. والحزن رافق حواء حين أخرجت آدم من الجنة.. وها هو الشيطان قد أغوى قابيل ليقتل أخاه هابيل من أجل نارمر..الشر والخطيئة على الأرض تدب بخطواتها.. زرعت ومن يحصدها ومن يخلعها..

كان قابيل أول رجل يحدث له ارتخاء في البشرية.. ويصبح خصيا.. بعد مقتل أخيه.. أما نارمر الجميلة فصارت أول عذراء للحب.. وعاشت.. لم يلمسها إنسٌ ولا جنيٌّ..

أظن أن آدم نزل على أرض مصر.. وأن بعض الظن حق..

قام فتحي وأغلق الملف ونام..

جاءني في المنام المسعودي قال لي يابن رضوان..

(يفتح كتابا) يقول المســعودي
لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبالها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها الأمم ومن يملكها من الملوك، فلما رأى آدم عليه السلام مصر أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبالا من جبلها مكسوا نورًا لا يخلو من نظرة الرب إليه بالرحمة.. في سفحه أشجار مثمرة وفروعها في الجنة تُسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في جبلها سبع مرات وقال: مصر فيك الخفايا والكنوز ولك البر والثروة وسأل نهرك عسلا كثر الله زرعك وذكى نباتك ولا زال فيك خير ما لم تتجبري وتتكبري أو تخوني.. (اختفى المسعودى)(١).

يسلط الكاتب من خلال النص الضوء على فكرة الحرب الموجودة فى مصر بين المفسدين والشرفاء، فهذه الحرب بدأت منذ أن قتل قابيل أخوه هابيل، من أجل أن يتزوج أخته نارمر، ومن سيل دماء هابيل على أرض مصر انتشر الشر، فالإنسان هو الذي يزرع الشر بيده ، ويحصد بعد ذلك نتيجة

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، مركز الوطن العربي : رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٥م، ص ٢٩ ، ٣٠.

ما زرعه ، فالنص يوضح أن الفساد والخراب هو حصاد ما زرعه بعض البشر على أرض مصر.

وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة للمؤرخ "المسعودي" في إحدى مؤلفاته التي تحدث فيها عن بداية خلق سيدنا آدم عليه السلام ، وكيف مثل له الله الدنيا ، مشيرًا إلى إعجاب سيدنا آدم بمصر وجمالها ، والخير الموجود بها ، كما تحدث عن الكنوز، والخيرات الموجودة على أرض مصر مؤكدًا على أن هذا الخير سوف يظل باقيًا إذا لم ينتشر الفساد والطمع وقلة الضمير والخيانة على أرضها ، سواء من الحكام أم المحكومين.

والتناص هنا أفصح عن رؤية "فتحي خليل رضوان" بطل الرواية لوطنه مصر، فهو ينظر إليها على أنها بقعة أرض نقية طاهرة، مليئة بالخيرات، وتستحق من شعبها أن يحافظ عليها ، وعلى الثروات الموجودة بها ، ولا تستحق أن تلوث بالإهمال ، والطمع ، وقلة الضمير الموجود عند بعض البشر ، فالعيب ليس في الوطن، بل العيب في أهله الذين لا يعرفون كيف يحمونه من الفساد ، ويحافظوا على ثرواته، وسمحوا ليد الشر أن تمتد إليه وتلوثه.

ويؤكد الكاتب على فكرة الشر الذى استطون في نفوس بعض المصريين من خلال تناصه في الرواية نفسها ("كل من عليها

خان") مع مقولة للشيخ "المقريزي" في النص التالى:
" جاء الهندي بالشاي والرسائل القادمة من القاهرة.. رسائل من الكتاب والمثقفين في مصر يرسلونها لي في كل يوم يشكون.. الظروف والأوضاع السيئة.. كان ولابد من أن أجد طريقة لمساعدتهم على النشر ودفع مبلغ مالي لهم.. تحدثت مع شاكر الجوهري مدير التحرير..فقال إن الأمر في يد صلاح خريبط.. تحدثت مع صلاح خريبط في الموضوع ظل يضحك كأنني قلت نكتة.. قال :

- هذه الأشياء(يقصد الشعر والقصة والرواية) ليس لها ثمن في الصحف..

فهمت الآن.. لا شيء حقيقي في الوطن العربي.. الإبداع ليس له أي ثمن.. ماعدا مجلات قليلة ونادرة في الوطن العربى.. أما الصحف الخاصة أنس أمر المكافأة..
فكرت أن أحول كل شهر من مرتبى٥٠٠ درهما.. أنشر لثلاثة كتاب أو شعراء في المجلة.. وأرسل لكل واحد ٥٠ مائة وخمسين درهما..وقلت لتهاني زوجتي تلك الفكرة .
قالت :

- حسنة.. لله يعني ؟

قلت لها غاضبا :

- مش حسنة دا حقهم أني أساعدهم، مصر بتقتل

مبدعيها من الجوع.. أنا لازم أعمل حاجة..

الغريب في الأمر .. توالت على بريدي القصص والأشعار من مصر، ولم أظن لحظة أن أصدقائي في مصر قالوا إن المجلة تدفع ألف درهم لكل موضوع، وفتحي يرسل لنا مائة وخمسين درهمًا، والباقي في جيبه..

تحول العمل الصالح والخير إلى فضيحة وجريمة، القاهرة في كل لحظة تولد إشاعة.. أو جريمة أخلاقية..

قال الشيخ المقريزي عن المصريين : جبلت نفوسهم على الشر ، يتباغضون ويتحاسدون فيما بينهم ، وينظر كل منهم إلى ما في يد الآخر.. صدق الشيخ المقريزي.."(١).

يناقش الكاتب في هذا النص الأزمة التي يتعرض لها المثقفون في مصر، والوطن العربي، وذلك من خلال بطل روايته "فتحي خليل رضوان"، الصحفي المصري الذي يعمل كاتبًا ، وصحفيًا بإحدي الجرائد في دبي، والمهموم دائمًا بحال وطنه "مصر"، وحال الثقافة والمثقفين في مصر والوطن العري بشكل عام، فهو يرى أن المثقفين أصبحوا فئة مهمة داخل المجتمع، لا أحد يهتم بهم وبالمشاكل التي تواجههم ، على الرغم من أن النهضة الثقافية هي جزء أصيل لكي تنهض مصر في كافة المجالات الأخري، باعتبار أن المثقف هو الممثل لضمير

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ٤٢.

الناس، وهو المعبر عن طموحاهتم وأمنياتهم ، وعن معاناتهم ومظالمهم، ولكن المثقف في مصر والوطن العربي أصبح ضائعاً، لا يكاد يجد قوت يومه، وعندما يريد أن ينتج كتابًا ، ديوانًا كان، أو رواية، أو مجموعة قصصية، فهذا يحتاج إلى مصدر مادي، ومع ذلك فالأزمة ليست أزمة مادية فحسب، بل أصبح المثقفون يشعرون بأنه لا قيمة لشيء ينتجونه، لا يشعر المثقف بقيمة إنتاجه ، بسبب حالة العبث السياسي والاجتماعي السائد في العالم العري بشكل عام.

وقد حاول فتحى رضوان خليل مساعدة أصدقائه المثقفين في مصر بعدما تأزمت أوضاعهم، وضعفت مجالات تواصلهم مع الناس، ومع ما يستجد من أحداث ، وذلك عن طريق نشر أعمالهم في المجلة التي يعمل بها على حسابه الخاص، وأن يرسل لهم مائة وخمسين درهمًا مقابل أعمالهم، ولكن عمله الصالح تحول إلى جريمة في نظر أصدقائه الكتاب المقيمين فى مصر ، لأنهم اتهموه بالسرقة، وأن المجلة تدفع ألف درهم لكل موضوع بينما هو يرسل لهم مائة وخمسين درهمًا فقط ويأخذ باقي المبلغ له.

وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة الشيخ "المقريزي"، التي يوضح من خلالها تأصل صفة الشر، والحقد، والحسد في نفوس بعض المصريين، وكيف أن هذه الصفات من الممكن

أن تحول العمل الصالح إلى جريمة أخلاقية، فالتناص هنا أظهر الأثر السلبي الذي تركته هذه الصفات السيئة المتأصلة في نفوس البعض على بطل الرواية " فتحى خليل رضوان"، فجعلته يشعر بالخزن الشديد والحسرة لتحول عمله الصالح إلى فضيحة يحاول الهروب منها، وإخفاءها عن أعين الناس من حوله.

كما تناص الكاتب في الرواية نفسها "كل من عليها خان" مع مقولة "جمال حمدان" في كتابه شخصية مصر، مؤكدًا فكرة أن مصر أم الدنيا رغم توالي الكوارث العظمة عليها، وذلك من خلال النص التالي:

" كان فتحي مع تهاني زوجته يتناول العشاء بالخارج في دبي وقد عادا إلى البيت..

....

قالت تهانى :

- مش حتنام.

لم أرد وجدتنى.. أذهب إلى مكتبتى الصغيرة وأجلس و أقرا.. خلع عباس الثاني من الحكم وتولى الأمير حسين كامل وتوفي ١٩١٧ وتولى أحمد فؤاد الأول حكم مصر وساق المصريين قسرا إلى الميدان الشرقي للقتال مليون ونصف فلاح مصري لمعاونة جيش الحلفاء وارتدوا ملابس عسكرية للجيش المصري، وكانت مهمتهم يقومون بتمهيد الطرق وحفر الآبار في صحراء سيناء وفيافي

الشام مما كان له الأثر في إحراز النصر على الحملة التركية. وكان العمال المصريون يساقون سوق الأنعام، ويعاملون أسوأ معاملة من الإنجليز والحلفاء ويربطون بالحبال حتى لا يتوهون.. أو يتسربون.. أو يفكرون في الهرب.. كما لو كانوا أسرى حرب لا يهتم بغذائهم أو راحتهم، ولا يعنى بصحتهم، ومات منهم الكثير في ميادين القتال خاصة صحراء سيناء أو في العراق أو فرنسا. وأصيب الكثير منهم بأمراض وعاهات وبالآخر تنازلت مصر عن ديونها لأنجلترا وقدرها ثلاثة ملايين من الجنيهات بقرار من مجلس الوزراء المصري في ٩ مارس ١٩١٨ .آه يا وطني الفقير المطحون طول العصور...

قال حمدان في كتابة شخصية مصر: " وسواءً كانت مصر أم الدنيا أو أم الديكتاتورية.. هي النقطة ثلاثية النكبة والكارثة العظمي، لا يمكن أن تركع وتستسلم للعدو تحت أي شعار زائف أو ستار كاذب. ومصر من المستحيل أن تكون خائنة لنفسها ولشقيقاتها، وليس فيها مكان لخائن أيًا كان موقعه. ورغم كل شئ ، فإن كل انحراف حدث في مصر إلى زوال، وإن عجز الشعب، يفعلها التاريخ نفسه"(١).

يتحدث الكاتب في النص عن فترة حكم الملك أحمد فؤاد الأول لمصر، ومساندته للإنجليز باعتبارهم – فى ذلك الوقت – من أهم القوى المؤثرة على الأوضاع السياسية فى مصر ، فهم السبب فى

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص٦٨.

توليه عرض مصر، لذلك كان يحرص على إقامة علاقة طيبة معهم ، بحث يكونون سندًا له ، ومن أهم صور مساندته لهم إصداره لمرسوم سلطانى بتشجيع الشعب على التطوع في خدمة السلطة العسكرية البريطانية، ومنحهم امتيازات تحثهم على ها التطوع ، وبالفعل شارك المصريون فى معركة مجدو عام ١٩١٧ التي خاضها البريطانيون ضد الفلسطينين فى أثناء الحرب العالمية الأولى، فقام الجنرال الإنجليزى الذى يدعى "اللمبى" بقيادة قوات الجيش المصري بهزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، وبذلك انهارت الجبهة العثمانية في فلسطين، وكان من نتائج هذا الانتصار إصدر بريطانيا لوعد بلفور ، الذي أشارت فيه إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، لذلك وُصف هذا الوعد بأنه "وعد من لا يملك لمن لا يستحق".

كما تحدث الكاتب في النص عن سوء معاملة الانجليز والحلفاء للفلاحين المصريين الذين تم تجنيدهم فيما عرف باسم "التجريدة المصرية" لخوض هذه الحرب، فقد كانوا يعاملون معاملة العبيد، ومات منهم الكثير فى أثناء الحرب وأصيب منهم الكثير بعاهات، ومرض معظمهم بأمراض عديدة، كما أنفقت الحكومة المصرية منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى لحساب الحكومة البريطانية ، عن ديونها لإنجلترا، والتي تقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات.

وقد تناص الكاتب في النص مع مقولة "جمال حمدان" التي قالها في كتابه "شخصية مصر" ، والتي يظهر من خلالها أنه رغم الظلم الواقع على أهل مصر، ولا تستسلم لأي عدو، ولا تسمح

لوجود أي خائن، وهذا ما حدث بالفعل ، حيث اندلعت ثورة ١٩١٩ نتيجة سلسلطة من الاحتجاجات الشعبية على السياسة البريطانية فى مصر ، عقب الحرب العالمية الأول، ورفض الإنجليز السماح للوفد المصرى بالمشاركة فى مؤتمر الصلح فى باريس، ونفيهم لسعد زغلول نتيجة إصراره على ذلك. ونتيجة لاتحاد كل فئات الشعب وقيام الثورة، اضطرت السلطات البريطانية للرضوخ للمطلب الشعبي، والإفراج عن سعد زغلول.

فالتناص هنا مع هذه المقولة أوضح طبيعة الشعب المصري، فهو ليس عاجزًا عن دفع الظلم الواقع عليه، والتاريخ خير شاهد على لك، كما أظهر التناص الازدواجية في شعور بطل الرواية "فتحى رضوان" ، فعلى الرغم من إحساسه بالظلم المستمر في حياته على المستوي الاجتماعي والمهنى، إلا أنه يشعر بالثقة فى أن مصر أم الدنيا، ورغم أي انحراف يحدث فيها، إلا أنه يرى أن المصريين قادرون على تغيير مسارهم، ودفع الظلم الواقع عليهم، بدليل الثورات العديدة التي قامت في مصر اعتراضًا على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاطئة ، والتي نجحت بالفعل في تغيير مستقبل مصر.

ثانياً : التناص مع المذكرات :

ويقصد بالمذكرات الشخصية أو اليوميات، "تسجيل المرء لبعض حوادث حياته الماضية في مكان أو ظرف ما"(١) ، وهي تعد نوعًا من أنواع الكتابة التاريخية ، حيث يتم من خلالها رصد الأحداث المهمة في حياة الإنسان من لحظات حزن أو سرور ، اومفارقات، أو أشياء يريد أن يتذكرها، موضحًا من خلالها رؤيته الخاصة لتلك الأحداث ، لذلك تعتبر عملاً واعيًا لاستكشاف الذات، معتمدًا على أسلوب السرد التاريخي للأحداث .

وقد اعتمد الكاتب في بعض رواياته على ظاهرة التناص مع مقتطفات من المذكرات الشخصية لبعض الشخصيات السياسية التي كانت موجودة في الزمن الماضي، وذلك لإضاءة جوانب هامة من حياة تلك الشخصيات الماضية، وربط الزمن الماضي بالحدث الأنى الذي تعيشه شخصيات رواياته في الزمن الحاضر.

ومن هذه المذكرات التي تناص معها الكاتب في رواية "قهوة سادة" تلك المتعلقة بـ"صلاح سالم" أحد ضباط ثورة ١٩٥٢ والتي يتحدث فيها عن لحظة فارقة فى حياته وحياة البطل المصري الشهيد "أحمد عبد العزيز" كما سنرى في النص التالي:

" وجاءت أمه إلى البلكون قالت:

- ادخل نام لك ساعة يا حبة عينى أنت صاحى من صلاة الفجر بتذاكر عشان تعرف تكمل اليوم..

---

(١) مجدى وهيه، كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٣٤٦.

- بعد ساعة صحينى يكون الجيش المصرى دخل تل أبيب، وعبد الناصر بيخطب هناك.. زى ما قال أحمد سعيد فى صوت العرب

ولد "فتحى رضوان خليل" فى نفس اليوم الذى استشهد فيه فى فلسطين البطل أحمد عبد العزيز قائد قوات مصر فى حرب ١٩٤٨.. ولد فى يوم الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٤٨.. فى نفس اليوم دعي أحمد عبد العزيز لحضور المؤتمر مرة أخرى بعد تقديم الاعتذار له، وفى المؤتمر أصر أحمد على تسجيل العدوان اليهودي على أموال وأرواح العرب، وكان يمثل اليهود فى ذلك المؤتمر موشيه ديان. وبعد مباحثات مطولة انتهى الاجتماع بقرارات تقضى بسحب القوات اليهودية خلال ٢٤ ساعة من المناطق التى احتلتها إسرائيل، ووقف إطلاق النار على طول الجبهة فورًا ومطالبة حكومات الدول بالنظر فى موضوع خلق منطقة منزوعة السلاح. وبعد الاجتماع عاد أحمد عبد العزيز إلى موقعه وتناول غداءه، وأصر على التوجه مباشرة إلى مقر القيادة العامة فى غزة لإبلاغهم بما حدث بالمؤتمر وذلك على الرغم من مناشدة رجال أحمد عبد العزيز بعدم السفر ليلًا وتأجيل ذلك للصباح الباكر إلا أنه أصر على ذلك واصطحب معه الصاغ صلاح سالم الذى قاد سيارته بدلًا من السائق الذى جلس فى الخلف وكان معهما الضابط الوردانى أحد رجال أحمد عبد العزيز المقربين.

كان لا يعرف كلمة السر التى كانت فى تلك الليلة فى (غزة) أثناء حرب ١٩٤٨ سأله الجندى كلمة السر فقال لا أعرف؛ قتله الجندى

الغبى فى الحال.. ويقول صلاح سالم فى مذكراته (عندما اقتربت السيارة من بلدة (عراق المنشية) التى تبعد عن الفالوجا نحو ٢ كيلومترًا سمع صوت طلق ناري خارجًا من أحد خنادق البلدة وسمع فى الوقت نفسه أنين أحمد عبد العزيز الذى ارتمى على صلاح سالم ممسكًا بذراعه (حسب رواية صلاح سالم فيما بعد) وحاول صلاح سالم ومن معه بالسيارة حمله إلى مستشفى ميدانى بالفالوجا لكن قبل وصوله إلى المستشفى كان أحمد عبد العزيز قد فارق الحياة فى ليلة ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ عن عمر لا يزيد على ٤١ عاما... نام فتحى .... استيقظ بعد ساعة على خبر أن الجيش المصري انسحب لخط الدفاع الثانى.. بعد ٦ أيام سأل نفسه: هل هى حرب ٦ أيام أم كانت حرب ٦ ساعات؟ ولكنه أبدا لم يدر"[(١)]
يتحدث الكاتب في النص عن حرب ١٩٦٧ التي نشبت بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأدرن ، مشيرًا إلى الأمل الذي كان يملأ بطل الرواية "فتحى رضوان" ــ الشاب المصرى ــ بالنصر، إلى الحد الذي جعله يتخيل أن النصر قد تحقق بالفعل، ودخل الجيش المصري تل أبيب، وتم تحرير فلسطين من العدوان الإسرائيلى ، ولكن سرعان ما تحول هذا الأمل بعد ستة أيام من بدء الحرب إلى نكسة وهزيمة ، ومشاعر انكسار ملأت نفوس المصريين ، حيث ادت الحرب إلى احتلال إسرائيل لسيناء، وقطاع غزة ، والضفة الغربية، والجولان.

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٣٣ ، ٣٤.

ويتطرق الكاتب في النص إلى أحد أبطال مصر العظماء، وهو البطل "أحمد عبد العزيز" قائد قوات مصر في حرب ١٩٤٨ ، التى عرفت باسم "النكبة" ، والذي استشهد في فلسطين عند عودته من المجدل (مقر القيادة المصرية العامة) ، وذلك بعد تبليغهم نتائج المفاوضات التي دارت بينه وبين اليهود في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس، ليحث خرق الإسرائيليين للهدنة العربية اليهودية ، والتي كانت مدتها أربعة أسابيع ، استطاع الصهاينة فى أثناءها جمع الذخيرة والأموال، وإعادة تنظيم صفوفهم، والتوسع في الأراضي التى احتلوها، ولكن استطاعت قوات أحمد عبد العزيز ردهم ، وكبدتهم خسائر كثيرة، وحاول معه الصهاينة أن يتنازل لهم عن بعض المواقع التي في قبضة الفدائيين ، لكنه رفض.

وقد تناص الكاتب في النص مع مذكرات الضابط "صلاح سالم" الذي شارك مع قوات الفدائيين التي كان يقودها الشهيد أحمد عبد العزيز في حرب ٤٨، والتي يروي فيها لحظة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز، حيث إنه كان مرافقًا له فى أثناء عودته من المجدل، فيقول : "عندما اقتربت السيارة من بلدة عراق المنشية التي تبعد عن الفالوجا نحو ٢ كيلو متر سُمع صوت طلق ناري خارجًا من أحد خنادق البلدة، وسمع في الوقت نفسه أنين أحمد عبد العزيز الذي ارتمى على صلاح سالم ممسكًا بذراعه (حسب رواية صلاح سالم فيما بعد) . وحاول صلاح سالم ومن معه

بالسيارة عبد العزيز قد فارق الحياة في ليلة ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ ، عن عمر لا يزيد عن ٤١ عاماً"[١].

وهكذا يرصد الكاتب حدثًا هامًا من خلال مذكرات "صلاح سالم" ، الذي يصف فيها مشهد استشهاد البطل أحمد عبد العزيز، فقد قتل عن طريق رصاصة خرجت بالخطأ من سلاح جندي مصري في منطقة "عراق المنشية"، حيث إن هذه المنطقة كانت مستهدفة من اليهود ، لذلك كانت ترابط بها كتائب عساكر مصرية لديها أوامر بضرب أي سيارة تمر في ظلام الليل ، وعند مرور سيارة أحمد عبد العزيز اشتبه لها أحد الحراس ، وظنها من سيارات العدو، وصاح الحارس يأمر السيارة القادمة بالوقوف ، ولكن لسوء الحظ ضاع صوت الحارس في ضجيج السيارة، فأطلقت نقطة المراقبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشى " أحجمد عبد العزيز" في جنبه ، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة "الفالوجا" ولكن قضاء الله سبقهم إليه، وفارق الحياة احد أبطال مصر العظماء الذين وهبوا حياتهم من أجل الدفاع عن أرض مصر والوطن العربي، حيث إنه أول ضابط مصري يطلب بنفسه إحالته للاستيداع (تخلى عن رتبته وامتيازاته) من أجل الجهاد في سبيل الله على أرض فلسطين ، ليشكل كتائب المجاهدين المتطوعين الفدائيين لإنقاذ فلسطين من أيدى اليهود.

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

ونرى أن الكاتب قد ربط الحدث الماضي بالحدث الآنى الذي تعاصره الشخصية داخل الرواية، حيث إنه جمع في النص السردي بين حربين خاضهما الجيش المصري، كان الهدف منهما واحد هو تحرير الأراضي الفلسطينية من الصهاينة، كما كانت أيضًا نتيجتهما واحدة، وهي الهزيمة والانكسار ، وهما حرب ٤٨ التي عرفت باسم "النكبة" ، وحرب ٧٦ التي عرفت باسم "النكسة".
وقد تناص الكاتب في هذا لانص مع مذكرات "صلاح سالم" التي يوضح فيها تفاصيل استشهاد أحد الجنود الأبرار (أحمد عبد العزيز) حيث ضحى بحياته من أجل تحرير الأراضي الفلسطينية، وذلك لكي يشرك القارئ مع معاناة هذا البطل وحجم تضحياته، وهو ما يجعله يشعر بشيء من التأثر والتعاطف مع هذا الشهيد الذي ضحى بروحه في سبيل الوطن، ومن أجل كل فرد موجود به، وقد يكون القارئ فردًا من هؤلاء الأفراد ، كما كان لهذا التناص هدف فني آخر، فهو يريد – من خلال التناص – أن يبعث رسالة إلى المتلقي مضمونها أنه على الرغم من الانهزام والخسارة، إلا أن هناك شعلة ضوء لا تنطفئ أبدًا ، نابعة من البطولات التي كتبها الجنود في تاريخنا ، والتي على أساسها ستظل الأمة العربية باقية مهما كانت الظروف ، فالأرض باقية مع بقاء الإرادة الشعبية.
ويستمر الكاتب في حديثه عن نكسة ١٩٦٧ ، وتأثيرها في نفوس الشعب المصري، وذلك من خلال تناصه في الرواية نفسها "قهوة

سادة" مع مذكرات رئيسة وزراء إسرائيل "جولدامائير" في النص التالي :

" قابلت المحبش جارنا، وهو يسير بجانب قسم الشرطة؛ قلت له وأنا أقف فى صف المتطوعين:

- عم المحبش قل لأمى أنى قررت أن أكون فدائيًا لأحمى مصر من الغزو الإسرائيلى الذى قتل ٢٠ ألف جنديًا مصريًا فى ست ساعات واحتل السويس والإسماعيلية وبورسعيد وضفة القناة.. والإسكندرية أيضًا مهددة بالاحتلال عن طريق البحر..

قالوا الإسكندرية مهددة بغزو ضفادع بشرية إسرائيلية

أعطونى أنا والشباب المتطوع كل واحد بندقية (ترجع إلى عهد الملك فؤاد وهي من بقايا أسلحة الجيش الإنجليزي)ثقيلة جدّ ًا كأنها جبل نحمله على كواهلنا لقد ورمت أكتافنا ونحن لا ندري من كثرة الحماس، ولقد رأينا على كعب البندقية كلمة "جيش مصر – الملك فؤاد" أي عام ١٩٣٥.. كيف يقاوم جيشنا إسرائيل في ١٩٦٧ بأسلحة صنعت عام ١٩٣٥.. سألت نفسي هذا السؤال وأنا أسير من ساحة الاستاد في حي محرم بك إلى شاطىء الأزاريطة في حي محطة الرمل..

توجهوا بنا من استاد الاسكندرية إلى البحر دون طعام أو ماء، ونحن حاملين تلك البندقية الثقيلة جدّ ًا التي تحتوي على ثلاث طلقات لنراقب البحر وندحر إسرائيل.. شاهدت صديقى محمد حسونة على البحر يمر صدفة.. حقًا.. أنا رجل من أهل الصدفة.. كل حياتى صدفة.. صرخت فى وجه محمد حسونة صديقى: "لا

أقبل أن تحتل إسرائيل الإسكندرية.. هذه إسكندريتى.. وهذا البحر لى".. ألقيت بقلبى وروحى على أمواج بحر الإسكندرية فبكت.. وهمست كل الأمواج لى بوجع كل العاشقين.. عشاق الوطن وعشاق العشق والحياة.. فى المساء سرحونا واخذوا البنادق.. قالوا الجيش سيتولى الأمر.. ونحن سنتدرب على السلاح فى معسكرات.. حب الوطن أكبر خطيئة لأنه كائن هلامى يسكننا، ولو علمنا أن الله يرث الأرض وما عليها لعشقنا الله فقط.. هُزِمَت سوريا أيضاً واحتل الإسرائيليون الجولان والضفة الغربية من الأردن..

قال الأستاذ هيكل: إن الملك حسين خان عبد الناصر والأسد، وأبلغ إسرائيل بموعد الحرب وساعة الصفر.. وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أيضًا في مذكراتها نفس الكلام.."[(١)]

يُظهر النص الإرادة الشعبية لدى المصريين، وأنهم على استعداد أن يفدوا وطنهم بأرواحهم ، ويتضح ذلك من خلال قرار بطل الرواية "فتحي رضوان خليل" بانضمامه إلى صفوف الفدائيين للدفاع عن مصر ضد الغزو الإسرائيلي ، حيث وصولا إلى شواطئ الإسكندرية وقلوبهم يملؤها الحزن والأسى لما لحق بمصر من هزيمة، وذلك لمراقبة البحر خوفًا من أن تحتل إسرائيل الإسكندرية كما احتلت سيناء، ذهبوا للتصدي للعدو رغم سيطرة الوجع على قلوبهم ، ونفوسهم حائرة يريدون أن يعرفوا ما السبب وراء

---

(١) رواية : قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢٠١٢ ، ١م ، ص ٤٣ ، ٤٤.

النكسة، هل الأسلحة كانت قيدمة وفاسدة مثلما حدث في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، مما أدى بهم إلى هذه الهزيمة الساحقة، أم أن يد الخيانة اندست وأفسدت كل التخطيطات والتجهيزات التي أعدها الجيش العربي للدخول في الحرب.

وقد تناص الكاتب في النص مع مذكرات "جولدا مائير" رئيس وزراء إسرائيل التي تقول فيها : " إن الملك حسين خان عبد الناصر والأسد ، وأبلغ بموعد الحرب وساعة الصفر.."(١) هنا تشير جولدا مائير إلى الدور الخفي للملك حسين في حرب ١٩٦٧ لحماية عرشه من الانهيار ، حيث إنه رأى أنه إذا لم يشارك الأردن في الحرب فإن اللوم سيقع عليه في حال تعرض العرب للهزيمة ، أما إذا حقق العرب النصر فإن الأردن سيصبح معزولًا ، ففي كلتا الحالتين الأردن خاسر خاسر، لذلك قرر فتح قناة مخابرات سرية مع إسرائيل ، يتم من خلالها تبادل المعلومات مع تل أبيب ، سواء فيما يخص نفوذ عبد الناصر، أو حول الفلسطينيين الفدائيين ، وقام بإرسال رسالة مطولة لواشنطن يطلب منها ضمانات بأن يتم المحافظة على سلامة أرض بلاده في حالة اندلاع الحرب، وفي نفس الوقت أعلن الملك حسين عن نيته الطلب من القاهرة إعادة إحياء بنود اتفاق الدفاع المشترك ضمن القيادة العربية الموحدة، وكان حسين يريد أن يلعب على الطرفين حتى لا يغضب أي جانب وينجو بمملكته ، وبالنسبة لواشنطن فقد أعلنت التزامها في خطاب

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٤٣ ، ٤٤.

للملك حسين بضمان أمن الأردن واستقلاله ، ولكنها رفضت أن تعلق هذا الالتزام على الملأ ، نظرًا لاعتبارات من الكونجرس ، أما القاهرة فقد قامت بإبلاغ عامر قماش رئيس أركان الجيش الأردني بأن ما يسمى القيادة العربية الموحدة قد انتهى ومات، وإزاء هذا حسم الملك حسين موقفه، سوف يقف ويساند عبد الناصر في العلن، بينما سيقوم في السر بمواصلة اتصالاته المخابراتية مع إسرائيل خوفًا من انتقامها(١). وهكذا فكما أشارت جولدا مائير إلى ذلك الدور الخفي للملك حسين في مذكراتها ، أشار إليه أيضًا الأستاذ هيكل في "بعض مؤلفاته"(٢)، ولكن سواء أكان هذا الاتهام يعود إلى حقائق تاريخية موثقة، م يعود إلى استنتاجات ومبالغات من بعض الأفراد الذين عاصروا هذا الحدث السياسي ، فالكاتب هنا تناص مع هذا الحدث من مذكرات "جولدا مائير" من أجل غرض فني، وهو إظهار المشاعر الذاتية لبطل روايته "فتحي رضوان خليل " ، فقد أصابته حالة من الاستياء والخذلان نتيجة ما يتردد عن خيانة العرب بعضهم لبعض ، لأجل حماية مصالحهم الشخصية، وعقله لا يستوعب الخسارة الفادحة التي تعرضت لها مصر، والدليل على ذلك أنه على الرغم من

---

(١) موقع إلكتروني : اليوم السابع ، رئيس التحرير / خالد صلاح ، الدور الخفي للملك حسين في نكسة ١٩٦٧ ، الأحد ٣١ مايو ٢٠٠٩م.

(٢) محمد حسين هيكل ، كلام في السياسة (قضايا ورجال)، المصرية للنشر العربي والدولي ، القاهرة، ط٧ ، ٢٠٠٢ م ، ٨٩ : ١٤٤، وانظر : محمد حسنين هيكل ، الانفجار "حرب الثلاثين، سنة ١٩٦٧"، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ص ٦٢٩ : ٨١٨.

معرفته لخبر الكسة، إلا أنه ذهب للتطوع في صفوف الفدائيين للدفاع عن مصر، وكأنه يقول إن الشعب المصري صامد عنيد لا تهزه الهزائم ، فهو شعب لن يهزم أبدًا ، كما أظهر التناص أن الخيانة مثل القنبلة الموقوته التي تستطيع أن تهدم وتدمر كل ما حولها، مثلما دمرت حلم الأمة العربية بالانتصار.

ويستمر الكاتب في التناص مع مذكرات الشخصيات السياسية ، فقد تناص في مواضع عدة من الرواية نفسها (قهوة سادة) مع مذكرات الزعيم "محمد فريد" التي يتحدث فيها عن فكرة إنشاء الحزب الوطني : " أدرك فتحي رضوان أننا نعيش في عالم كاذب عندما اكتشف في مذكرات محمد فريد أن عباس حلمي الأول حاكم مصر هو الذي اقترح على مصطفى كامل ومحمد فريد إنشاء حزب جديد يسمى الحزب الوطني في عام ١٩٣٢ حتى يحاربوا الإنجليز، وكان عباس حلمي يكره الإنجليز ويدفع إلى مصطفى كامل راتبًا شهريا في السر (كما ذكر محمد فريد في مذكراته) حتى يعيش حياة كريمة.. وطلب مصطفى كامل من محمد فريد أن يتوسط له عند الخديو عباس حلمي ليزيد نفحاته ومكرماته له لأن الزعامة تحتاج إلى بعض المصاريف.. ألم يكتبوا لنا في كتب التاريخ أن الحزب الوطني هو فكرة مصطفى كامل ومحمد فريد؟.. ألم يكتبوا لنا كلامًا كذبًا في كذب؟.. ترى من الذي يكتب كتب التاريخ في المدارس ويزيفها؟.. هل هو وزير التعليم؟.. هل هو رئيس الوزراء؟.. هل هو رئيس الجمهورية؟.. ثمة شخص ما مسؤول لكنه حقير حقارة لم تشهد الإنسانية مثلها فهذا الحقير الذي يزيف

الوقائع والأحداث ويتبول في عقول الأجيال بجراثيم ومياه بولية فكرية عفنة فنخرج من المدارس أغبياء نجهل حقيقة تاريخنا وحقيقة الأشياء.."[1].

يتحدث الكاتب في النص عن تزييف بعض الوقائع والأحداث التاريخية، وتأثيرها ذلك على الأجيال القادمة ، وذلك من خلال تناصه مع مذكرات الزعيم "محمد فريد" الذي يتحدث فيها عن فكرة إنشاء الحزب الوطني، التي ترجع إلى الملك عباس حلمي الثاني، حيث كان الهدف منه محاربة الإنجليز لإجلائهم عن مصر، ويتضح من خلال النص أن ما قاله محمد فريد في مذكراته عن الحزب الوطني، وفكرة إنشائه تتعارض مع ما تعلمناه أو قرأناه في الكتب التي تتحدث عن تاريخ مصر، فمن المعروف أن الزعيم مصطفى كامل هو صاحب فكرة إنشاء الحزب الوطني.

ويوضح الكاتب تفاصيل إنشاء الحزب الوطني ، مؤكدًا على فكرة أن الخديوي عباس حلمى الثاني يعتبر مؤسسًا سريًا له ، وذلك من خلال التناص في الرواية نفسها ("قهوة سادة") مع جزء آخر من مذكرات الزعيم الوطني "محمد فريد" :

" يقرأ مذكرات محمد فريد الزعيم الوطنى.. فى صفحة ٥٤ يقول الزعيم محمد فريد: (في خريف ١٩٠٦ توسط الدكتور صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلًا اجتمعنا أنا ومصطفى كامل والدكتور صادق ولطيف سليم باشا وهو ابن سليم باشا الحجازي

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ١٨٣.

أحد قادة الجيش المصري في عهد محمد علي ووالده فؤاد سليم زميل وصديق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق.. وقابلنا الخديو عباس حلمى الثانى ليلًا في عزبة مسطرد وهي تابعة لمركز شبرا الخيمة في محافظة القليوبية.. وفي هذه الليلة اتفقنا على تأسيس الحزب الوطني والنادي وجرائد الاتندار بالفرنسية والإنجليزية، وكنا مختلفين في أن يكون الحزب سريًا أو علنيًا وكان رأى الخديو بأن يكون سريًا، وبأن ينتخب أعضاء لجنته سرًا ولكن تغلبنا على هذه الفكرة وجعلناه جهريًا.. وكان الخديوي يريد أن يطعن الإنجليز بسبب كرهه للورد كرومر.. أسسنا شركة الاتندار برأسمال قدره ٢٠ ألف جنيها.. دفعت أنا منها ٥٠٠ وأوعز الخديو عباس إلى الكثير من الأغنياء بالدفع فدفعوا.. مثل الأمير جميل طوسون ومدحت باشا يكن وغيرهما.. أخبرني بذلك الأمر مصطفى كامل عند وفاته.. ومصطفى كامل نفسه اكتتب بألف جنيه ولكن لا أدري إن كان الخديو دفع له في هذا المشروع أم لا لأنه رحمه الله كان يخفي علىَّ كل ما يختص بالمساعدات المالية التي كان يأخذها سواء من الخديو عباس حلمي الثانى أو من السطان عبد الحميد، على أنه اعترف بأنه أخذ مساعدات كثيرة من الخديو ولكنه لم يعترف لي مطلقا بأخذ شئ من السلطان).

هكذا نعرف أن الخديو عباس حلمى الثانى صاحب فكرة الحزب الوطنى ومؤسس سرى ونعرف من المذكرات تدعيمه للزعيم مصطفى كامل ومن السلطان عبد الحميد.. لماذا خدعونا بأن أسرة

محمد على خائنة؟ وكيف تحول بعض أفراد هذه الأسرة إلى مصريين شرفاء، وأحبوا هذا البلد..(١)

ويتضح من خلال النص الذي تناص معه الكاتب دعم ومساندة الخديوي عباس حلمي الثاني للزعيم مصطفى كامل لتأسيس الحزب الوطني.

ويستمر الكاتب في الحديث عن تأسيس الحزي الوطني ، وإعلان مبادئه ، وذلك من خلال استمراره في التناص مع مذكرات الزعيم الوطني "محمد فريد" في الرواية نفسها (قهوة سادة) :

" ويذكر محمد فريد في مذكراته: (في صيف ١٩٠٧ سافر مصطفى لأوروبا في ٢٧ يونيه على ما أذكر وقمت مقامه في مراقبة الجرائد فكنت أكتب دائما في الجريدة الفرنسوية التي ظهرت في مارس سنة ١٩٠٧ ولما عاد في أواخر سبتمبر ذهبت لمقابلته بالإسكندرية على الباخرة. وكان الدكتور رمضان بانتظارنا في لوكاندة "أبات" فلما رآه مصفرًا أخضر اللون قال لي همسًا إن حالته الصحية غير مرضية، ولابد أن يكون مصابًا بالسل، وهذه هي عبارته بالفرنساوية il file du mauvais coton.

في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى في الإسكندرية خطبة طويلة أعلن فيها مبادىء الحزب العشرة (هذه الخطبة كانت في مساء الثلاثاء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ بمسرح زيزينيا) وقد استعرض فيها

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ١٩٨ ، ١٩٩.

الحياة السياسية في مصر بعد الوفاق الودي وفنَّد التهم الموجهة إليه بالتعصب وإثارة الروح الطائفية غير أن الخطبة لم تتضمن المبادىء العشرة كما أشار محمد فريد بذلك كما لم تتضمن مبادىء أخرى معينة إنما هي من نوع الخطب الوطنية الطويلة التي اعتاد مصطفى كامل أن يلقيها في المناسبات المختلفة وإن تميزت هذه الخطبة عن غيرها بوضوح الفكرة. ثم زاد عليه المرض ولزم الفراش مدة واضطربت ماليته كثيرا بسبب المضاربات التي كان دخل فيها هو وأخوه علي. ولما رأى ازدياد حالته أسرع بتأسيس الحزب وخطب خطبته في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ (وهي الخطبة التي ألقاها في أول جمعية الخطب الوطنية الطويلة التي اعتاد مصطفى كامل أن يلقيها في المناسبات المختلفة وإن تميزت هذه الخطبة عن غيرها بوضوح الفكرة)، وتأسس الحزب بالكيفية المعروفة ومن يومها لم يفارق غرفته حتى مات، وأنا والدكتور صادق بجواره إلى أن أسلم الروح ودفن في مشهد لم يسبق لغيره بمصر، تجلت فيه الحركة الوطنية في أجمل مظاهرها وأخذ الإنكليز والخديو يحسبون لها ألف حساب.

من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب رئيس يكون طوع أمره ليستعمله في أموره الشخصية وليحارب به الإنكليز فأرسل رجاله في الجنازة والمأتم ونفس الشيخ علي يوسف عدو مصطفى والمنافس له في جميع أموره، حضر المأتم والليالي الثلاث الأولى وكذا عرف باشا من رجاله أيضاً وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف

المويلحي أو عرفي باشا وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه. كل هذا لم يفد وفي يوم انعقاد الجمعية العمومية التي كانت دعوتها يوم ١٤ فبراير أي بعد الوفاة بأربعة انتخبت بالإجماع، وممن لعبوا دورًا مهمًا في هذه المسألة بإيعاز الخديو: علي بك فهمي كامل فإنه كان يريد أن ينتخب بصفته أخو الفقيد وجهز أوراقًا مكتوبًا عليها اسمه ووزعها على بعض الحضور وأدخل في محل الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة وخطب في الحضور مرشحا لي بناء على جواب كان كتبه له أخوه من أوروبا يوصيه فيه بانتخابي رئيسًا لو فاجأه القدر المحتوم. هكذا كان الحزب الوطنى القديم..(١)

يوضح الكاتب في النص خطوات تأسيس الحزب الوطني القديم برئاسة مصطفى كامل ، والكيفية التي تم بها انتخاب محمد فريد لرئاسة الحزي بعد وفاة مصطفى كامل، بعد التنافس الشديد بين محمد فريد ، وبين علي فهمي كامل شقيق مصطفى كامل على رئاسة الحزب.

ونرى من خلال النصوص السابقة التي تناص فيها الكاتب مع مذكرات "محمد فريد" أن الكاتب قد لجأ إلى التناص معها ليرصد من خلالها حدثًا هامًا في تاريخ مصر ألا وهو تأسيس الحزب الوطني برئاسة مصطفى كامل عام ١٩٠٧، بناءً على اقتراح من

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠.

الخديوي عباس حلمي الثاني ، وقد ربط الكاتب هذه المذكرات بالفكرة التي يريد التعبير عنها (وهي تزييف بعض الأحداث والوقائع التاريخية) ربطًا فنيًا حتى لا تتحول الرواية إلى عمل تاريخي.

ونجد هنا أن التناص مع تلك المذكرات قد أظهر بعض الجوابن الإيجابية الخفية في حكم أسرة محمد علي لمصر، حتى وإن كان – من وجهة نظري – الهدف من وراء اقتراح الخديوي عباس حلمي بإنشاء الحزي الوطني هو مصلحته الشخصية ، حيث إنه كان معارضًا لسياسة اللورد كرومر التي كانت تستهدف مشاركته في السلطة ، لكنه كان يريد التمتع بالسلطة الكاملة على مصر، إلا أن هذا الهدف الخفي جعله يتودد إلى الشعب، وأذكى في مصر شعلة الوطنية الخامدة ، وجرأ المصريين على مناهضة الاحتلال، وذلك عن طريق اللجوء إلى القوى الداخلية والتعاون معهم لإجلاء الإنجليز عن مصر، ومن أهم صور هذا التعاون هو اقتراح فكرة إنشاء الحزب الوطني ، ومساندته لمصطفى كامل رئيس الحزب، كما كان التناص هنا كاشفًا لبعض الحقائق التاريخية التي يجهلها القارئ.

وقد لجأ الكاتب إلى ظاهرة التناص في سرد هذا الحدث الهام بدلًا من السرد الوصفي للحدث، حتى لا يدخل القارئ في دائرة الملل بسبب الإطالة في سرد الحدث، وذكر بعض التفاصيل التاريخية التي قد تخرج النص من إطار التشويق والإمتاع.

ويستمر الكاتب في اللجوء إلى ظاهرة التناص تعبيرًا عن أفكره فقد تناص الكاتب في الرواية نفسها (قهوة سادة) مع نص آخر من مذكرات الزعيم الوطني "محمد فريد" ، ليوضح مشاركة الطلاب في الحياة السياسية ، وذلك من خلال النص التالي :

" قالت ناهد حجازى لى:

- أنت بتشرب قهوة بجنون.. كتير قوى؟
- أعرف القهوة قتلت بلزاك الكاتب الرائع
- كويس إن الدكاترة منعوك من القهوة، إنت لسه طالب، أمال لما تتخرج حتعمل إيه؟
- الطلبة هم أسس الثورات.. المظاهرات شالت ديجول.. بتقرى جرايد والا لا؟
- يا رجل دا فى فرنسا مش فى مصر
- سأحكى حكاية فى مذكرات محمد فريد وقعت حادثة يوم ١٨ فبراير ١٩١٥

السلطان حسين كامل كان يزور المدارس العليا لاستمالة الطلبة إليه، ولكن ٨٥ طالبا غابوا من مدرسة الحقوق بقصد فى هذا اليوم فحوكموا على ذلك بمعرفة مجلس إدارة المدرسة، فقرر طرد ٥٤ منهم نهائيا، وحرمان ١٨ من امتحان آخر السنة. ثم سعى أولياء الأمور لدى الحكومة فعفى عنهم السلطان حسين كامل إلا سبعة عشر طالبا أُعتبروا محرضين لهذه المظاهرة.. كل هذا يعنى أن الطلبة قوة كبرى تجبر السلطان على زيارتهم.. حتى جمال عبد

الناصر كان له خطاب سنوى فى جامعة الإسكندرية.. احنا قوة يا ناهد.. الطلبة هم قوة الوطن.. فاهمة.."[١]

يتحدث الكاتب في النص عن انتفاضات الطلاب، ومشاركتهم في الحياة السياسية عن طريق المظاهرات، باعتبارهم إحدى القوى الهامة في المجتمع، والضلع الرئيسي ليقام أي ثورة، فنجد في النص بطل الرواية "فتحى رضوان خليل" – باعتباره شخصية مناضلة من أجل لوطن تتصف بالزعامة، وهذه الزعامة نبعت من كونه رئيسًا لاتحاد الطلبة في الجامعة – يتحدث عن المظاهرات التي قام بها الطلبة والعمال وغيرهم في فرنسا عام ١٩٦٨ ، وأدت إلى عزل الرئيس شارل ديغول.

وقد تناص الكاتب في النص مع مذكرات الزعيم الوطني "محمد فريد" ، والتي يصف فيها واقعة تعبر عن إحدى الانتفاضات التي قام بها الطلاب في مصر على مدار العقود التاريخية الماضية ، فعند إعلان السلطان حسين كامل رغبته في زيارة مدرسة الحقوق اتفق معظم لطلاب على لامتناع عن الحضور في اليوم المحدد للزيارة (١٨ فبراير ١٩١٥) فكان هذا الإضراب شبه مظاهرة ضد الحماية البريطانية له، وإعلانًا واضحًا عن دور الطلاب السياسي، وهو الأمر الذي أثار غضب السلطان ، وقرر طرد بعضهم وحرمان الباقي من الامتحان ، إلى أن وصل الأمر بعد سعي أولياء الأمور

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٢٦٦.

إلى العفو عنهم إلا سبعة عشر طالبًا، باعتبارهم هم الزعماء المحرضين لتلك المظاهرات .

ونجد أن التناص هنا جاء معبرًا ومؤكدًا على الفكرة التي يعرضها الكاتب من خلال النص السردي ، والتي أثبتها التاريخ، وهي أن الطلبة هم قوة الوطن، باعتبارهم وقود الحركة الوطنية، لذلك يخشى الحكام هذه القوة دائمًا ، لأنها تكافح ضد الظلم والفساد، كما أبرز التناص المشاعر الذاتية لبطل الرواية "فتحى رضوان خليل" ، فهو يشعر بالفخر لانتمائه لأهم قوى الوطن (الطلبة) باعتباره طالبًا ثوريًا ، زعيمًا للطلاب داخل الجامعة ، ورئيسًا لهم في اتحاد الطلبة، مدافعًا عنهم وعن حقوقهم، ويقوم بحل المشكلات التي تصادفهم داخل الجامعة.

وقد نجد أن التناص مع المذكرات قد أعطى للقارئى المعاصر صورة أكثر وضوحًا عن الأحداث السياسية الماضية ، مما يجعل القارئ معايشًا لتلك الأحداث، وخاصة أن الكاتب قد وظفها في ثنايا السرد بصورة مقنعة، حيث إن وظيفة بطل الرواية "فتحي رضوان خليل" وطبيعة شخصيته، هي التي جعلت اطلاعه على تلك المذكرات أمرًا طبيعيًا ، فهو صحفي مثقف محب للقراءة، كما أنه متأثر بكل الأحداث السياسية التي تحدث من حوله ، فنجده على مدار الروايات حاملًا هموم وطنه على عاتقه ، ولذلك نجده مهتمًا بكل شيء يخص وطنه ، ويريد أن يعرف كافة التفاصيل التي تخص تاريخ الوطن.

ثالثًا : التناص مع الأماكن التاريخية :

ويقصد به هنا التناص مع أسماء شوارع وأماكن عديدة داخل مصر، وسبب تسميتهم بتلك الأسماء التي وضعت فوق اللافتات المعلقة على جدران حوائطهم ، والأهم من ذلك تاريخ تلك الشوارع المصرية الذي يحكي عن صفحات عريضة من تاريخ مصر ، حيث إن "شوارع أي مدينة، كتاب مفتوح يروي تاريخ هذه المدينة، وربما تاريخ الوطن كله " (١)

وقد لجأ الكاتب في روايته "قهوة سادة" إلى تلك الظاهرة الفنية، حيث نجده قد تناص مع تاريخ بعض الشوارع المصرية، معبرًا من خلالها عن تاريخ مصر بعصوره المختلفة، وكأنه يدعو القارئ إلى قراءة تاريخ مصر من خلال أسماء وتواريخ ، وتفاصيل شوارعها، على أساس أن " الشوارع خير شاهد حي على التاريخ"(٢)

وهكذا نجد الكاتب في رواية " قهوة سادة" تناص مع التاريخ العريق الذي يحمله أحد أشهر الأحياء الموجودة بمصر وبخاصة في مدينة الإسكندرية وهو "حي مرحم بك" ، وسبب تسميته بذلك الاسم ، وذلك من خلال النص التالى :

" في الإعدادي كنت أذهب إلى كتاب في حى غربال ، وأركب عربة حنطور بخمسة قروش ، وكان الشيخ فرحات حقيقة استلهمتها

---

(١) عباس الطرابيلي ، شوارع لها تاريخ : سياحة في عقل الأمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١، ٢٠٠٠م ، ص ٧.
(٢) السابق / ص ٩.

من واقع حي غربال ، أرض الفقراء والأثرياء والسحر والغجر، وباقى أمراء أسرة محمد على..
فى المرحلة الثانوية اصطدمت بكراهيتى للأحياء كان الأستاذ (باسطة) مدرس الأحياء شديد القسوة[.......] أما في اللغة العربية فقد كنت أحب الأدب، فقط الذى كان يستهوينى.. [.........] الذاكرة قليلًا ما تفتح أبوابها للدروس التى نتلقاها، على الديسك في الفصل نحفر أسماءنا بالمسطرة الحديدية أو بالبرجل، كل واحد يحفر اسمه على الديسك الذي يجلس عليه، ربما لأننا نبحث عن تحقق أسمائنا، ونعشق أسماءنا لأننا نبحث عن ذواتنا.
حي غربال جزء من حي محرم بك، لم يطلقوا على الحي اسم حسن باشا الإسكندراني، ولا اسم ابنه محسن باشا، ولكن سموا الحى باسم محرم بك.. اكتفوا فقط بإطلاق اسم "حسن باشا الإسكندراني" على شارع، وهو شارع الإسكندرانى.. من هو البيك هذا الذى يدعى محرم بك؟.. لا أحد يعرف من أهل الحي.. محرم بك سمي على اسم محرم بك صهر محمد علي، محمد على باشا".
من مواليد عام ١٧٩٥ بمدينة قولة اليونانية ، وامضى بها صباه وتزوج من تفيدة هانم كريمة محمد علي باشا ، وظل يشغل منصف محافظ الإسكندرية حتى وفاته في ٢٠ ديسمبر ١٨٤٧ ، وظل قائدًا للأسطول البحري المصري حتى عام ١٨٢٦ ، وقبلها شغل منصب محافظ الجيزة، ودفن بمسجد النبي دانيال، وتقديرًا لمجهوداته وبطولاته أطلق اسمه على أحد أحياء الإسكندرية ، يعتبر حي

الطبقة الأرستقراطية ، حيث تنتشر بالحي القصور والفيلات، كما أنه متاخم لمحطة السكة..."[1] .

يتحدث بطل الرواية " فتحى رضوان خليل" في النص السردي عن ذاته ، فهذا المواطن البسيط يعيش في الإسكندرية، ويذهب الى الكُتاب في حي غربال، أحد أقدم وأشهر مناطق الإسكندرية، وهو يقع بين محرم بك وكرموز ، وقد سمي الحي بهذا الاسم نسبة إلي المؤرخ المصري الدكتور محمد شفيق غربال، الذي أنشأ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. ويصف فتحي رضوان واقع هذا الحي، فعلى الرغم من البساطة التي يتمتع بها هذا الحي وأهله، إلا أن أرضع كانت تضم طبقات عديدة في المجتمع المصري، فهو أرض الفقراء ، والأثرياء والسحر والغجر، كما كان يعيش على أرضه باقي أمراء أسرة محمد علي.

وقد تناص الكاتب في النص السردي مع تاريخ حي محرم بك، الذي يعد حي غربال جزءًا منه، والذي يقع وسط الإسكندرية ، وقد وصفه الكاتب بحي الطبقة الأرستقراطية ، وذلك نتيجة انتشار القصور والفيلات به ، وقد سمي بذلك الاسم نسبة الى محرم بك صهر محمد علي، حيث إنه "في مصر لم تكن هناك أسماء للشوارع حتى عهد محمد علي باشا، بل كانت هناك أحياء أو مناطق تحمل أحيانًا اسم القبيلة التي عاشت فيها في البداية، فمحمد علي باشا هو أو حاكم لمصر يصدر مرسومًا بتحديد أسماء

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٧٠ ، ٧١.

الشوارع ، وأيضًا بتركيب لافتات تدل عليها ، وأرقام لكل مبني"[1].

ويتضح من خلال النص أنه على الرغم من أن محرم بك ينتمي إلى أسرة محمد علي ، إلا أن تسمية الحي باسمه كانت تقديرًا لمجهوداته وبطلاته فى الأسطول البحري المصري.

ويستمر الكاتب في استخدام تلك الظاهرة الفنية ، وذلك من خلال تناصه في الرواية نفسها (قهوة سادة) مع تاريخ شارع "محسن باشا" ، كما في النص التالى :

" ورثت عن أبى حب الوطن بطريقة عشوائية، وحب النظام، والنظافة، وحب عمل الخير فى أهله وغير أهله.. حانت الفرصة لأبى أن ننتقل بالسكن إلى محطة الرمل بجوار سينما ماجستيك فى شارع شكور بالإسكندرية، إلا أنه أصر أن يقيم فى شارع محسن باشا.. ومحسن هو أحد الباشاوات الذين كانوا يقطنون محرم بك وهو موازٍ لشارع الإسكندرانى، وهو (الإسكندرانى باشا) أيضًا يمتد إلى شارع منشا باشا ، وهو يهودى الأصل.. منشا باشا له قصر ، والأشجار تحيط بالشارع والهدوء، أما شارع محسن باشا فكان فى نهايته وبالقرب من الشارع الموازى له "شارع الإسكندرانى" قصر البرنسيسة أميرة تركية من العائلة العلوية "عائلة محمد على".

---

(١) عباس الطرابيلى ، شوارع لها تاريخ ، ص ٧ ، ٨.

هجم الغجر على شارع محسن في قافلة، بنوا على ترعة المحمودية بيوتًا من الصفيح والخشب، عملوا فى التجارة وفي السحر، والحواة، والجزارة، والحدادة، وزحفوا إلى شارعنا.."[1]

بدأ الكاتب في النصر بذكر بعض الصفات الحمية التي يتحلى بها والد بطل روايته "فتحي رضوان خليل" ، ومن أهم هه الصفات حبه الشديد لوطنه ، تلك الصفة التي ورثها لابنه فتحي رضوان ، والدليل على تأصل تلك الصفة به هو تمسكه بالبقاء في شارع محسن باشا، على الرغم من انتشار الغجر به، ورفضه الانتقال إلى السكن في محطة الرمل.

وقد تناص الكاتب في النص مع حكاية شارع محسن باشا، والذي يرجع سبب تسميته بهذا الاسم محسن، أحد الباشاوات الذين كانوا يعيشون في حي محرم بك بالإسكندرية، الذي يوجد به قصر البرنسيسة أميرة التية تنتمى لعائلة محمد علي.

ويستمر الكاتب في عرض بعض الأحداث التاريخية من خلال التناص في الرواية نفسها ("قهوة سادة") مع تاريخ بعض الشوارع والحارات المصرية، ويتضح ذلك من خلال النص التالي:

" ـ أحلم بجائزة نوبل وإن تأخرت، فكثير ممن نالوها كتاب ضعاف

– يا راجل..

– هذا مجرد رأى وأسألى برنارد شو الكاتب الإنجليزى ماذا قال عن جائزة نوبل؟

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ١٤٦ ، ١٤٧.

ضحكت قالت:

- سأوصى لك بعمل شارع باسمك فى مصر

ضحك ثم قال لها:

- معظم شوارع مصر بأسماء الخدم والخونة فى تاريخها..

اندهشت قالت:

- كيف هذا؟

هناك شوارع بأسماء زعماء وقادة خونة وأعطيك أمثلة ودليل (حارة برجوان) وهى اسم الخادم برجوان الذى كان فى أيام العزيز بالله الفاطمى (نزار العبيدى الفاطمى) ثم كان برجوان هذا مدبر مملكة الحاكم بأمر الله، وهذه الحارة فى منطقة الجمالية حتى الآن باسم (برجوان) وهناك محلات وفنادق باسم برجوان، والغريب أن الحاكم بأمر الله اكتشف خيانته بسرقة أموال العامة من الناس وتكسبه من منصبه وسرق الملايين من جيوب المصريين فأمر بقتله وحجز أمواله فى بيت المال، وكان الحاكم فى ذاك الوقت يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، لكن المصريين مازالوا يقدسون اسمه فى كل الأمكنة برجوان، مصر عبيطة..

(حارة فندق مسرور) وهو خادم فى الدولة الفاطمية وكان قاسياً وكان يجلد الناس فى الشوارع ويخصى الرجال أمام زوجاتهم، بحكم صلاحيته بتطبيق العدل، ومع ذلك المصريون تركوا اسمه حتى الآن، الذى كان يخصيهم سموا باسمه مش بقولك مصر عبيطة..

(حارة بهاء الدين قراقوش) وهى منسوبة إلى بهاء الدين قراقوش خادم صلاح الدين الأيوبي، وهو عبد خصى، بنى القلعة، وبنى سور مجرى العيون، وأذاق المصريين الأمرين جلدا وسجنا وسخرية وإلى الآن اسمه موجود..

(حارة الديلم) منسوبة إلى الديلم الواصلين صحبة أفتكين غلام معز الدولة بن بويه..

حارة "درب" الملوخية منسوبة لأمير اسمه ملوخية كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان يعرف أيضاً باسم ملوخية العنتراش، وهو ابن أحد فراشى القصر..

(قصر الشوك) حوَّله المصريون إلى اسم قصر الشوق، مع أن القصر كان مرعباً لكل من دخله، لأنه مقر عقاب وسجن للناس..

(حارة العطوف) منسوبة إلى الخادم عطوف أحد خدام القصر فى الدولة الفاطمية وكان الخادم المقرب من الأميرة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله.

يا ناهد هذه مصر عبيطة.. المدينة التى نحيا بها مدينة الإسكندرية جزء من مصر التى هى جزء من الوطن العربى.. مصر تسمى أسماء الشوارع بأسماء القاتل والمقتول..

في القاهرة فى حى الزيتون اسم بشارع طومان باى البطل الذى قاوم الاحتلال العثمانى والشارع المقابل له باسم سليم الأول العثمانى الذى قتل طومان باى.. فى عقل مصر عقلان: عقل عظيم، وعقل عبيط..

وفى الأقصر معبدان: معبد للإله أوزروريس، ومعبد للإله ست قاتل أوزوريس.. من يرد أن يصلى لإله الشر.. ومن يرد أن يصلى لإله الخير.. أنا لست القاتل ولا المقتول.."[١]

يتحدث بطل الرواية "فتحي رضوان" مع "ناهد حجازي" زميلته في الكلية عن حلمه بأن يصير أديبًا مشهورًا ، وأن يفوز بجائزة نوبل، مثله مثل الكتاب الذين حصلوا عليها ، مع علمه باستحالة الحصول عليها، لكنه يحلم وسيظل يحلم بها، إلى أن أشارت له ناهد عن طريق الدعابة بأنه يستحق أن يكون له شارع باسمه، ولكنه أشار إليها برضه لذلك ، موضحًا لها السبب ، وهو أن معظم شوارع مصر بأسماء الخدم ، والخونة في تاريخها ، مشيرًا بذلك إلى تقدير الوطن لمن لا يستحق التقدير.

وهنا تناص الكاتب مع أسماء وتواريخ وحكايات يسردها بطل الرواية "فتحي رضوان" عن بعض الحارات والشوارع المصرية التي تم تسميتها بأسماء زعماء وقادة خانوا هذا الوطن، تأكيدًا منه على فكرته (تقدير من لا يستحق) التي يطرحها في النص السردي ، وإبراز حالة الظلم التي يشعر بها فتحي رضوان، فإنه كاتب يملك من الموهبة الكثير، يعشق الكتابة ويستخدمها في اكتشاف العالم من حوله ، ولكنه لا يجد تقديرًا في وطنه لأعماله الأدبية.

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥.

وهنا نجد أن التناص مع تاريخ بعض الشوارع والحارات المصرية، قد أظهر صفحات هامة مرت على مصر، كما أدى إلى الغوص في أعماق تاريخ الأمة المصرية، وأيضًا ساهم في أعادة الذاكرة لعقل القارئ المعاصر، ليتذكر التاريخ المصري، ويعرف بعض الشخصيات المؤثرة فيه، سواء بالسلب أم بالإيجاب ، كما يتضح من خلال التناص أنه على الرغم من تحول أشكال تلك الشوارع من عصر إلى آخر، وتغير سكانها وعاداتها وتقاليدها، إلا أنها مازالت معبرة عن الأصالة ، وذلك من خلال التاريخ العريق الذي تتمتع به ، والذي هو جزء لا يتجزأ من التاريخ المصري.

ونجد أن الكاتب في روايته "قهوة سادة" يهتم بالتناص مع تاريخ الشوارع الموجودة في مدينة الإسكندرية، وذلك يرجع إلى أن هذه المدينة هي مسقط رأس الكاتب "السيد حافظ" ، كما أنها أيضًا المدينة التي يعيش بها بطل الرواية "فتحي رضوان خليل" ، ذلك نجده محبًا لكل ركن بها ، متأثرًا بها في كتاباته الروائية.

المبحث الثانى
التناص الأدبى

يقصد بالتناص الأدبي "تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة – شعرًا ، أو نثرًا – مع النص الأصلي ، بحيث تكون منسجمة وموظفة ، ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الأديب".[١] وقد اعتمد الكاتب في رواياته على وسيلة "التناص الأدبي" بأنواع المختلفة – من الشعر ، والقصة – في عرض أحوال الشخصيات وموقفا من الأحداث السياسية.

أولاً : التناص مع الشعر :

ويقصد به لجوء الكاتب إلى استحضار الشعر القديم والحديث ، ومزجه بالنص الروائى، وذلك لإثراء تجربته الروائية من وجهة ، وبيان رؤيته الفكرية والسياسية من جهة أخرى، مثلما تناص الكاتب مع أبيات الشاعر "نزار قباني" التي قالها صارخًا في وجه الأمة العربية بعد نكسة ١٩٦٧م، وذلك في رواية "قهوة سادة" في النص التالي :

"- اسمع يا راجل إنت انت ليه ما بتبطلش تتكلم عن مصر والعرب والتغيير..

- إزاي بس أغير نفسي قوليلي.. نفسي أكون حمارًا وغبيًا زي كثير من الناس مش عارف.. يبدو أن نعمة الفهم والثقافة

---

(١) أحمد الزعبي (د) التناص نصريًا وتطبيقيًا ، ص ٥٠.

نقمة وعذاب".

عبد الناصر ديكتاتور عادل ومحمد علي ديكتاتور عادل والحاكم بأمر الله دكتاتور عادل.. مصر لا تنهض في تاريخها إلا بديكتاتور عادل.. الشعب متمرد كسول لا يحب العمل ويحب الشر والكذب والفهلوة والنصب والتحايل على القانون..

قال نزار قبانى لعبد الناصر بعد النكسة:

أرغمنى جُندك أن آكل من حذائى
يا سيدى..
يا سيدى السلطان
لقد خسرت الحرب مرتين.
لأن نصف شعبنا ليس له لسان
ما قيمة الشعب الذى ليس له لسان
لأن نصف شعبنا
محاصر كالنمل والجرزان
لو أحد يمنحنى الأمان
من عسكر السلطان ..
قلت له : لقد خسرت الحرب مرتين
لأنك انفصلت عن قضية الإنسان"(١)

---

(١) رواية قهوة سادة ، ص ٧٩ ، ٨٠.

يتضح من النص السابق مدى استياء "فتحي رضوان" من سياسة الحكم في مصر على مر التاريخ، فهو يرى أن الحكام لم يتسفيدوا من الخبرات والتجارب والأحداث التي مرت بها مصر عبر السنين الماضية ، وليس لديهم استعداد للاستفادة منها ، والدليل على ذلك اتباعهم نفس السياسة الدكتاتورية في الحكم، مما يجعلهم يقعون في نفس الأخطاء الماضية مرة أخرىن فيؤدي ذلك إلى توالي لعنات الانكسارات والنكبات، والهزائم المتكررة على مصر ، وآخرها نكسة ١٩٧٦م.

وقد تناص الكاتب في النص مع أبيات شعرية من قصيدة "هوامش على دفتر النكسة" للشاعر "نزار قباني"، وهي قصيدة سياسية كتبها عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وانتقد فيها نظام الحكم في مصر إبان حكم الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" ، وجاءت القصيدة ناقلة للواقع الذي تعيشه الأمة العربية بعد نكسة ٦٧ ، ومعبرة عن حالة الألم والتمزق التي يشعر بها العرب، كما جاءت كاشفة عن سخطة وهجومه على النظام العربي.

وقد استعان الكاتب بتلك الأبيات الشعرية ليوضح وجهة نظر بطل روايته "فتحى رضوان" في حكم الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" لمصر، وليبرز مدى المصري فيه ، كما أظهر التناص طبيعة بعض المصريين الذين يمارسون رزيلة الخوف والسكوت، كأنهم سعب ليس له لسان، فنجدهم يمارسون تلك العلة بحجة أن القائد يرى ويعلم ما لا يعلمون، وقد كانت تلك الحجة أيضًا أحد أكبر أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

وقد ظهر هذا النوع من التناص في رواية "كابتشينو" أيضًا ، حينما تناص الكاتب مع بعض الأبيات للشاعر "محمود درويش" في النص التالي :

" تهانى اختارها فتحى لتكون شريكته فى الحياة وأن تصبح زوجته [......] قال لها: ...... أنتِ والكتابة صنوان ، عشق وجمال.. سأكتب على جسدك وأنتِ عارية أنتِ كتابة من نوع آخر لا يعرفها إلا العارفون.. أنتِ تغريد النساء ولى عيد.. قال محمود درويش :

وأكتب عنك بلادًا ويحتلها الآخرون.

وأرسم فيك جوادًا ويسرقه الآخرون.

وأكتب .. أرسم .. وأجعل ذراعيك فاتحة الحزن والزهر.

وأعود إلى الأرض.. وأصاهر في كفّك الحجر".

نجد من خلال النص السردي ان الكاتب تناص من خلال شخصية "فتحي رضوان خليل" مع أبيات شعرية من قصيدة "تاملات في لوحة غائبة" للشاعر الفلسطيني "محمود درويش"، وذلك لإبراز حالة اليأس التي سيطرت على "فتحي رضوان " نتيجة ضياع أحلامه داخل وطنه ، وإحساسه الدائم بالعجز عن تحقيقها، في ظل ما يمر به الوطن من ظروف سياسية، واجتماعية تحول بينه وبين تحقيق ما يحلم به، مما ادى إلى تسرب شعور الغربة على أرض الوطن إلى نفسه، فعلى الرغم أنه يعيش ببدنه داخله ، إلا أنه يشعر دائمًا أن نفسه تحلق في فضاء غريب، ولكنه مع ذلك لا يتسطيع الاستغناء عن عشقه لوطنه.

ومن مواضع التناص العشري هذه الأبيان من رواية "ليالي دبي: شاي بالياسمين" ، التى جاءت على لسان "فتحى رضوان" بطل الرواية ، فقد تذكر هذه الأبيات ورددها في هذه اللحظة ، للكشف عما يدور في ذهنه، حيث أنه كان يفكر في مصر ، ويستعرض في ذهنه الوضع الأخلاقي الذي وصل اليه المصريون، كما في النص التالى :

" هذا وطن كل منا يسجن الآخر دون قانون.. ينظر المصرى للمصرى على أنه زبون.. والزبون لابد أن يسرق بأى شكل من الأشكال.. الرزق فى مصر أصبح يشبه الاصطياد.. السائح لابد أن يسرق إما برفع السعر إلى أربعة أضعاف أو إلى سرقة أغراضه.. المصرى لا يقول شكرا للبقشيش إذا حصل عليه.. ولا يحب النظافة فالشوارع كلها زبالة بلا استثناء.. المطاعم كل أيادى العمال متسخة.. كل الأوراق المالية المستخدمة فى مصر تنقل الأمراض متسخة جدًا.. أكواب المياة تنقل من فم إلى فم دون غسيل وزجاجة الماء تنتقل من شفاة لشفاه دون استخدام أكواب.. كل مصر تحتاج إلى استئصال أفكارها وسلوكها وبتر الفاسدين فيها حتى تبدأ في حالة تعافي.. قال المتنبي عن المصريين بعد خمس سنوات من إقامته فيها:

وماذا بمصر من المضحكات	ولكنه ضـــــحك كالبـــكا
بها نبطي من أهل الســـواد	يدرس أنسـاب أهل الفــلا
وأســـــود مشــفره نصفـه	يقـال لـه أنت بـدر الدجــا
وشـــعر مدحت به الكركدن	بين القريض وبيـن الرقــا

فما كـــان ذلك مدحـــــا لـه ولكنه كان هجــــو الورى
وَقَدْ ضَلّ قَـــوْمٌ بأصْنَامِهِمْ فـأمّا بِـزِقّ رِيَـــــــاحٍ فَلا
وَتِلكَ صُموتٌ وَذا نـاطِــــقٌ إذا حَرَّكوهُ فَسـا أو هَذى
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُـــــهُ قَدْرَهُ رَأى غَيرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى

فصاحب هذه الأبيات هو" المتنبي"، الذي عرف من خلال شعره باعتزازه بعروبته ، كما أنه صاحب كبرياء وشجاعة ، وطموح وحب للمغامرة ، وقد قال هذه الأبيات التي تناص معها الكاتب متعجبًا مما رأي في مصر من امور مضحكة ، ولكنه ضحك كالبكاء، فكانت القصيدة بمثابة هجاء للمصريين، بسبب إعجابهم الزائد بأنفسهم إلى درجة استحسانهم لعيوبهم ، وإغفال أعينهم عما يستقبحه غيرهم فيهم.

ونجد أن القصيدة جاءت معبرة عما يدور في وجدان الشاعر، حيث أقام في مصر، وفرض عليه كافور الإخشيدي قيودًا حدَّث من رغباته وتطلعاته، فعلى الرغم من ذهاب المتنبي إلى مصر رغبة منه في تحقيق مجد ومنصب، ونيل مكانة لدي كافور بعدما حدث بينه وبين سيف الدولة الحمداني من وشاية، إلا أن كافور قد خيب ظنه، فهجاه المتنبي وهجا المصريين، معبرًا عن رأيه في سلوكهم.

وقد جاء التناص مع تلك الأبيات كإشارة غير مباشرة دالة على أن حالة التدهور التي حدثت في مصر بكل مستوياتها ــ الأخلاقي والاجتماعي، والصحي والتعليمي ــ ليست وليدة ذلك العصر، أو تلك الفترة التاريخية التي تتحدث عنها الرواية ، بل إن المجتمع

المصري كان وسيظل مليئًا بالمتناقضات ، ويعاني من أزمات أخلاقية عديدة ، لابد من استئصالها حتى حتى تبدأ مصر في التعافي من آفة الفساد، ومما يسلكه المفسدون من سلوكيات خاطئة ومشينة تسيء لمصر، ولسمعة المصريين ، فنجد أن الأبيات الشعرية التي تناص معها الكاتب برغم قسوتها، إلا أنها جاءت ناجزة وموجزة ، لتعبر بصورة صحيحة عما يحدث في مصر ومن المصريين ، ووصفته بأنه ضحك كالبكاء.

وقد عاود الكاتب التناص الشعري في الرواية نفسه (ليالي دبي : شاي بالياسمين) من أبيات شعر للشاعر"عبد المعطي حجازى"، رددها بطل الرواية "فتحى رضوان" داخل نفسه، وذلك بسبب إحساسه بوحشة الغربة عند وصوله إلى دبي، وذلك كما يلى :

" دبي يا وحشة الروح ليس لي مكان ولا زمان عندك.. ليس لي عنوان ولا هاتف ولا صدر حنون.. كيف لا أجد سكنا ولا عملا بك.. دبي يا غربتي الثانية بعد مصر.هربت من غربتي في مصر وجدت غربتي هنا. أنا الروح المبعثرة في هذا الوطن من المحيط إلى الخليج.. كل هذه المباني الشاهقة.. كل هذه العمارات.. كل هذه البنايات.. لا مكان لي فيها وأنا ضمير الأمة المستتر، وأنا الضمير الغائب.. أنت مثل القاهرة الكافرة والعاهرة.. يا دبي ظننتك نبية التنهيد والتغريد وألوان العيد.. إكشفي عن سرك أنت والقاهرة إكشفي صدرك الخفى.. أنت والقاهرة تقتلاني الآن.. أنت والقاهرة ريا وسكينة تقتلان المبدعين.. يا مدن الأسمنت الباردة.. لا النيل طيب ولا خور دبي أيضاً.. يا إلهي أين أذهب؟؟

أين تنام يا فتى وأنت قادم وحيد من القاهرة؟ هذه مدن المال والنفظ والأعمال.. ابتليت بوهج الإبداع حرقتك الحروف.. جائع في شوارع دبي مثلما كنت جائعا في شوارع القاهرة.. يا أهل الإمارات يا أهل دبي أعطيكم أحلامي الندية البريئة نوراً للعقول المظلمة.. وأعطوني خبزاً ومسكناً ومأوىً.. شربة حنان وماء.. سجادة صلاة.. كي أسأل الرحمن أن يرفع عني البلاء.. يا دبي يا قاهرة المبدعين الحقيقيين هل أنت مدن أم ابتلاء للقلوب الطيبة والعقول العبقرية الحائرة.. دبي هل أنت مثل القاهرة مئذنات كافرة وأسمع صوت عبد المعطي حجازي..

كأنّني طفل رمته خاطئة

فلم يعره العابرون فى الطريق

حتّى الرثاء

أنا هنا لا شيء، كالموتى، كرؤيا عابرة

أجرّ ساقي المجهدة"[١]

لقد بدأ من خلال هذا النص السردي شعور "فتحي رضوان" بالغربة والخذلان عند هجرته من وطنهن وسفره إلى دبي باحثًا عن ذاته، وعن أحلامه وطموحاته، ولكنه على الرغم من أن ضياع ذاته في وطنه هو الذي دفعه إلى المجيء إلى دبي، إلا أنه وجد نفسه بعد تركه للقاهرة قد تخلص من الضياع الذي يشعر به داخل وطنه ، ليواجه ضياعًا من نوع آخر، ألا وهو ضياع الغربة، فنجده

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : "شاي بالياسمين"، مركز الوطن العربي : رؤيا ، ط١، ٢٠١٤م، ص ٣٢٨.

قد أصابته خيبة الأمل عند وصوله دبي، وذلك لعدم ترحيب المدينة به، بل خذلته وبددت آماله وأحلامه.

وقد تناص الكاتب في النص الروائى مع أبيات شعرية من قصيدة "الطريق إلى السيدة" للشاعر "عبد المعطي حجازي" ضمن ديوانه "مدينة بلا قلب" ، والذي عبر فيه عن حالة اغتراب الريفي في المدينة ببراعة ، وبخاصة في قيدته " الطريق إلى المدينة ظنًا منه أنها الملجأ الآمن له ، حيث كان يحلم بأن يشعر فيها بحنان الاحتضان الذي فقده في قريته، ولكن أصابته صدمة عندما وجد نفسه في متاهة ، ولم يجد من يمده إليه يد العون، لذلك وصف القاهرة بأنها مدينة بلا قلب، ووصف ذاته بأنه كطفل رمته امرأة خاطئة على قارعة الطريق، ولم يعره العابرون اهتمامًا.

وهنا نجد أن الأبيات الشعرية التي تناص معها الكاتب دلت على مدى الضياع الروحي والتمزق النفسي الذين يشعر بهما " فتحي رضوان" بطل الرواية، فهو يرى نفسه وحيدًا حاملًا لهمومه وعذاباته ، شاعرًا بالخوف من أن تقلته غربته مثلما فعل وطنه معه وقتل أحلامه ، كما أفصحت الأبيات عن نظرة "فتحي رضوان" لوطنه، فهو بالنسبة له بمثابة الأم التي تخلت عن ابنها، ورمته في الطريق وحيدًا ، ليبحث عن مأوى وملجأ آخر له، بعيدًا عن أحضانها ، وكأنه طفل أنجبته امرأة خاطئة.

ويستمر الكاتب في استخدام ظاهرة التناص الشعري في الرواية نفسها (ليالي دبي : شاي بالياسمين) ، وذلك من خلال تناصه مع

أحد أبيات الشاعر "المتنبي" التي قالها عندما كان يهجو كافور الإخشيدي، وذلك في النص التالي :

- " قالت ست الملك الأخت الكبرى للحاكم بأمر الله:

يا ابن أبي: إن مصر كانت حلماً للفاطميين؛ فأهل مصر يحبون آل البيت أجمعين.. وفشلنا فى فتح مصر ثلاث مرات.. ولكن اعتمدنا فى المرة الثالثة على المعارضة النائمة على بني الإخشيد.. وعلى تمرد الجند الساخطين على انخفاض رواتبهم الشهرية.. ومنذ أن تولى كافور الإخشيد والبلاد تتصدع وأخلاق الناس في عراء وعواء كأنهم مخلوق بريّ شيطاني.. وسواء كان كافور وصياً على تنوجور بن محمد بن طغج الإخشيد أو على أخيه على الذي قتل مسموما أو أنفرد كافور بالسلطة.. ونحن نسعى إلى الوصول للحكم وكانت مصر تعاني من الغلاء والوباء وسخط الشعب واليأس وكانت الأوبئة قد حصدت من البشر في نفس العام ٣٥٨ هجرية (ستمائة ألف مصريا).. وكانت البلد تعاني من الانحلال والفساد الاجتماعي الشامل حتى أنه انتشر الشذوذ الجنسي بين الذكور والإناث عياناً بياناً.. وقد أرسلت جدتك زوجة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي جارية، امرأة جميلة أنيقة فاتنة لتباع فى مصر وتنقل لنا الأخبار فاشترتها.. سيدة أنيقة هي ابنة محمد بن طغج الإخشيد لأن هذه الأميرة تستمتع بالصبايا الحسان.. وحينها قال جدك المعز لدين الله الفاطمي: إن شعب مصر ضعفت نفوس رجاله وذهبت الغيرة منهم فانهضوا أيها الفاطميون إلى مصر لننقذها إن أهل مصر تشاجروا فيما بينهم وتفرقوا وتنازعوا فيما بينهم إلى

طوائف وقبائل وأطياف.. حاول الفاطميون فتح مصر ثلاث مرات سابقة حتى تولى الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ٣٤١هـ، وبدأ في تجهيز جيش ضخم ليفتح به مصر وصل عدده إلى ١٠٠ ألف جندي ، وولى على قيادته جوهر الصقلي.

خرجت الحملة في١٤ ربيع ثاني سنة ٣٥٨ ه / فبراير ٩٦٩ م من مدينة القيروان بقيادة جوهر الصقلي ودخل الإسكندرية فسلمها أهلها دون قتال. وأدرك أهل الفسطاط أنه لا قبل لهم بصد جيوش الفاطميين فأرسل الوزير جعفر بن الفرات رسولاً من العلويين إلى جوهر الصقلي يطلب منه الأمان ، ووافق جوهر وكتب عهداً بنشر العدل وبث الطمأنينة وترك الحرية للمصريين فى اقامة شعائرهم الدينية، إن الفضيلة مختبئة في روح هذا الشعب تحت ركام السنين؛ فمن يخرجها للنور.

وفي١٧ شعبان دخل جوهر مصر (الفسطاط) وخرج الوزير جعفر بن الفرات وسائر الأشراف والعلماء فى استقباله ورحبوا به، وعسكر جوهر فى الموضع الذي بنى فيه مدينة القاهرة. وهكذا زال سلطان الخلافة العباسية والحكم الإخشيدي فى مصر بدون قتال ولا ضربة سيف واحدة وأصبحت مصر ولاية فاطمية في دولة تمتد من المحيط الأطلنطي غرباً إلي البحر الأحمر شرقاً..

وقال عنهم المتنبي:

أغاية الدين أن تحف عنهم وشواربكم.. يا أمة ضحكت من جهلها الأمم.."(١)

ويتضح من خلال النص السردي حالة الفساد والتدهور، والتدني الاقتصادي، والاجتماعي، والأخلاقي التي وصلت إليها مصر في عهد كافور الإخشيدي، مما دفع الفاطميين إلى إنقاذ مصر وأهلها، وذلك عن طريق القضاء على الحكم الإخشيدى في مصر، وتولي ولاية مصر، مثلما كانوا يحلمون ، فأصبحت مصر ولاية فاطمية تحت حكم جوهر الصقلي.

وقد تناص الكاتب في النص مع بيت شعر للشاعر "المتنبي" ورد في واحدة من القصائد التي هجا فيها كافور الإخشيدي، فنجده في هذا البيت كان يأخذ على خارجية فقط، كإحفاء الشارب، وغضوا أبصارهم عن سائر أحكامه، كما يرى أن الأمم قد ضحكت منهم واستهزأت بهم وبقلة عقولهم، وذلك بسبب قبولهم بولاية كافور الإخشيدي رغم سوء ولايته لمصر، والتدهور الذي وصلت إليه في عهده.

وهكذا نجد أن التناص الشعري هنا قد جاء مؤكدًا للفكرة التي يتناولها الكاتب في النص السردي ، كما جاء واصفًا للعقول التي تنساق وراء سياسة حاكمها، وتطيعه دون وعي وإدراك ، بأنها عقول تتسم بالجهل.

---

(١) رواية ليالي دبي ، الجزء الأول : "شاي بالياسمين " ، ص ٣٤٥.

وثمة نموذج آخر يتناص فيه الكاتب مع القصائد الشعرية، فقد تناص مع قصيدة للشاعر "صلاح جاهين" في روايته "مسافرون بلا هوية" ، ولك عندما قرر "إبراهيم عمار" بطل الرواية الهجرة إلى الكويت، وذهب إلى أخبيه الصغير ليودعه ، وسار معًا على ضفاف النيل ، ليودع معه مصر:

" كان فى وجه أخيه وهو يسير معه على النيل سؤال.

- هل ستعود ؟
- طبعًا .
- أخاف ألا تعود إلى مصر.
- أنا ومصر لا نفترق أبدًا.
- أخشى أن تتغير .
- أنا لا أتغير.
- كل الذين سافروا ولم يعودوا كان لديهم الأمل في العودة.

اشتربأخوه زجاجتين من البيبسي ، وقفا يشربانها.. لنشرب البيبسي ، لنشرب المرارة ، مرارة الوداع، في عين أخيه الصغير دمعة، فأحلام الصغير في كلية الحقوق تكمن في وجه الإحساس المتفوق ، والرغبة في الثراء . تحضر في رأس أخيه ثمرة من دخان للهروب الذي بدأ يستشري في رأس الجميع.

إن الأمل لنا. من أي صفحات التاريخ ، أين الأمل ؟ كنتم تقولون لي الأمل غدًا ، كنت يا صلاح جاهين نبراسًا لي ، وأراك تترنح أمامي في شوارع القاهرة سكيرًا يا صديقي، متعبًا نفسيًا ، وأسمع في صوتك :

القمح مش زي الدهب

القمح زي الفلاحين

عيدان نحيلة صدرها بياكل في طين

زي اسماعيل ومحمدين

وحسين أبو عيسى اللي قاسى وانضرب

علشان طلب حزمة سنايل ريها كان بالعراق

عرق السنين

أما الليفي القصر الكبير

ياكل حرير.. يلبس حرير

يبعث رجاله تلمها من على عود الفقير".[1]

يتحدث الكاتب في النص عن الهجرة التي أصبحت حلمًا يراود شبابًا كثرًا، فالهجرة بالنسبة لهم خلاص من واقع أليم يعيشونه داخل وطنهم، لعلهم يستطيعون تحقيق أحلامهم ، وآمالهم التي أجهضت داخل بلدهم، بسبب سوء الأعباء الثقيلة

---

(١) رواية مسافرون بلا هوية ، العربي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ٣٧، ٣٨.

التي تقع على عاتقه ، مما جعله يقع بين دائرتين ، دائرة الاختناق داخل وطنه، ودائرة الهجرة للبحث عن مستقبل أفضل ، ففضل أن يهرب، ويهاجر رغم علمه بالوحدة والحزن الشديد الذين ينتظرانه في غربته، ونجد في النص ذاته أنه مثلما قرر "إبراهيم عمار" الهجرة إلى الكويت ، فإن الحلم ذاته أصبح يراود أخاه الصغير الذي يدرس فى كلية الحقوق، فنجده قد فكر في الهجرة والهروب رغبة منه في الثراء، وذلك يدل على أن الهجرة أصبحت هي الوسيلة التي يلجأ إليها الشباب لتحقيق ما يحلمون به. وهكذا نجد أن الكاتب قد تناص في النص الروائي مع قصيدة شعرية بعنوان "زي الفلاحين" من ديوان "كلمة سلام" للشاعر صلاح جاهين، والتي يقول فيها :

القمح مش زي الدهب
القمح زي الفلاحين
عيدان نحيلة صدرها بياكل في طين
زي اسماعيل ومحمدين
وحسين أبو عيسى اللي قاسى وانضرب
علشان طلب
حفنة سنايل ريَّها كان بالعراق
عرق الجبين

القمح زي حسين يعيش ياكل في طين
أما الليفي القصر الكبير
يلبس حرير
والسنبلة
يبعث رجاله من على
عود الفقير"(١)

وهكذا فقد دارت تلك الكلمات في ذهن "إبراهيم عمار" في أثناء سيره مع أخيه الصغير على ضفاف النيل، فصلاح جاهين قد استطاع من خلال تلك القصيدة التعبير عن معاناة الفلاحين وكفاهم ضد الإقطاع الذي تسبب في ظلمهم وفقرهم، وسوء صحيتهم، ومص دماءهم دون مقابل، فيقول في قصيدته إن سنابل القمح تشبه الفلاحين الغلابة، من حيث إن كلهما عيدان نحيلة ضعيفة، لا تشبه أبدًا الذهي الذي يتزين به الحكام والأغنياء، ورغم ذلك يعاقب الإقطاعيون والأغنياء الفلاحين بالضرب والإهانة عندما يطالبون بحقهم في سنايل القمح المروية بعرق جبينهمن مما يدل على ذلهم واستعبادهم لهم، فصلاح جاهين قد صور الحياة البسيطة التي يعيشها الفلاح المصري الكادح ، وكيف أنها مليئة بالبؤس والفقر، كما نجده على الرغم من القيمة الاقتصادية الكبير للقمح ، إلا أنه في

(١) صلاح جاهين ، الأعمال الكاملة ، دار الصفوة ، لبنان، د.ط، د.ت، ص ١١٠.

تلك القصيدة لم ينظر لقيمته، بل قرنه بالفلاحين الكادحين الذين لم ينالوا حظهم من الدنيا، وصارت أجسادهم هزيلة تشبه سنايل القمح – وذلك دلال على سوء صحتهم وعيشتهم المضنية – ليقارن بينهم وبين الإقاطاعيين الانتهازيين الذين يعيشون داخل القصور، ويلبسون الذهب والحرير ، وذلك على حساب شقاء الفلاحين.

وهنا نجد أن التناص مع تلك القصيدة الشعرية قد عبر عن المعاناة التي يشعر بها بطل الرواية " إبراهيم عمار" داخل وطنه، فالفلاح في القصيدة رمز للمواطن المصري المنهوبة حقوقه، ورغم ذلك يظل مرتبطًا بوطنه ، ويدافع عنه ويفديه بروحه رغم الظلم الواقع عليه من أفراده. كما نجد أن التناص هنا قد فتح نافذة أمام أعين القارئ لينظر منها على الحاضر ، وعلى واقع مجتمعنا الذي نعيش فيه، حيث خضوع المحكومين لسيطرة الحاكم ومن حوله، ممن يمتلكون النفوذ والقوة السياسية التي تجعلهم يستأثرون بثروات الوطن، فيجد القارئ نفسه أمام حقيقة لا يستطيع التملص أو الهروب منها، وهي أننا مازلنا نهيش داخل مجتمع إقطاعي ، تختلف فيه حقوق الأفراد باختلاف الفئات التي ينتمون إليها، وبحسب موقع كل منهم في الهرم الاجتماعي.

ولكن على الرغم من الظلم الذي شهده "إبراهيم عمار" داخل وطنه كنموذج للطبقة الفقيرة المظلومة التي تمثل غالبية الشعب، إلا أننا نجده يمتلك إرادة قوية ، جعلته يصمم على ألا يستسلم للواقع السيء الذي يحيط به، والذي ظل على مدى عقود طويلة يحيط بكل المصريين ، وقرر أن يقطع علاقته بالماضي ، ويهاجر ليعقد عقدًا جديدًا مع المستقبل ، لعله يكون أفضل، ويحقق فيه ما لم يستطع تحقيقه في الماضي.

وهكذا نجح الكاتب في الإفادة من التناص الشعري في رواياته، وتوظيفه بشكل يتناسب ويتلاءم مع الأفكار التي يريد التعبير عنها ، وعلى النحو الذي يؤكد عمق ثقافته.

ثانيًا : التناص مع القصة :

ويقصد به التداخل أو المزج بين القصة القصيرة وبين نص الكاتب الروائى ، سواء أكانت هذه القصص من تأليف الكاتب ، أم لم تكن من تأليفه، ومن روايات الكاتب التي وردت فيها تلك الظاهرة ، روية "قهوة سادة" حيث وظف الكاتب القصة بها للكشف عن رغبة بطل الرواية " فتحى رضوان" في التغيير وتعمير الأرض، وبناء الوطن من جديد بعد نكسة ١٩٦٧م ، رغم أنه يشعر بالعجز نتيجة وجود قوة أكبر منه تعوقه ، وتمنعه من تحقيق ذلك الحلم بطريقة خفية ، لأنها لا تريد الخير لمصر ، كما سيتضح في النص التالي :

" أشحت بوجهي عن سليم الأول، ووجدت خطابًا على المكتب.. إنه خطاب من ليبيا من صديق لى أرسلت له عدة خطابات من قبل، منذ عدة أشهر..
سقطت عيناي على السطر الأول
يا أيها الإنسان
ما أجمل هذه الكلمة عندما يصبح الإنسان إنسانًا أو يوجد إنسان بالفعل فى الوجود
استغرقت فى السطر الثانى:
الليل نعش أسود مصنوع من عظام الموتى، مثل مدينتى بنغازى بدعة تاريخية رغم ضآلتها ورغم ثوب العفونة الذى يطويها، ورغم كل شئ فهى بدعة تاريخية تحتضر فى ذلك النعش.. أما أنا فأختبئ في شقوق ذلك الليل.. أجهد نفسى بكلمات تحتاج إلى كثير من الوقود.. الوقود الذى يلد الكلمات الراثية لمدينتى بنغازى البدعة التاريخية.
وجدت نفسى قد غرقت فى السطر السابع دون أن أدرى.. لماذا أنت حزين يا صديقى الليبى؟.. إن أرضك تنبت ذهباً.. لماذا أنت هكذا وقررت أن أدع نفسى تستغرق فى الخطاب..
أخى الإنسان الثائر

مهلاً يا صديقى فأنت مجهد تمامًا؛ فأنت رغم ضآلتك إلا أنك لا تحمل بضاعة جيدة بها وقود خطر لأولئك الغوغائيين.. تمهل قليلاً يا أخي، وانظر إلى بقية النعاج فى العالم ماذا يفعلون..؟ سأحاول أن أقص عليك قصة بسيطة تحدث فى كل ثانية زمنية..

نعم كنت فى حاجة لأن أهرب فى قصة.. القصة حدثت فى أمريكا تحت ستار الديموقراطية: اسمه "لويس أبولونيا" مهنته رسام وشاعر وفيلسوف، وشعاره فى الانتخابات صورته العارية تماماً فوق جملة "ليس لدى شئ أخفيه" إذا تم انتخاب هذا المرشح الجديد فى الانتخابات الأمريكية أمام "هنرى نيكسون" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية..

هبطت إلى أمريكا إلى الدمعة الحزينة فى عينها إلى تمثال الحرية الذى يشكو لى مهزلة التقدم المادى.. هبطت إلى "لويس أبولونيا"

ماذا ستفعل يا لويس إذا فزت فى الانتخابات الأمريكية؟

سأقوم بطلاء البيت الأبيض باللون اللاوندى الفاتح الزرقة.

لماذا؟

لأن اللون الأبيض عقيم وخال من البهجة والمرء لا يستطيع أن يشعر بالحب تجاه أربعة جدران بيضاء..

"يا أيتها الجدران هل أنت حقاً دليل أشياء خفية.. هل هناك معنى لك غير تلك الألوان.. أنا لا أدرى لا أدرى حقاً.."

وماذا ستفعل بعد ذلك يا لويس؟

سأدعو "كوسيجن" رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لزيارة واشنطن وأجعله يقضى معى وقتاً طيباً حافلاً بالمرح نلعب فيه على الجليد بغية التزحلق ونقوم برحلة صيد بعد ذلك فى موسكو..

الأحلام.. الأحلام.. وما أكثرها حين تغرق الإنسان وتجعله يشعر بالسعادة حين يهرب إليها ولا يعود للواقع الأليم.. حلمك يا "لويس" يا أخى الشاب الجميل..

غمز لى الشاب الليبى وهو يتحدث معى..

يمكنك أن تسأله ماذا سيفعل مع شباب دولته.. وماذا ستفعل مع شباب أمريكا؟

ابتسم "لويس" بنشوة وعزيمة طيبة:

سأرسلهم، بل سأرسل كل من يرغب فى السفر من شبان أمريكا إلى الخارج على نفقة الدولة لكى يتعرفوا على إخوانهم فى بقية القارات، وأعمل كل ما فى وسعى بحيث أتيح لكل فرد فى الولايات المتحدة الأمريكية فرصة لمزاولة هواية فنية محدودة أغرقوا الفن فى النفوس.. طهروا النفوس.. إنه الخلاص للإنسان ولعفونة الفن فلتزيلوا سحابات الغيوم.

قال صديقى الليبى وهو يمتعض: "وماذا عن فيتنام؟".. دوى فى الحال صراخ آلاف القنابل.. صراخ طفل يموت تحت أنقاض منزل يستغيث بأنة الصراخ.. لا يعرف الكلمات.. يستغيث بأنة جريح، بينما أمه قد سقطت بلا أنفاس، مشوهة عليها تراكم التراب والحجارة.

راحت أصوات تتعالى من السويد من باريس.. من موسكو: "انقذوا الإنسان فى فيتنام".. يا فيتنام يا صرختى.. يا حرقتى.. يا سبب لوعتى فى المساء.. أنا لا أدرى كيف يذبح الأقوياء الضعفاء.. هل مات الضمير الإنسانى فى لحظة صماء؟.. هل أصبحت الحياة حربًا بلا حياء؟.. يا شجيرات الصمود والعناد والانتصار انتشرى فى كل مكان.. إعلنى أن الضعفاء أقوياء.. امتدى إلى السماء.. يا أيها البوذيون يا من تحرقون أنفسكم استنكارًا للحرب..

هناك أطفال يزرعون بأنفسهم نغمات حزينة، دموعًا حزينة.. هناك فى فيتنام.. أم فقدت رضيعها فى لحظة جنون.. يا فيتنام يا شعرى المجنون.. يا همستى فى الليل يا صرخة الويل.

يا فناني العالم.. شاهدوا لوحة الفنان فى فيتنام.. لوحاته على الطرقات فى الشوارع.. فى كل ميدان.. أطفال قد تركوا صوت الطفولة البرىء وحملوا صوت الرجولة الجرىء، فلتجمعوا الثعابين، فلتحرقوا خيامهم.. فلتزيلوا الحقد من طريقهم..

أوقفوا المهزلة أيها البشر فى كل مكان.. مهزلة الإنسان مهزلة الحرب والتشريد.

كفانا.. كفانا.. كفانا تمزقًا.. كفانا تشويهًا.. يا أبناء المسيح.. مهزلة الإنسان فى كل مكان.. أوقفوا ذبح الإنسان وتشريد الأطفال والنساء.. كفانا ما حدث يا أصدقاء.. يا شباب موسكو فى الكمسمول أعلنوا اللافتات بالأصوات.. بالمظاهرات.. يا شباب واشنطن أعلنوا بالصياح والهتاف.. يا شباب باريس أعلنوا بقوتكم بأنفسكم: إننا لا نرغب فى إنفاق الأموال على السلاح.. كفانا سلاحًا.. أنفقوا الأموال على الفقراء.. على العلم.. على النهوض بالإنسان فى أحراش أفريقيا.. فى صحراء آسيا.. أنفقوا الأموال على الأراضى غير القابلة للزراعة.. إن العالم يحتاج إلى الكثير..

وماذا ستفعل يا لويس فى فيتنام؟

سآمر الجنود بالكف عن إلقاء القنابل النابالم وإغراق الفيت كونج بالزهور والعطور فى استعراض ودى ولتغرق الطائرات الحربية فيتنام بالزهور تقديرًا للإنسان، ولترسل آلاف الملايين من الدولارات للنهوض والاستصلاح وسأرسل لجميع دول العالم من الأبيض اللاوندى الفاتح الزرقة بيانًا بإعلان الحب.

قلت وأنا بى رغبة ملحة:

وماذا ستفعل بالداخل؟

قال وهو يضغط على شفتيه:
سأقوم بطرد السياسيين وإعادتهم للعمل فى الحدائق العامة ليزرعوا الورود ربما تنبت زهرة حب فى داخلهم أو تموت زهورهم.
وبدأت أتنفس.. أريد أن أستريح من هذا الكلام.. إنها لمسة حقيقية من السخرية.. (قال صديقى لي)..
قمت من النوم مفزوعًا، وأنا أصيح: "لعن الله السياسة ووجع الرأس".. أصرخ: "كل هذا تراكم الليل".. عبد الناصر يرغب فى إعطاء الشباب فرصة التعمير.. هكذا تشير الصحف، ولكن.. كيف؟ أنا لا أرى تغييرًا ولا تعميرًا بعد النكسة.. كتبت رسالة لعبد الناصر أسأله:
"إنَّ أحلامى كلها سياسية؛ فأخبرنى يا سيدى الرئيس عبد الناصر ماذا سيفعل شاب فى العشرين فى أحلامه السياسية التى تطارده لبناء وطنه وأمته العقيمة.. مظاهرات ١٩٦٨ كانت تجتاح العالم، وكنا في مصر نسعى إلى تغيير الجيش وقيادات مصر كلها بسبب النكسة ، قد لنا عبد الناصر بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ للأصلاح السياسي"[١].
وهكذا فقد جاءت القصة في إطار خطاب مريسل إلى بطل الرواية "فتحى رضوان" من صديقه الليبي ، معبرًا فيه عن

---

(١) رواية : قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢٠١٢ ، ان ، ص ٦٠.

حزنه الشديد، وخوفه الدائم على وطنه الذي يعد مطمعًا ، بسبب ما يملكه من مواد تجعل الخطر يهدده دائمًا ، وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم يبدأ صديقه في سرد قصة له في ثنايا الخطاب، تعبر عن سعي الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها على العالم، عن طريق الكثير من الوسائل والأساليب ، من أهمها افتعال قضايا الإرهاب والحروب الداخلية، وصناعة الثأرات بين الدول ، للحفاظ على مصالحها ، وزيادة مبيعاتها من السلاح متخذة من الديمقراطية ستارًا لها ، وكانت نتيجة ذلك زيادة الحروب في المنطقة العربية والعلم كله، وقد سلط صديقه الليبى الضوء في قصته على إحدى الحروب التي كان للجيش الأمريكي دور كبير بها، وهي حرب فيتنام، التي مارس فيها الجيش الأمريكي أبشع الجرائم، ليس ضد الإنسانية وحدها ، وإنما ضد النبات والحيوان عندما انهمرت السموم الأمريكية من الطائرات الأمريكية لتهلك الحرث والزرع والحيوان فوق كل الأرض الفيتنامية ، وتنتهي الحرب في عام ١٩٧٥ ، رغم كل أسلحة أمريكا ووحشية جيشها بهزيمة تاريخية لها.

وقد جاءت القصة التي تناص معها الكاتب داعمة للفكرة التي يريد أن يوضحها للقارئ من خلال سرده الروائى، والمتمثلة في أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر هي اليد الخفية وراء

نكسة ١٩٦٧م ، وذلك من خلال مساعدتها للقوات الإسرائيلية ، وقد كان الهدف من وراء تلك المساعدة كسر مصر، والنيل من زعامة الرئيس "جمال عبد الناصر".

كما كشف التناص مع تلك القصة عن مشاعر الحزن والأسى التي يشعر بها بطل الرواية "فتحى رضوان" وغيره من المصريين، وخوفهم الشديد على مستقبل وطنهم بعد نكسة ٦٧، واستنكارهم للحرب، وذلك من خلال إشارته في القصة إلى مهزلة الحرب والتشريد التي يعاني منها الإنسان في كل مكان في العالم، داعيًا إلى السلام، والكف عن القتال.

وقد جاء التناص مع القصة القصيرة في موضع آخر من رواية "قهوة سادة" ، حيث لخص الكاتب المكانة الكبيرة التي تتمتع بها مصر، من خلال قصة قصيرة كتبها بطل الرواية "فتحي رضوان"، وقد جاءت القصة ممهدة بحوار دار بين بطل الرواية "فتحي رضوان" ، وصديقه "صبري" سكرتير اتحاد الطلبة بجامعة الإسكندرية على هذا النحو:

" جلس فتحى فى غرفة رئيس اتحاد الطلبة، يجلس وهو يدخن سيجارة بلمونت.. لو شاهده أحد يدخن تصبح مشكلة.. قال له صبرى سكرتير الاتحاد:

فيه مسابقة قصة قصيرة على مستوى الجامعة، ولازم جامعة إسكندرية تكسب.. اكتب لنا قصة قصيرة..

ضحك فتحى وقال:
تفتكر أصلح كاتب قصة؟..
لو كتبت قصة قصيرة حتبقى أفضل كاتب قصة فى العالم
يا ابنى.. بعد يوسف إدريس، وزكريا تامر، وحافظ رجب مش ممكن
لا.. ممكن.. أنا متأكد.. اكتب وابقى شوف.. حاروح مشوار وآجى تكون خلصت كتابتها على الآلة الكاتبة ونقدمها.."[1]
تلك الكلمات التشجيعية التي ألقاه صبري على فتحي رضوان في أثناء حديثهما معًا ، جعلت فتحي رضوان يتحمس للفكرة ، ويقدم على كتابة القصة، كما سنري في النص السردي الذي تلي الحوار السابق:
" أمسك فتحى الورق والقلم وكتب..
قصة قصيرة
"مسافر زاده الخيال"
بقلم فتحى رضوان:
عصفورة أنت، وسحابة صيف تظلل أشجار حبنا؛ فهذه الدنيا بدونك تعني الوحشة والقلق والفزع والخوف.. عيناك مرافىء الأمان والحنان والآمال.. آه.. عندما أراك أشعر إنني غريب عاد للديار، وقمر عاد للكواكب ليدور..

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٢٨٩.

اسمحي لي أن أكتب لك بعض الكلمات في زمن تفقد الكلمات براءتها ونقاءها وسموها ونبض قلبها الدافىء يا دفء أيامي.. شمس أنت.. دفء أنت.. نور أنت.. أنت من أنت؟ كنا نطوف سويا في أحلام الطفولة ندغدغ أشواق الصباح بالابتسامات وطفولتنا العذبة تعربد في حقول الربيع، ونجري وراء الفراشات ونسمع الأغنيات من بعيد.. من بعيد.. آه.. هذا صوت فيروز يأتي من جبال لبنان يهدهد أيامنا المجروحة.. المذبوحة في معاركنا التافهة..

شقية أنت.. تغيبين عني ولا أغيب عنك.. يغيب وجهك وروحك معي.. توقظني ليلا.. تشمسني صبحا.. أتنفس معك روح الضوء الصافي مساء تنهيدة أنت.. أسمع هفيف أنفاسك ليلا فيطاردني الحلم إلى ضوء الفجر فأصلي وأراك أمامي كأنك نجمة في السماء.. تغريدة أنت.. هذه شوارع صدري مفتوحة مزروعة بالياسمين.. فغردي واطربيني يا صوت الكمان البعيد في ليالي الشتاء بجانب المدفأة.. غادر النهار الشتوي أيامي وأنت بعيدة، فأصبحت كل الليالي صيف حار؛ فأنت نسمة الهواء الحالمة.. الحانية.

قالت: احكِ لي حكاية.

قلت: في البداية كان أوزوريس يحكم وادي النيل.. كان الأمير الجميل.. وفي كل مساء كان يجلس ويأتيه أحد الفلاحين ويقف

أمامه قائلًا: "يا أمير.. إنني لم أقترف الشر ولم أعتد ولم أسرق.. ولم أقتل غدرا ولم أمس القرابين.. ولم أكذب ولم أتدنس.. ولم أذبح الحيوانات ولم أتلف أرضا مزورعة ولم أترك الغضب يجرني إلى غير الحق.. ولم أزن.. ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل.. ولم أسيء الظن بالملك ولا بأبي.. ولم ألوث الماء ولم أحمل سيدا على أن يسيء إلى عبده.. ولم أحلف كذبا.. ولم أغش في الميزان.. ولم أمنع اللبن عن أفواه الرضع.. ولم أطفىء نارا يجب أن تشعل.. ولم يخطر على بالي أن أستخف بالآلهة.. إنني طاهر.. إنني طاهر"

فنظرت بجانبي وجدتها على كتفي نائمة.. يا سيدة قلبي.. هل أنت نائمة؟

- وصلنا إلى القاهرة ؟..
- لا أمامنا ساعة..
- احكِ لي حكاية مصر..
- أخبار مصر..
- نعم..
- كان يا ما كان في قديم الزمان.. رجل من أهم العلم يسمي محمد بن أحمد بن إياس الشهير بالحنفي المصري..

- لا أريد حكاية ابن إياس
- هو الذي قال عن مصر..
- ماذا قال؟
- قال أن الله فضل مصر في التاريخ.. قال تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال: "أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون".. وأما بالإشارة والإيماء فمنها قوله تعالى: "كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم".. يعني مصر.. وأما ما ورد فيها من الأخبار النبوية فمنها قوله صلى الله عليه وسلم "إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا.. فذلك الجند خير أجناد الأرض لأنهم في رباط إلى يوم القيامة".. وكان إقليم مصر متصلا بالعمارة على شاطىء النيل كأنها مدينة واحدة مشتبكة بالأشجار المثمرة بالفواكه اليانعة والقرى العامرة حتى قيل أن المسافر كان يسير من الإسكندرية إلى أسوان بلا زاد.. بل يسير في ظل أشجار الفواكه المنتشرة بالقرى العامرة بالناس الذين لا يحوجونه إلى حمل زاد معه وذلك إلى أن يصل إلى مدينة أسوان..

قالت : زدني عن مصر..

قلت : ولد بمصر من الأنبياء موسى وهارون عليهما السلام.. ويعقوب ويوسف والأسباط وأرمياء ودخل إليها دانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ودخل إليها التابعين جماعة ودفن بها من العلماء جماعة كثيرة.. وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثنى الله تعالى عليه في القرآن، ومنهم آسيا امرأة فرعون التي ذكرها الله في كتابه، ومن أهلها أيضا سحرة فرعون الذين آمنوا برب موسى في وقت واحد على كثرتهم كما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم..

قالت : وبعد..

قلت : باقي من الزمان نصف ساعة

قالت : حدثني عن وصف مصر

قلت : قال المسعودي "إن كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها.. وقال الله تعالى في حق قرى مصر "وابعث في المدائن حاشرين".. وقال القضاعي "لم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر ولو ضرب بينهما وبين سائر قرى الدنيا سور لاستغنى أهلها بما فيها عن سائر البلاد ولو زرعت لوفت بخراج الدنيا بأسرها وهي أكثر البلاد كنوزا وعجائب وأنهارا"

قالت : متى تطيب أرض مصر؟
قلت : إذا اعتدل هواها وطاب مرعاها.. وقال كعب الأحبار رضي الله عنه "من أراد أن ينظر شبه جنة الفردوس فلينظر إلى أرض مصر قبل طلوع الشمس في زمن ربيعها إذا اطردت أنهارها وغردت أطيارها وأينعت أزهارها".. وقد قال القائل في المعنى :

"ما مثل مصر في زمان ربيعها
لصفاء ماء واعتلال نسيم
أقسمت ما تحوي البلاد نظيرها
لما نظرت إلى جمال وسيم"

قالت : وماذا عن فصول مصر الأخرى غير الربيع؟
قلت : قال الحكماء "ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء.. وثلاثة أشهر مسكة سوداء.. وثلاثة أشهر زمردة خضراء.. وثلاثة أشهر كهرمانة صفراء"
وقد قيل في المعنى :

"كل وقت بمصر أمر عجيب
نحن منه في السعد كالأغنياء
ذهب حيثما ذهبنا ودر
حيث درنا وفضة في الفضاء"

وفي محاسن مصر قال القضاعي "إن مصر يوجد بها في كل شهر من الشهور القبطية نوع من المأكولات فيقال رطب نوت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كهيك وماء طوبة ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤنة وعسل أبيب وعنب سرى". ومن محاسن مصر السبع زهرات التي تجتمع في فصل الشتاء ، ولم يكن هذا ببلد غيرها ، وهي البنفسج والنرجس والبان والياسمين والورد الجوري، ويعرف القحاني والزهر ، وهو زهر النارنج والنسرين..

ومن محاسنها أن أهل مصر لا يحتاجون في الشتاء إلى التدفؤ بالنار، وقال أبو الصلت "أهل مصر خصوا بالأفراح فيها دون غيرهم من جميع الأمم".. وقيل أن أهل مصر لا يهتمون بأمر الزاد كما هي عادة غيرهم من الأمم كأنما حوسبوا وفرغوا من يوم الحساب..

قالت : ومن كان بمصر من الفلاسفة القدماء؟

قلت : كان بمصر من الفلاسفة القدماء: هرمس وبقراط وجالينيوس وألينوس وفيثاغورث ولما ماتوا دفنوا بمصر.. وكان بها من الحكماء في دولة الإسلام الرئيس علاء الدين بن النفيس صاحب كتاب الموجز والرئيس أبو علي بن سينا..

قالت : وماذا عن الشعراء القدماء؟..

قلت : قيل الشهاب المنصور.. وقيل البهاء زهير.. وقيل.. وقيل والله أعلم..

قطع الحديث صوت قائد الطائرة (الكابتن).. وصلنا إلى مطار القاهرة.. أرض مصر ترحب بكم.. قلت:

- الحمد لله على سلامتك.. وصلنا يا حبيبتي)

تمت...

أعطيت القصة إلى صبرى ليقدمها لمسابقة الجامعة الثقافية.. فازت القصة بالمركز الثالث..(١)

جاءت القصة التي تناص معها الكاتب معبرة عن المكانة الدينية والتاريخية التي تمتعت بها مصر عبر العصور المختلفة، ويتضح ذلك من خلال سرد كاتبها لبعض الحكايات والأقوال التي توضح محاسن مصر، وأن الله فضلها عن سائر البلدان الأخري، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم والوثائق التاريخية.

وقد أظهر التناص مع هذه القصة القصيرة، ترسخ عشق الوطن في نفس وقلب بطل الرواية " فتحي رضوان" رغم سلسلة المِحن والانكسارات والهزائم التي مرت بها مصر، فرغم ذلك يظل حبها متأصلًا في نفوس المصريين. كما أظهر التناص الجانب الثقافي من شخصية بطل الرواية "فتحي رضوان" ، فهو يتمتع بثقافة واسعة ظهرت من خلال سرده داخل القصة لمجموعة من

---

(١) رواية قهوة سادة ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٤.

المعلومات الأدبية والدينية والتاريخية والجغرافية، التي أظهرت فضل مصر وأهلها.

وقد وردت هذه القصة في مجرى السرد الروائي لغرض خفي، وهو بث الأمل في نفوس المصريين، ورفع الروح المعنوية لهم بعد إحساسهم بالانكساء جراء نكسة ١٩٦٧م ، وذلك عن طريق تثقيف وتوعية الشعب المصري، وتذكيرهم بمكانة بلدهم الدينية والتاريخية، ويتضح ذلك من خلال مضمون القصة التي تناص معها ، فقد أشار مضمونها إلى أن مصر كانت ومازالت منذ أقدم العصور الحصن الحصين، والصرح العملاق في منطقة الشرق الأوسط، ولا يسمح شعبها لأي أحد أن ينال من قدرها العالي.

ونجد أن هذا الغرض الخفي يتفق مع الفكرة التي يناقشها الكاتب "السيد حافظ" في رواية "قهوة سادة" ، وهي رفض الشعب المصري للهزيمة والنكسة، حيث نجد أن بطل الرواية " فتحي رضوان" على الرغم من حالة الانكسار والحزن التي يشعر بها بعد نكسة ٦٧ ، إلا أنه مازال مؤمنًا بأن المصريين لابد أن يقاوموا إلى أن يستعيدوا قوتهم، وينهضوا من تلك النكسة.

وقد برز هذا الاهتمام بالتناص مع القصة القصيرة أيضًا في رواية "كابتشينو" وذلك من خلال تناص الكاتب مع قصة قصيرة من تأليفه كما سنجد في النص التالى :

" فتحى خليل رضوان ... احتفل فتحي خليل بيوم الطالب العالم في مدرسة الليسيه، حيث إننى رئيس اتحاد الطلاب، ومعنا نادية حسن رئيسة الاتحاد ، تلك الفتاة مثل الزجاج، رقيقة،

مهذبة جدًا.. يوم الطالب ذكرى كوبري عباس وشهداء الطلبة والعمال في فبراير ١٩٤٦ ، وذكر ي شهداء ٢٨ فبراير ١٩٣٥، حيث سقط في مديان التحرير ١٨ شهيداً أمام الإنجليز في ميدان التحرير .. خرجت من الاحتفالات مع شلة صبيان وبنات ، سرنا على الكورنيش إلى محطة الرمل ، اشتريت مجلة الآداب من عم السيد بائع الصحف ، فتحت المجلة، قرأت قصة أعجبتني في صفحة واحدة للسيد حافظ:

الخلق

فى اليوم الأول: خلق الله الفن والحب وآدم وحواء، أنبت الفن والموسيقى والشعر والجمال.. وعمر الكون

فى اليوم الثانى: قتل قابيل هابيل وانتشرت الجريمة والفساد وارتدى الرجال الأقنعة ، والنسوة بعض منهن ارتدين شوارب وجلست فوق الكواكب والتلال والجبال ، والرجال المخنثون صاروا عمالقة وصار الأنذال كباراً.. وصار المخلصون رعاعاً..

فى اليوم الثالث: جاء الطوفان أغرق كل شئ.. ما عدا طفلا يسمى زين العابدين.. كان يزرع زهرة على تل ويغنى أغنية بيضاء.

فى اليوم الرابع: عصر الشجر والأنهار كان.. وكانت الحرية وقسم الإنسان الكون إلى سادة وعبيد وصار زين العابدين جداً لأسرة: ٢٥ من أولاد وأحفاد ، ٥٠ من المظلومين من العباد ، ١٠٠ شخص طعنوا ، ١٠٠٠ رزق فرد قطع ، ١٠٠٠٠٠ إشاعة ضد عباد الله المطاعة + ١حسنة على فقير من باب التفاخر.

فى اليوم الخامس: استشرى الشر فى الأرض والضغينة والكراهية والحقد المأفون والكل يرى ويأكل لحم الكل والفقراء والأغنياء فى لعبة الصراع المجتمعى.. دوامة كبرى.. رجال بلا رجولة ونساء بلا حياء ونهر من العذاب يغرق فيه المجتمع.

فى اليوم السادس أخذ الرب راحة

فى اليوم السابع ترك الرب الأرض وسكن فى السماء السابعة.. وحدد يوم القيامة وساعة الحساب وترك البشر..

انتهت

استعان الكاتب" السيد حافظ، في ذلك النص بالتناص مع قصة قصيرة من تأليفه ، وهي قصة "الخلق" التي وردت ضمن مجموعة قصصية له بعنوان " لكِ النيل والقمر " ونجد أن القصة يدور موضوعها حول أن الله قد خلق كل شيء في الأرض صالحًا في ذاته ، وزرع الحب في قلوب البشر ، وعمَّر الكون، ولكن الإنسان تدخل بنفسه في إفساد الأرض ، فعلى الرغم من تكريم الله لنبي آدم ، وجعلهم خلائف في الأرض، إلا أن الإنسان لم يحفظ أمانة الاستخلاف، فأفسد بما كسبت يداه الأرض الصالحة، وحفر نفقًا مظلمًا لنفسه ، مما أدى إلى وصول الأرض لحالة من التردي والضياع، وانتشار الجريمة والحروب، بدءًا من قتل قابيل لأخيه هابيل، ومن هنا استشرى الشر في الأرض والكراهية، وفي نهاية القصة يشير الكاتب إلى أن الله سيحاسب كل من أشاع الفساد في المجتمع، وكل من كان له يد في انتشار الظلم والحروب بين الناس.

وقد أبرز التناص مع القصة القصيرة السابقة ــ بما تمزيت به من إيجاز وتكثيف ــ أهم الأفكار التي يتناولها الكاتب داخل روايته، والتي تتلخص في أن الظلم والفساد اللذين أشاعهما الإنسان في المجتمع كانا نتيجة دفع إبليس البشر جميعًا من أبناء آدم وذريته إلى المعصية ، وإشعاله العداوة والبغضاء بينهم، فراح يوسوس لهم حتى استطاع أن يوقع الفتنة بينهم، وكان حصاد ذلك تخريب الدول وإزهاق أرواح لم تجن أي ذنب غير أنها تصدت للظلم والعدوان .

وقد ربط الكاتب بين القصة التي تناص معها ، وبين مضمون النص الروائي الذي يناقش من خلاله أحداث كوبري عباس، وذلك عن طريق ذكر ما حدث للطلبة والعمال في مظاهرات فبراير عام ١٩٤٦، بسبب المطالبة بجلاء الإنجليز عن مصر بعد وضوح سوء نيتهم، وعدم رغبتهم في الجلاء التام عن مصرص، حيث اصطدموا برجال الشرطة على كوبرى عباس، وتمت محاصرتهمن وفتح الكوبري ، فسقط العديد منهم من فوق الكوبري في النيل، وهذه الحادثة تشبه الحادثة التي حدثت في يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٣٥م، عند خروج طلاب الجامعة والمدارس في مظاهرة هاتفين ضد تصريح "هور" وإنجلترا ، ومنادين بسقوط الحكومة، مما أدى إل الصدام بينهم وبين رجال الشرطة عندما حاولوا اجتياز كوبري عباس إلى قلب القاهرة ، إذ أطلق رجال الشرطة النار على الذين نجحوفي عبور الكوبري منطلقين إلى بيت الأمة وميدان عابدين، ومناطق القاهرة الأخري، فنجد أن القصة التي تناص

معها الكاتب ("الخلق") تحتوي على دلالة الرمز بصورة عميقة، فهي تشير إلى أن الحروب هي إحدى الكوارث التي صنعها الإنسان بيده، نتيجة أطماعه وأنانيته التي سيطرت عليه، مما أدى إلى غرق العالم كله في بحر من الدماء.

وقد أشار الكاتب في قصته إلى أن الطوفان جاء وأغرق كل شيء ، ما عدا طفلًا يسمى زين العابدين، كان يزرع زهرة على تل ويغني أغنية بيضاء ، وزين العابدين هو "الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم، وله عدة ألقاب ، منها : زين الصالحين ، ومنار القانتين، وقد توفرت فيه جميع المكونات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواهن وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيته بصورة متميزة، جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين الذين منحهم الروسل (صلى الله عليه وآله وسلم) ثقته ، وجعلهم قادة لأمته وأمناء على أداء رسالته ، كما أن له من الفضل والعلم ما لا ينكره أحد"(١) ودلالة إشارة الكاتب إلى شخصية زين العابدين في قصته في التأكيد على أنه رغم انتشار الظلم ، والفساد، والطغيان ، واستفحال الاستضعاف والقهر، إلا أن النفس الخيرة تهفو دائمًا للسلام، والسعي للصالح العام، فجاءت شخصية زين العابدين كمنوذج لتلك الشخصيات التي تتصف بزراعة الخير والسلام على الأرض .

---

(١) موقع إلكتروني : ويكيبديا الموسوعة الحرة.

وهكذا نجد أن التناص مع القصة القصيرة قد جاء داعمًا للأفكار والقضايا السياسية التي يناقشها الكاتب داخل رواياته بطريقة منطقية وغير مفتعلة.

المبحث الثالث
التناص الديني

إن تأثر الأدباء والشعراء بالنص الديني أمر لا يختلف عليه اثنان ، وذلك لما يتميز به من فصحة اللفظ وبلاغة القول ، فنجد أن الكاتب في رواياته يتوجه إلى التناص مع النصوص الدينية لما لها من تأثير كبير على نفس المتلقي، كما أن توظيفها في مجرى السرد الروائى يأتي لدعم الأفكار التي يتناولها الكاتب داخل رواياته. ويقصد بالتناص الديني، التداخل والتفاعل بين النصوص الدينية بأشكالها المختلفة وبين النص الروائي.. وعلى الرغم من تنوع النصوص الدينية التي يتناص معها الأدباء بشكل عام، إلا أن الكاتب قد اقتصر في رواياته على التناص مع القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف.

أولاً : التناص مع القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم هو النص النثري السامس المكتمل، لذلك أصبح ملهمًا للشعراء والأدباء ، ينهلون من ألفاظه ومعانيه وأسلوبه، إذ يجد الأديب فيه "كل ما قد يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا ، من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل ، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين، بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي

الذين يتميز بهما الخطاب القرآني"[١] ، لذلك لجأ الكاتب في رواياته إلى ظاهرة التناص مع الآيات القرآنية ، وقد ظهر هذا في رواية "كابتشينو" في النص التالي:

" سأسافر إلى الإمارات.. قالوا فى الإمارات يولد حلم للوافد فى كل لحظة، وتغتال أحلام كثيرة فى نفس الوقت، وقالوا إنك هناك دائما انت مهدد بالتفتيش أى الطرد فى كل يوم ..ليس عيب الخليج بل العيب فى النظام الرأسمالى الذى يجعل الناس عبيدًا.. لم يتعلم المسلمون من سيدنا محمد أنه قسم أموال الأنصار بالتساوى مع المهاجرين حتى النساء من له زوجة ثانية يتركها لأخيه الأعزب، لكن بنى أمية أفسدوا الأمة واغتصبوا من على ابن أبى طالب الخلافة وورثوا الحكم لأولادهم ولغوا نظام الشورى.. وعندما تولى عمر بن عبد العزيز العادل الأمثل قتلته بنى أمية.. لم يتحملوا العدالة.. نحن أمة اختفت منها العدالة بعد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.. فى الخليج أنت عبد للنظام الرأسمالى وتطرد دون أى سبب، لذلك يصاب معظم الناس المهاجرين للخليج للعمل بجلطات فى القلب.. الإمارات عشق دافئ وقلب بارد.. مدينة تبحث عن خارطة التقدم بأي شكل وأى وسيلة.. ومصر لا تبحث عن أى شيىء "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ".. تاريخ العبودية والرأسمالية فى العالم شديد.. فقراء أمريكا ٩٠% والـ١٠% يملكون كل شئ.. العدالة قانون السماء. والله يحب العدل"[٢]

---

(١) حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث ، ص ٤١.
(٢) رواية : كابتشينو ، ص ١٧٥.

لقد سيطر على "فتحي رضوان" إحساسه بالغربة داخل وطنه، ذلك الشعور الناجم عن انعدام تحقيق العدالة الاجتماعية بشتى مقوماتها المختلفة، من المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات، واحترام حقوق الإنسان، وتكافؤ الفرص، وغيرها من المقومات الكثيرة التي توفر حياة كريمة للفرد داخل وطنه ، لذلك قرر "فتحي رضوان" الهجرة إلى الإمارات للبحث عن وطن أفضل يشعر فيه بالإمان، ويحقق فيه ما فشل في تحقيقه داخل وطنه ، ولكنه يصطدم بالنظام الرأسمالي والتكون الطبقي في دول الخليج العربي، فهم يبحثون عن التقدم بأي وسيلة حتى لو كان ذلك على حساب المواطنين ، حينها أدرك "فتحي رضوان" أن العدل الذي يبحث عنه أصبح وهمًا وحيالاً داخل عقله فقط، وليس له وجود في الواقع الذي يعيش فيه، واقع تسوده الرأسمالية والطمع ، وتسيطر على أفراده حالة من الخضوع والاستسلام للقهر والظلم، وهو ما دفع الكاتب إلى توظيف قوله تعالى " سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ "(١) داخل النص الروائي ، للدلالة على أن حالةالتشتت والضياع التي يمر بها المصريون تعد غضبًا من الله عز وجل، حيث إن الله لا يوفق قومًا خارجين عن طاعته ، ولا يطبقون تعاليمه الدينية، وأهمها العدل ، فالعدل صفة من صفات الله تعالى، وهو من القيم الأساسية التي حث عليها القرآن الكريم

---

(١) سورة المنافقون ، الأية ٦.

، وهو فرض من الله على المسلمين في كل شيء في حياتهم ، لذلك يعد عدم تطبيق العدل – وبخاصة العدالة الاجتماعية التي يتحدث عنها النص الروائى بين الناس بمثابة الابتعاد عن أهم القيم الدينية ، كما أن الآية القرآنية تشير إلى أن التقدم والرقي يتحققان عند تطبيق التعاليم والفرائض الدينية التي أمرنا بها المولي عز وجل، لأنهما يعملان على توازن المجتمع .

وتبدو روح التناص الديني ممتدة في الرواية نفسها " كابتشينو" ، ويتضح ذلك من خلال تناص الكاتب مع هذه الآية القرآنية من "سورة الرحمن " ، وذلك كما في النص التالي :

" كل أحلامى مؤجلة، ليس بيدي أن احققها ، لم يسعفني الحظ العظيم، بعضها هاجر أو سافر ، أو انقرض أو اختفى كمدًا وحزنًا ومات.. آه أحلامى يا أحلامي.. صرت رجلًا مطفأ الحلم، وفي إذعان للقدر وللمكتوي، ولكنني عنيد ، مازلت أحلم كل يوم ، لأن الله كل يوم هو في شأن.. ولكنني يا سيدتي حياتي سجل هزائم من الوطن والأصدقاء، حياتي كانت اختبارات من الرحمن"[(١)].

بعد أن تحطمت أحلام " فتحي رضوان" انتابته حالة من الحزن والحسرة ، ولكن هذا الألم الذي يشعر به داخل نفسه كان ممزوجًا بالأمل ، والثقة في المولى عز وجل أنه قادر على أن يحقق له أحلامه، ويرفع من شأنه، فقد كان التناص مع الآية الكريمة "

---

(١) رواية : كابتشينو ، ص ٢٠٩.

يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ "[١] للدالة على أن "فتحي رضوان" شخصية عنيدة ، متمسكة بأحلامها رغم كل الصراعات التي يواجهها داخل وطنه، وهذا التمسك نابع من إيمانه بأن الله كل يوم يجيب داعيًا ، فهو قادر على الاستجابة لدعائه، وأن يرحمه وينجيه من الاختبارات العديدة التي وضعه بها.

كما نجد الكاتب في بعض النصوص الروائية متأثر بألفاظ القرآن الكريم ، ويظهر ذلك في رواية " ليلي دبي : شاي الياسمين" وذلك في النص التالي :

" ليالى شتاء دبى الحزينة الناعمة الجميلة.. تلك المدينة المغطاة باللون الأبيض دبى سفينة الأحلام تلوح بأعلامها للعالم. كأنها مرسومة بريشة وجنون فنان معاصر، أو رواية حداثية لا تعرف من البطل فيها: اللون أم الطبيعة أم الجنون.. هل هى مدينة الملائكة؟ أم الشياطين؟ مدينة الأخلاق تتحرر فيها فلا تعرف قيمة التراب من الذهب. إنها مدينة تسعى لمعانقة المستحيل، والانتصار هل علاقات النماء، لحظات الحب فيها صادقة كالجبن القديمة اللذيذة ولحظات الكذب فيها كالضوء الصناعى..

هل تملك الحقيقة فى هذا البلد..

هل دبى هى مدينة الروح.. ؟

أم مدينة الجسد؟

---

(١) سورة الرحمن ، آيه ٢٩.

أم مدينة الروح والجسد معاً.. هل دبى مدينة؟.. هل دبى وهم؟؟
تلك هى دبى.. ياقوتة حمراء بيضاء وأحياناً ياقوتة ضوئية.
هل تحممت بعطر..؟
هل تنشفت بنور..؟
وكنت أظن أن بلادي جميلة ولكن بعض الظن إثم..
ولي في عشقك مستقر إلى حين ميسرة.
أأقسم برب الفلق كل شيء في مصر في غاية القلق...
وكنت على شفا عشقك لولا برهان ربي فعدت إلى كهفي ونمت سنين عددًا."[1]

بعد أن هاجر "فتحي رضوان" إلى دبي باحثًا عن أحلامه التي ضاعت في مصر، يبدأ في وصف مدينة دبي، وما وجدها فيها من تقدم ورقي وازدهار ، مما جعله ينبهر بها ، ويطلق عليها سفينة الأحلام ، ويعقد مقارنة داخل نفسه بينها وبين الحالة المزرية التي وصلت إليها مصر، متمنيًا أن تكون مصر بمثل ها الجمال والتقدم الذي وجده في دبي ، وكانت نتيجة تلك المقارنة أنه شعر بالحسرة والألم على وطنه ، وهو ما دفع الكاتب إلى التناص مع ألفاظ عديدة من القرآن الكريم ، واصفًا من خلالها مشاعر البطل تجاه وطنه بعدما ذهب إلى دبي، ووجدها تمتلك قدرًا كبيرًا من الجمال والحداثة، حيث نجد "فتحي رضوان" يقول محدثًا نفسه : "وكنت أظن أن بلادي جميلة، ولكن بعض الظن إثم ... ولي في عشقك

---

(١) روية : ليالي دبي الجزء الأول (شاي بالياسمين) ، ص ١٥.

مستقر إلى حين ميسرة. أقسم برب الفلق كل شيء في مصر فى غاية القلق.. وكنت على شفا عشقك لولا برهان ربي فعدت إلى كهفي ونمت سنين عددًا"، حيث نرى هنا أن الكاتب تناص في النص الروائي مع العديد من الآيات القرآنية ، فنجد تناص مع قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ "(١)، كما تناص مع قوله تعالى : "لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(٢)، وتناص أيضًا مع قوله تعالى :"وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"(٣)،وقوله تعالى : قل أعوذ برب الفلق" ، وقوله تعالى: " وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا"(٤)، وأيضًا تناص مع قوله تعالى : " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"(٥)، وقوله تعالى: " فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا"(٦)، وذلك لتوضيح نظرة "فتحي رضوان" لوطنه بعدما هاجر إلى دبي، فكان يعتقد أن بلاده جميلة، ولكنه بعدما شاهد جمال دبي أدرك أن اعتقاده خاطئ وليس

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٢.
(٢) سورة الأنعام ، آية ٦٧.
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٨٠.
(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠٣.
(٥) سورة يوسف ، آية ٢٤.
(٦) سورة الكهف ، آية ١١.

في محله ، ولكنه على الرغم من الاضطرابات الشديدة التي يمر بها الوطن، وعدم الاستقرار في أحواله، إلا أن عشقه لوطنه سيظل الحقيقة الثابتة والراسخة داخل قلبه، ولا يستطيع إنكارها أو التخلص منها، فهو سيظل يحب وطنه ، داعيًا ربه أن ييسر الحال ويصلح أحواله ، كما أننا نجده من شدة عشقه وحنينه لوطنه كان يريد أن يعود له ، لولا أن تمسكه بتحقيق أحلامه جعله يعود في قراره، ويختار أن يظل في غربته سنين عديدة، لعله يستطيع تحقيق ما فشل في تحقيقه في بلده.

ويستمر توظيف الكاتب لآيات القرآن الكريم في الرواية نفسها ("ليالي دبي : شاي بالياسمين") ، وذلك لخدمة النص الروائي ، كما سنرى من خلال النص التالي :

" فى الهواء الطلق سأتزوجك.. إذا عنى لي هذا.. بلا دراما أو فلسفة وأواجه بعشقك وبالحب تدهور الوطن المريع وتدهور حياتي من قسوة الجميع.. وكنت أسأل نفسى دومًا من هم قومي المصريون.. وكانت الإجابة فى القرآن:" لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"(١).. هكذا وصف الله المصريين.. قوم ظالمين، أما الفلسطنيون فهم قوم جبارون، كما وصفهم القرآن..

وأنا بين الاثنين – ظالمين وجبارين – في الإمارات.. اللهم نجني من القومين.. لقد وصف الله المصريون بأنهم قوم ظالمون، ووصف فرعون بالطغيان "اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ "(٢)

(١) سورة القصص ، الآية ٢٥.
(٢) سورة طه ، الآية ٤٣.

ووصف المسيحيين : "وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ، وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "(١) ووصف المصريين بالفاسقين ، ووصف اليهود : " لَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"(٢) . اليهود يكتمون الحق.

ووصف العرب بالجاهلية و(الأعراب أشد كفرا ونفاقا).. إن حبي لله أكبر من أي شئ.. الله هو كل شئ من الجنسية والهوية والكتب السماوية.. حبى لله لا يعرف التعصب ولا الإرهاب ولا الدم..

الله يعرفنا جميعا يهوداً ومسيحين وبوذيين ومسلمين مصريين وعربا وغير عرب.. الله يطالبنا بالرقي ونحن البشر نحب الهبوط والسفالة والحرب والتنكيل وتعذيب بعضنا.(٣)

يتخيل "فتحي رضوان" شكل حياته مع زوجته "تهاني" بعد مغادرة مصر والذهاب إلى الإمارات ، متخذًا من حبه لزوجته ملجأ يهرب إليه، ويختبئ به من تدهور حال وطنه، كما أنه يعتبره هو السلاح الذي سيواجه به التدهور الذي حدث في حياته، نتيجة معاناته من الظلم والقسوة التي تعرض لهما من جميع الناس المحيطين به في مصر أو في الإمارات ، وهنا نجد أن الكاتب قد تناص مع العديد من النصوص القرآنية(٤) التي تشير إلى اعتبار

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٧.
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤٦.
(٣) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : "شاي بالياسمين"، ص ١٠٣ ، ١٠٤.
(٤) سورة القصص ، الآية ٢٥ ، سورة طه ، الآية ٤٣ ، سورة المائدة ، الآية ٤٧، سرة البقرة، الآية ١٤٦.

كل من تجاوز وعصي الله تبارك وتعالى من الظالمين الفاسقين، وذلك للدلالة على أن اتباع الأحكام الدينية التي أنزلها الله سبحانه وتعالي في الكتب السماوية المختلفة هو السبيل الوحيد لرقي المجتمع، والقضاء على الحروب الناشبة بين أفراده، فكل هذا الظلم الذي يتعرض له أفراد المجتمع نتيجة الخروج عما أمرنا به الله سبحانه وتعالى ، فالتناص هنا جاء بمثابة إشارة، وإدانة للمصريين والعرب وغير العرب أيضًا ، حيث إنهم خرجوا عن تعاليم الله سبحانه الذي أنزلها فى الكتب السماوية المختلفة وكان نتيجة ذلك التدهور السياسى بما يحتويه منحروب ومنازعات وسفك دماء الأبرياء، وأيضًا التدنى الاقتصادي، والتشتت الاجتماعي الذى يعانى منه العالم الآن.

وثمة نموذج آخر للتناص الديني في الرواية نفسها ("ليالي دبي: شاي بالياسمين") فقد تناص الكاتب في النص الروائي مع آية من القرآن الكريم ولك عند وصفه لحالتي القهر والخوف من المستقبل اللتين يشعر بهما بطل روايته "فتحي رشوان" داخل وطنه :

" كل شيء على ما يرام.. رددها كل يوم مائة مرة.. وسبحان الله وبحمده مائة مرة واشكر الله مائة مرة.. لا أحد يعرف ما اقترفته من ذنوب وكم أنت محاصر الحصار الخفي.. أنا لست شريراً ولا غبياً ولا طيباً ولا نبياً.. النجاح في حياتي نسبي هو مجرد حنو من السماء عليَّ.. كل أفعالى ملوثة بحكم جيناتى المصرية وخاصة العربية.. كنت أريد للحظ أن يتعاون معي في مشوار حياتى، لكنه لم يحدث حتى قلت لنفسي: أنت من المنبوذين في هذا المجتمع

الذي يتنفس كذبا.. ربما أنني أعاني من العزلة.. ضائع في عالم يتكلم ولا يسمع أحد أحداً.. أبحث عن أسباب التخلف.. نحن أمة مراهقة طوال عمرها ودائما في خطر.. نحن في ورطة مع الحياة والحضارة.. من ينبش فى قلبي وذكرياتي القديمة وأوراقي ويستخرج لي بعضاً من الزهور أو العطور أو الضحكات البريئة أو قلماً وكراسة رسمت عليها علم بلاد لا أعرفها أو مركب سافرت بها فى الحلم ولم أعد.. أو دخان.. إنني أشعر بالعار كلما قابلت أجنبياً.. ربما لأن تاريخنا تاريخ تخلف مشئوم.. لم يذهلني يوماً أو يدهشني يوماً أن أكتب اسم مدينتي أو قريتي أو مدرستي.. بيننا وبين الغرب مسافة اسمها الاحترام. لم أقلق يوما بشأن المستقبل عندما عرفت أنه ليس بيدي تغييره أو تحويله.. (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضرا إلا ما شاء الله).. كان القلق من رنين الهاتف.. من المجهول.. من رسالة يحملها ساعي البريد.. من الله حين ألقاه فى سورة الرحمن أو في صلاة.. نحن البشر أغبياء طوال الوقت.. نشعر بالتحدي للسماء للكون وبعض الهواء البارد يرقدنا فى الفراش في حالة عجز إنساني.. نتأوه.. على كل حال الاستمرار فى الحياة ليس بيدنا حتى النهاية.. لم نعرف الحقيقة.. لم نعرف"(١)

يشعر فتحي رضوان بالحسرة على أحلامه التي لم يستطع تحقيقها في بلده وينسب عدم توفيقه في تحقيقها إلى سوء حظه الذي ظل

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : "شاي بالياسمين"، ص ٣٩٤.

مرافقًا له طوال حياته، والتأخر الحضاري الذي يعاني منه وطنه، بل الوطن العربي بأكمله مقارنة بالغرب ، والتاريخ خير شاهد على ذلك، ولكنه على الرغم من سيطرة القلق بشأن مستقبله عليه، إلا أنه لم يفقد المل في الله، وأنه وحده سبحانه وتعالى قادر على تحقيق كل ما يحلم به، وهو ما جعل الكاتب يتناص مع قوله تعالى: قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(١) ، ليوضح أنه لا يستطيع تحقيق أي نفع لنفسه ، أو دفع أي ضرر عنه إلا إذا أعانه الله على ذلك، كما أن التناص جاء للدلالة على أن الله قادر على أن يرفع من شأن مصر رغم كل الكبوات التي مرت بها عبر التاريخ.

ويستمر الكاتب في توظيف النصوص القرآنية داخل النص الروائي، ويتضح ذلك فى روايته "ليالي دبي: شاي أخضر" في النص التالى :

" يسرق سائق التاكسى الناس.. يسرق النجار الحداد.. يسرق الحداد البقال.. يسرق البقال الجزار . يسرق الجزار الكل.. الكل يسرق الكل.. آه كيف جعل السادات التجار يتحولون إلى لصوص بقوانين الانفتاح؟ وكيف أكدها حسنى مبارك يتم الباطل فى مصر بقوانين.. كل المصريين فى النار..إلامن رحم ربى.. محاصر أنا والشرفاء.. على ضفاف الغربة والبحث عن وطن شريف.. أسير

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٨٨.

مع عفت فى حديقة الشلالات ..اختبر برودة الجو بانفاس زفير اخرجها من فمى فى البرد تخرج كالضباب.. من يعرف أننى أحب خشونة الرمال تحت اقدامى الحافية فى رمال جبل أبوقير.. من يعرف أننى أحب نعومة فروة القطط.. وصوت صفير الريح.. إننى أقرأ اللون الأخضر بألف درجة فى الحقول. وأحب رائحة عشب اليود أننى أهوى مراقبة البراكين فى قنوات التلفزيون.. وأهوى مشاهدة الأنهار وهي تجرى بقوة الرحمن وأحب أرى جبال الأردن والسعودية والإمارات.. سبح بسم ربك الذى خلق.. مصر تحتاج إلى منقذ مستبد مثل تحتمس الثالث أو أحمس أو رمسيس الثانى أو الحاكم بأمر الله أومحمدعلى أو جمال عبد الناصر.. هل يكرمنا الله بزلزال يطهرنا.. هل يكرمنا الله ببحر ينشق علينا فيأخذ نصف شعبنا.. ويترك نصفنا متطهراً.."(١)

يناقش الكاتب في النص الروائي سياسية الانفتاح الاقتصادي التي تبنتها السلطات المصرية إبان حكم الرئيس محمد أنور السادات بعد حرب أكتوبر ، والتي تعني "فتح الاقتصاد المصري للاستثمار الخاص المباشر من الخارج". ويركز الكاتب في النص على إبراز النتائج السلبية لتلك السياسة، ومن أهم تلك النتائج التدني الأخلاقي الذي أصبح سائدًا في المجتمع المصري ، والمتمثل في انتشار الغش والسرقة بين المصريين، وبخاصة التجار، وذلك بسبب الصراع مع الغلاء الذي عانى منه المصريون بعد تطبيق

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الثانى : طشاي أخضر"، ص ٣١.

سياسة الانفتاح ، مما جعل الكاتب يتناص في النص مع الآية القرآنية : " وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(١)، للدالية على أنه رغم انعدام الضمير عند بعض المصريين والذي جعلهم يتجهون إلى السرقة، إلا أنه مازال هناك شرفاء في الوطن يحكمون ضمائرهمن ويرفضون اتباع أهوائهم وطاعتها فيما تأمرهم به من السوء ، كما تناص الكاتب في النص نفسه مع الآية القرآينة : " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى "(٢) وذلك للدلالة على أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء جميل، فقد خلق الإنسان فسوى خلقه، وهيأه للتكليف لا ليفسد في الأرض، ويظلم أهلها.

وهكذا نجد أن الكاتب من خلال تناصه مع هاتين الآيتين يوضح أن "فتحي رضوان" بطل روايته رغم معاناته الشديدة من الظروف التي تمر بها مصر – والتي لا ذنب له بها – إلا أنه لا يحيل المسئولية كاملة على الدولة، ولا يوجه النقد بشكل مباشر ضد القيادة السياسية – باعتبارها هي المسئولة عن هذه المعاناة التي يشعر بها المصريون – لكنه يحمل المصريين أيضًا جزءًا من تلك المسئولية ، فقد كانوا السبب فى زيادة حجم تلك المعاناة، وذلك بتخليهم عن ضمائرهم ، واتجاههم إلى سرقة بعضهم بعضًا، فالتناص القرآني هنا لم يظهر سخط "فتحى رضوان" من قوانين الانفتاحن وتأثيرها السلبي على مصر والمصريين فحسب، بل

(١) سورة يوسف ، آية ٥٣.
(٢) سورة الأعلى ، آية ١ ، ٢.

أظهر أيضًا الوجع الذي يشعر به بسبب تملك الشر من نفوس بعض المصريين ، حيث جعلهم يخونون ويغش بعضهم بعضًا .

ومن المواضع التي تناص فيها الكاتب مع آيات القرآن الكريم ، ما ورد فى روايته "كل م عليها خان" ، حيث تناص مع إحدى الآيات القرآنية ، وذلك في إطار حكاية تقصها "شهرزاد" (إحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية) على "سهر" بطلة الرواية ، ويرجع زمن تلك الحكاية إلى عهد الخليفة المستنصر بالله في أثناء حكمه لمصر:

"شربت شهرزاد الشاس، ومددت ساقيها ، وأكملت قائلة :

- كان ياما كان فى سالف العصر والأوان بنت وجد درة عصر وقمر مكانها وعطر الحي الذى تسكن به.. أمها التركية وأبوها المصرى الذى به عمار الحلاق أمهر الحلاقين.... الحارة متسخة مثل كل حارات مصر والزبالة فى كل مكان.. كان المصريون يحبون الحفر تحت بيوتهم لعلهم يجدون كنزا والسبب ماذكر عن كنوز يوسف عليه السلام.. وكنوز قارون التى خسفت فى الأرض وكنوز الاسكندر الأكبر.. وكنوز الملوك من قبله من بعده لأنه كان يكنز مايفيض من النفقات والمؤن لنوائب الدهر.. وهو قول الله عز وجل "فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز"..إذا مصر أرض الكنوز كما أشار القرآن الكريم.. "(١)

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ٤٨.

يصف الكاتب في النص الروائي التي وصلت إليها شوارع وحواري مصر في عهد المستنصر بالله، من حيث ازدياد انتشار القمامة فيها، مما دفع الكاتب هنا إلى التناص مع قوله تعالي: " فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ "(١)، وذلك للتأكيد على أن مصر هي أرض لاكنوز والجمال، حيث إنها مليئة بالخيرات الطبيعية التي وهبها الله إياها، فنجد أن التناص الديني هنا أبرز مدى التشويه الذي صنعه المصريون بتلك الأرض التي وصفها الله سبحانه وتعالى بالجنة، فبعد أن كانت مصر أرض الجمال والكنوز أصبحت القمامة تملأ شوارعها.

وثمة نموذج آخر يتناص فيه الكاتب مع القرآن الكريم ، ففي روايته "كل من عليها خان" تناص الكاتب مع إحدي آيات القرآن الكريمن وذلك في إطار الحديث الذي دار بين بطل الرواية "فتحي رضوان" ، وبين "سليمان الشيخ" صديقه في الجريدة التي يعمل بها في دبي حول حكومة مصر:

" بينما أنا داخل حمام دورة المياة أغسل وجهي ، خرج من إحدى الغرف شاب ممتلئ ، وله شارب غريب شعيراته أغلبها واقفة..

- مرحبا أستاذ أنت جديد في الجريدة؟
- نعم.. أنا فتحي رضوان خليل .. كنت في مجلة صوت الأمة انتقلت إلى جريدتكم ، أنا زميلكم الجديد..عينني عبد اللطيف الأشمر.

(١) سورة الشعراء ، آية ٥٧.

- أنا سليمان الشيخ .. فلسطيني من لبنان...
- أنا فتحي رضوان خليل.. من مصر سكندري المولد .. عاشق القاهرة.. وعقلي قومي..
- أهلين تعالى اشرب قهوة فى مكتبي..
- ماشي .

خرجنا من الحمام.. اتجهت إلى مكتبه.. جلسنا.. كان انتقالي من مجلة اسبوعية إلى جريدة يومية.. نقلة نوعية..

تحدث سليمان الشيخ عن حكومة مصر بقسوة.. وعن السادات.. وانا أعرف تماما أن السادات رجل ليس بوطني بل طوال عمره خائن وعميل.. ربما تكون بدايته كانت وطنية ثم انحرف.. كثير من الثوريين انحرفوا صاروا خونة أو عملاء.. هكذا يخبرنا التاريخ ولأننا لانقرأ وأول آية فى القرآن لنا إقرأ...."(١).

يدور النص حول انتقاد سليمان الشيخ – الرجل الفلسطيني الذي يعمل صحفيًا في الجريدة التي يعمل بها بطل الرواية "فتحي رضوان" – للحكومة المصرية، وسياستهم في الحكم، وسياسة حاكم مصر، وتأييد فتحي رضوان له في انتقاده ، مشيرًا إلى انحراف العديد من الثوريين عن الوطنية، ومن ضمنهم الرئيس محمد أنور السادات ، معتمدًا في تلك الإشارة على الحوادث العديدة التي اطلع عليها في كتب التاريخ، والتي تؤكد صحة كلامه ، فهو

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ١٠٧

مواطن مصري مثقف، محب للقراءة والاطلاع على كل شيء يتعلق بتاريخ مصر ، ولك ناتج عن أنه كان دائمًا مهمومًا بقضايا وطنه.

وهنا تناص الكاتب مع أول آيه نزلت من القرآن : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"[١] ، التي حث بها الله سبحانه وتعلى عباده على القراءة والعلم، فنجد أن التناص هنا قد جاء بمثابة دعوة للقارئ لأن يقرأ في التاريخ جيدًا ، وذلك لمعرفة الحقائق السياسية التي يجهلها بعض الناس بسبب إهمالهم للقراءة بشكل عام، وخاصة قراءة الكتب التي تتحدث عن تاريخ مصر، فالقراءة أول نعمة أنعم الله بها على عباده، لأنها تقودهم إلى تنوير أذهانهم ، وتحكيم عقولهم للحكم على الأمور، و الأحداث والمواقف بشكل سليم وموضوعي.

وقد ورد تناص ديني آخر في الرواية نفسها ("كل من عليها خان") ، وذلك في أثناء حديث دار بين "فجر" و"جميلة" حول الحالة التي وصلت إليها مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله، كما سنرى في النص التالي:

" نظرت فجر إلى جميلة :

- ماذا تقولين يا جميلة .؟
- أقول ما سمعت.. سافرت وجد مع زوجها إلى الشام.
- آه كويس.

---

(١) سورة العلق ، آية ١.

- ربنا يسعدها.

التفتت اليها فجر بغيظ شديد وجنون :

- اسمعي يا امرأة.. وجد ليست ابنتك بل هي ابنتي واختي وحبيبتى.. خبريني بالحقيقة دون لف أو دوران.. أين وجد خبرينى ؟

بكت جميلة وهي ترتعش:

- زوجك هو السبب.. ؟
- زوجي فتح الله..
- نعم.
- كيف ؟
- طلب من زوجي مقايضتها بالخبز والزواج منها.
- ابن الكلب..

صمتت جميلة.. صاحت فجر بصوت عال :

- وبعد ذلك ماذا حدث ؟
- زوجتها .
- البنت تحب نيروزي.. إياك تكوني زوجتها من رجل آخر.

ابتسمت جميلة قائلة :

- لا زوجتها من نيروزي .
- الحمد لله.. الحمد لله.

بكت جميلة وضمتها فجر إلى أحضانها وهي تبكي..
وصاحت جميلة :

- الفقير ما له ظهر في هذا البلد. هذا البلد ضاع يا جميلة.. الفقر يحاصره والفساد والدمار والجوع وكل شيء يسير حسب قانون ظالم وفتاوى الشيخ إسحاق.. كل من عليها خان"(١).

بعد أن ساءت أحوال مصر والمصريين الاقتصادية في نهاية عصر الخليفة المستنصر بالله، أطلق على تلك الفترة اسم الشدة المستنصرية ، وذلك كان نتيجة غياب مياه نهر النيل ، مما كان له تأثير كبير على الزراعة والتجارة، وقوى الغلاء ، فمرت مصر بفترة صعبة وحرجة ، وازادات الأمرو سوءًا بسبب جشع التجار الذين احتكروا الغلال، وخزنوها في مخازنهم ، وتحكموا فيها، وبدأوا في مساومة المصريين بأن يحصلون على أولادهم أو أي شيء آخر يملكونه مقابل أن يعطوهم من تلك الغلال، فنجد أن الكاتب يصور في النص الروائي الحالة التي وصلت إليها مصر في تلك الفترة، وذلك من خلال حوار دار بين "فجر" زوجة المعلم "فتح الله" شهبندر التجار (وهو أحد التجار الذين أصابهم مرض الجشع) ، وبين "جميلة" زوجة "عمار الحلاق" الرجل الفقير، فنرى

---

(١) رواية : كل من عليها خان، مركز الوطن العربي : رؤيا ، ط١، ٢٠١٥م، ص ٢١٧.

في النص أن الحوار دار بينهما حول زواج "وجد" ابنة جميلة وعمار الحلاق من حبيبها "نيروزي"، وسفرها إلى الشام، واندهاش "فجر" عند علمها أن السبب وراء تلك الزيجة المفاجئة هو زوجها التاجر "فتح الله"، وذلك لطلبه من "عمار الحلاق " الزواج من "وجد" ، ومقايضتها بالخبز، ففضل والديها – رغم فقرهما الشديد ، وحاجتهما للطعام – أن يزوجاها في السر دون علم أحد ، عن أن يبيعونها للتاجر مقابل بعض من الخبز، مما دفع الكاتب هنا إلى التناص مع قوله تعالى : "كل من عليها فان"(١) ، وذلك للدلالة على موت الضمير في نفوس بعض البشر، كما سيموت جميع أهل الأرض، ويفنى كل ما عليها من جبال وأشجار ، وإنس وجان وحيوانات، فغياب الضمير هو السبب وراء حالة الضياع التي وصلت إليها مصر، وانتشار الظلم والفساد والجود بها، فنجد هنا التناص قد أظهر أن الإنسان الذي مات ضميره، واستطاع أن يخون القيم والمبادئ ، ويظلم الناس من حولهن بمثابة الشخص الميت، لأنه حينئذ يكون قد فقد روح فأصبح لا قيمة لوجود جسده.

والجدير بالذكر أن الكاتب قد تناص مع نفس الأية الكريمة "كل من عليها فان" من خلال عنوان روايته "كل من عليها

(١) سورة الرحمن ، آية ٢٦.

خان" الذي جاء متناسبًا مع الفكرة التي يتناولها الكاتب داخل الروايةن ألا وهي فكرة الخيانة بصورها المتعددة، فقد ظهر في الرواية الخيانة الزوجية، وذلك من خلال خيانة "سهر لزوجها "منقذ" ، وخيانة "فتحي رضوان" لزوجته "تهانى" ، كما ظهر في الرواية شكل آخر من أشكال الخيانة ، وهي خيانة الشعب المصري لنفسه ، وذلك عن طريق خوفه وصمته، وتنازله عن حقوقه، وتركه للحكام يعبثون في الأرض فسادًا ، وينهبون حقوقه دون وجه حق، وأيضًا ظهرت خيانة الوطن، وذلك عن طريق خيانة المسئولين عنه وعن حمياته ورعاية مصالح مواطنيه له، ويتم ذلك عن طريق تفضيل مصالحهم الشخصية على مصلحة الوطن والمواطنين، وغيرها الكثير من صور الخيانة المختلفة، وكأن الخيانة أصبحت تجري في عروق البشر مثل الدماء.

ونجد أن الكاتب عند تناصه مع الآية الكريمة قد استبدل لفظة "فان" ، ووضع بدلاً منها لفظة "خان" ، وجعلهما متساويين في المعني، وذلك للدلالة على أن الخيانة بالنسبة له بمثابة الموت، فالخائن إنسان مات ضميره، فأصبح لا قيمة ولا وجود بالنسبة ، مثله كالإنسان الميت الذي لم يعد له وجود بالنسبة لمن حوله من البشر ، كما من الممكن أن تؤدي إلى إزهاق وموت أرواح كثيرة لا ذنب لها، وذلك لأنها تنتج كافة الجرائم

والكوارث والحروب، فقد جاء التناص هنا مؤكدًا وموضحًا للفكرة التي يريد الكاتب التعبير عنها داخل روايته.

ثانياً : التناص مع الحديث النبوي الشريف :

يعتبر الحديث النبوي الشريف الكتاب الثاني المقدس بعد القرآن الكريم من حيث بلاغة القولن وفصاحة الألفاظ ، لذلك نجد أن الكاتب قد تأثر في رواياته بنصوص الأحاديث النبوية الشريفة، واستلهم منها ما يعينه على التعير عن أفكاره السياسية ، ومن النماذج التي استعان فيها الكاتب بالأحاديث النبوية ذلك النص من رواية " كابتشينو" :

" وقبل أن يصل فرعون وهامان ومن معهما إلى شاطئ البحر خلف موسى ومن معه أمر الله البحر ليعود بحراً كما كان، وأغرق الله فرعون وجنوده وهامان، وهنا أدرك فرعون أنه لا نجاة من الغرق إلا لمن آمن بالله وصدق، فقال لموسى:

- يا موسى.. يا موسى أغثنى.. إنى آمنت بأنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين..

فقال موسى له موبخاً إياه ومعلناً له كذبه:

- الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

صاح محب:

- نور أنقذينى إنى آمنت برب موسى وهارون

انفرطت الدموع من عينيها وهو يغرق.. غرق القلب والروح فى البحر وأنت المعاند المكابر يا محب.. آه لو جئت معى.. آه لو تعرف كم توسلت إليك وناقشك أبى.. آه وآه.

صاحت نور:

- يا حبيبى.. ضاعت كل الفرص.. (أدارت ظهرها وصاحت): آه يا مصر يا بلادى يا طاردة.. يا قاتلة..

ويقول جبريل عليه السلام لرسولنا محمد عليه السلام.

- لو رأيتنى يا محمد وأنا أضع الماء والطين فى فم فرعون، وهو يغرق حتى لا يتكلم أو ينطق.

وهنا يسدل الستار على مشهد ينتصر الله وحده، ويهزم جيشاً جباراً ويموت محب مع فرعون وهامان وخيله برق و١٢٠ الف مقاتل فى مياه البحر الأحمر دون الحاجة إلى مقاتلين من البشر أو إلى قنبلة ذرية أو أسلحة بيولوجية أو كيميائية، وكان الموت غرقاً للعصاة والجبابرة الطغاة.[١]

يصف الكاتب في النص الروائي اللحظات الأخيرة من مشهد غرق حاكم مصر الظالم المتسلط "فرعون" ومن معه، وذلك نتيجة تماديه وإسرافه في ظلمه لقومه ، وادعائه للألوهيةن ورفضه الاعتراف بأن الله هو الواحد الأحد، "لذلك أوحى الله إلى سيدنا طموسى" عليه السلام ، فضرب بعضاه البحر فانشق له طريقًا

---

(١) رواية : كابتشينو ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨.

يابسًا، وسار بقومه، وجاوز بهم البحر ، ونجوا أجمعين ، فأتبعه فرعون بجنود ليلحقوا بهمن ويهلكونهم، حتى إذا تعمقوا في الدخول أمر الله البحر بانطبق عليهم ، فغرق فرعون وجنوده، فعندما جاءت تلك اللحظة الحاسمة التي أوشكت فيها الروح على الخروج، اعترف فرعون بالألوهية لكي ينجو من الموت"(١)، ولكن قد ضاعت كل الفرص التي أعطاها الله له لكي يتوب ويعود إليه ، مما دفع الكاتب إلى التناص مع الحديث الشريف: " حدثنا عبد بن حميد ، قال حدثنا الحجاج بن منهال، قال : حدثنا حماد بن سلمة، عن على بن زيدن عن يوسف بن مهران، عن بن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لما أغرق الله فرعون قال : ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسرائيل) (يونس ٩٠)، فقال جبريل : يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ منحال البحر، فادسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة"(٢) . ويتضح من خلال الحديث دور جبريل عليه السلام في ذلك المشهد ، فقد كان جبريل عليه السلام من شدة بغضه لفرعون وتصرفاته وطغيانه، يخشى أن يقبل الله توبته برحمته الواسعة ، فأخذ يدس في فمه طينة البحر حتى يمنعه من نطق الشهادة الصحيحة في الوقت المناسب ، ولكن توبة فرعون قد جاءت متأخرة، فجعله الله إيه وعبرة للغافلين ،

---

(١) موقع الكتروني ، إسلام ويب، مركز الفتوى، ٩ مارس ٢٠١٤م.
(٢) الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، المجلد الخامس، ت / د بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٦ م ، ص ١٨٤، ١٨٥.

وبموته انتهت معاناة بني إسرائيل ، وأحسوا بالأمن بعيدًا عن أي خوف أو ذلك يطاردهم.

ونجد هنا أن التناص مع الحديث الشريف قد جاء لإدارة الموقف، كما أسهم في إضافة تفاصيل أخرى – قد تكون خفية على القارئ – للحظة نهاية الحاكم الطاغي، الذي نزعت الرحمة من قلبهن فلم يرحم أمًا ولا طفلاً ، لذلك كان يستحق العقاب والهلاك.

وثمة نموذج آخر استعان فيه الكاتب بالحديث النبوي الشريف، وذلك في رواية " ليالي دبي : شاي بالياسمين":

" اشتريت قصة أخرى لإحسان عبد القدوس حتى تتجاوب مع القراءة.. قدمت النسخة لها وقبلتها، أخذتها من يدى وقرأت الإهداء وقبلتني من خدى ثم وضعتها جانبًا.. وحدثتنى عن البقال الهندي والنظام الدقيق في الإمارات، قال لها هذا خضار خراب ولم يبعها لها خوفًا من البلدية، بخلاف ما يحدث في مصر يتفنن البائع في دس الخضار العطب مع الخضار الطازج تكتشف إن الطماطم التي تشتريها في مصر نصفها عطب من غش البائع أما في الإمارات لا يحدث هذا.. تمنيت من وزارة التموين المصرية أن ترسل إلى الإمارات مجموعة من أصحاب المخابز لدراسة كيف تتعامل المخابز هناك مع الخبز مخبز طوله مترين فى مترين هناك فيه ماكينة تغلف الخبز بعد خبزه حتى لا يتلوث.. ولو ضبط مخبز مش جايب الماكينة يغلق في الحال الخبز في مصر يلقونه على التراب وعلى الأرصفة كأننا حيوانات.. والماكينة بالفين درهم فقط

يعنى ٣ آلاف جنيها مصريا.. وأقل مخبز في مصر بيكسب ٥ آلاف يوميًا. متى نصير بشرًا يا مصريون؟

نظرت لي بغيظ فأنا لا أشاركها تفاصيل الحياة اليومية.. قالت تهاني:

- ما مهمتك فى الحياة يا فتحي؟

- تنوير الناس يا تهاني؟

- وهل نورت الناس يا فتحي؟

تفتكري مين اللي باعني ومين اللي اشتراني؟؟ لا مصر أمي ولا حضنك دفاني وأعلم أن رسول الله منكم.. وأعلم، {وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كتبه الله عليكاعلم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فى أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}، وأعلم أنني كثير التمني ولكن حولي ظلام شديد. إن عقول الناس مظلمة.. وطاقتهم منحرفة.. ليس لديهم لائحة أخلاقية خفية أو ظاهرة قوية، والقانون لديهم مثقوب التفسير والمعنى.. وضرير منذ سبعة آلاف سنة والقلب فاسد الرائحة منذ فجر الضمير"(١).

يدور النص الروائى في إطار حديث دار بين بطل الرواية ط فتحي رضوانط ، وبين زوجته "تهاني" حول النظام الدقيق الذي وجدوه في الإمارات حينما هاجروا إليهان وذلك بسبب الراقبة الشديدة من الحكومة على البائعين، حرصًا منهم على صحة مواطنيهم، مما

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاى بالياسمين ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥.

جعله يشعر بخيبة الأمر والحسرة على وطنه مصر، وعلى ما يحدث فيه من غياب لضمائر بعض البائعين، وعشهم للمواطنين ، عن طريق دس الخضار العطب مع الخضار الطازج، وإهمال الرقابة عليهم من قبل المسئولين، مما يهدد صحة المواطنين، فذلككله جعل فتحي رضوان مشتت الذهن لا يعرف على من يلقي اللومن هل ليوم المصريين الذين يغشون ويؤذى بعضهم بعضًا ، أم يلوم الحكومة التي سمحت بتقصيرها في حق المواطنين بانتشار الغش، مما دفع الكاتب للتناص مع الحديث الشريف (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضرون إلا بشيء قد كتبه الله عليه، واعلم أن الله يعلم ما في نفسكم فاحذروه)[1] ، وذلك للدلالة على أن الله هو الذي يحفظ المصريين من كل فساد يحيط بهم، ويدفع الضرر عنهم ، كما دل التناص على أن اللهشاهد ومطلع على جميع تصرفات البشرن وسيأتي اليوم الذى سيحاسب فيه هؤلاء التجار على عمليات الغش التي يقومون بها، وسيحاسب المسئولون على تقصيرهم في حقوق رعيتهم، كم أظهر التناص حالة اليسأس التي أصابت فتحي رضوان، نتيجة غياب الضمير ، والتدهور الأخلاقي الذي أصبح واضحًا وظاهرًا في بلده، وخلل القانون الذي يتسبب في ضياع

---

(١) الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي – الجامع الكبير ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥.

حقوق المواطنين، وغيرها من السلبيات الكثيرة التي يعاني منها كل المصريين.

مما سبق يتبين لنا أن روايات الكاتب كانت زاخرة بالتناص بأنواع وأشكاله المختلفة، فنجده قد استلهم من التناص، ما يخدم موقفه وفكره السياسي، ويساعده على إثراء تجربته الروائية ، وهذا إن دل فإنه يدل على ثقافته الواسعة، وقدرته على استحضار النصوص المختلفة، وحسن التعامل معها، وذلك عن طريق توظيفها لخدمة نصه الروائى ، وتقوي دلالته ، ودعم الأفكار التي يريد التعبير عنها داخل رواياته، إذ أسهم التناص في خلق معانٍ جديدة لم يستطع النص الروائي بمفرده خلقها ، وذلك من خلال التفاعل بين النص الحاضر والنص الماضي أو الغائب، مما ادى لى تكامل العمل الروائي، وإعطائه بعدًا تاريخيًا ، وأدبيًا ، ودينيًا سواء أكانت تلك النصوص التي يتناص معها الكاتب وضعت بصورة مباشرة داخل النص الروائي ، دون إجراء تحوير عليها ، أم اكتفي الكاتب بالإشارة إلى بعض المعاني والمفردات والعبارات الشهيرة والتي منخلالها يمكن الاستدلال على مصدرها أو قائلها، مثل النصوص المتعلقة بالشعر، والقرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، كما نجده قد استخدم التناص في الكشف عن واقع سيىء تعيشه الأمة العربية بشكل عام، والمواطن المصري بشكل خاص.

الفصل الثانى

بلاغة الالتفات

الفصل الثانى
بلاغة الالتفات

التمهيد :

تعد ظاهرة الالتفات من أكثر الظواهر البلاغية التي عُني بها بها قديمًا وحديثًا من قبل البلاغيين واللغويين، ولكن قبل التطرق إلى تحليل تلك التقنية البلاغية، ودورها التأثيري في السياقات الأدبية التي وردت بها ، لابد من الوقوف أولاً على تعريفها اللغوي والاصطلاحي ، وتحديد ملامحها الأصيلة في تراثنا البلاغي.

أما الالتفات لغة فهو يأتي من "مادة لفت" : لفت وجهه عن القوم : صرفه، والتفت التفاتًا ، والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه ولفته يلفته لفتًا : لواه على غير جهته، ولفت فلانًا عن رأيه أي صرفته عنه ، ومنه الالتفات"(١)

أما في الاصطلاح ، فقد عرفه أحد اللغويين في أحد المعاجم اللغوية الحديثة، فقال هو : "الانتقال الفجائي أثناء الكلام إلى مخاطبة شخص أو شيء حاضر أو غائب ، ويطلق الآن عادة على مخاطبة شخص غائب ، أو معنى مجسد . مثال ذلك في العربية قول المتنبي (٣٥٤هـ)

عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بِما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ

---

(١) ابن منصور ، لسان العرب ، م ٢، ص ٨٤.

والالتفات في علم المعاني العربي انتثال كل من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى الآخر في التعبير ، كقول امرئ القيس (٥٠٠ – ٥٤٠م؟) :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ   ونَامَ الخَلُيُّ، وَلَمْ تَرْقُدِ

فقد انتقل فيه من الغيبة في "يرقد" إلى الخطاب في "ليلك" ، والإثمد : الكحل."[1]

أما البلاغيون ، فقد تطرق العديد منهم إلى هذه الظاهرة الأسلوبية، ولعل الفضل في تسمية المصطلح يرجع إلى الأصمعي، حيث إنه – حسب ما ذهب اليه شوقى ضيف – أول منتنبه وأشار إلى الالتفات ، فنجده يقول : "لعنا لا نبالغ إذا قلنا إبن الأصمعى أول من اقترح للالتفات اسمه الاصطلاحي في البلاغة"[2].

وقد روى أبو هلال العسكري حادثة في كتاب "الصناعتين" تشير إلى تنبه الأصمعي لتلك الظاهرة الفنيةن فقال : "أخبرنا أبو أحمد، قال : أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي الميثاء قال : قال الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال:

أتنسى إذ تواعُدنا سُليْمى   بعودِ بشامةٍ سقيَ البشامُ

ألا تراه مقبلا على شعره   ثمّ التفت إلى البشام فدعا له"[3].

ويرى ابن الأثير أن الالتفات "مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من

---

(١) مجدى وهبة ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص ٥٨.
(٢) شوقي ضيف (د) ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣ ،
(٣) ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص ٤٠٧.

الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماضٍ، أو غير ذلك"(١)، فبذلك نجد أنه قد قسمه إلى ثلاثة أقسام، وهي :

- "القسم الأول: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، والرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.
- القسم الثانى : الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، والرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.
- القسم الثالث : الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، والإخبار عن المستقبل بالماضي"(٢).

أما ابن المعتز، فقد تناوله تحت ما أسماه "محاسن الكلام"، وعرفه بقوله : "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"(٣).

وبالنظر إلى تعريفات البلاغيين – والتي أشرنا إلى بعض منها – ، نجد أن معناه يدور حول الانصراف ، أو التحول في أسلوب الكلام من طريقة إلى أخرى، سواء أكان هذا التحول

---

(١) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ص ٦.
(٢) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، من ص ٤ : ١٤.
(٣) أبو العباس عبد الله بن المعتز ، البديع ، ت/ عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١، ٢٠١٢م، ص ٧٣.

على مستوى الضمائر ، أم الأفعال، أم الدلالات المعجمية للألفاظ ، وغيرها من ألوان التحول التي تناولها كثير من الأدباء في أعمالهم الأدبية ، شعرًا كانت أم نثرًا ، ولكن على الرغم من تعدد تلك الألوان، إلا أنهم جميعًا يشتركون في الهدف أو الغرض وراء هذا التلوين في أسلوب الكلام ، ألا وهو لفت انتباه المتلقي وإمتاعه، حيث إن التنقل من أسلوب إلى آخر يثير ذهن القارئ، ويجعله أكثر انفعالًا ومشاركة في الحدث الأدبي الذي ورد فيه، كما أن هذه التقنية البلاغية تعمل على إظهار القدرة الفنية للأديب، لأن العدول في مسار التعبير من أسلوب إلى آخر لا يتم بشكل عشوائى، بل له شروط محكمة ، لذلك يتطلب نوعًا من الدقة والمهارة ، حتى يستطيع الأديب توصيل المعني المراد ، حيث إن الالتفات " هو الانتقال بالأسلوب من صيغة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ ، بشترط أن يكون الضمير في المنتقل اليه عائدًا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأول"(١).

وفيما يتعلق بعلاقة ظاهرة الالتفات بعلم الأسلوب ، فإن علاقة وثيقة يربطهما ، حيث إن الالتفات من الظواهر البلاغية التي

(١) عبد القادر حسين (د) ، فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م، ص ٢٨٠.

يهتم بتحليلها علم الأسلوب، بالإضافة إلى أنهما يتلاقيان في غاية واحدة، إذ إن "وظيفة كليهما هي التقاط النتوؤات أو التحولات التعبيرية فى لغة الأدب للكشف عن شحناتها التأثيرية أو الدلالية"(١). وقد اتفق البلاغيون في تعريفهم للالتفات على أنه يدل على التحول في الكلام من صيغة إلى أخرى، وبالنظر إلى ذلك نجد أن "هذا التحول أو العدول هو جوهر الأسلوب في نظر المعاصرين، ومن ثم كان من الطبيعي أن ترتكز تحليلات البلاغيين لصور الالتفات على كثير من المبادئ التي حددها واستند إليها علم الأسلوب"(٢)، لذلك تعد ظاهرة التحول من الظواهر الدالة على قوة وعمق العلاقة التي تربط بين الالتفات وعلم الأسلوب.

وقد وظف "السيد حافظ" هذه التقنية البلاغية بأشكالها المختلفة داخل رواياته، حيث تحول بين الأفعال المختلفة، فنجده تارة يتحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي، دالًا بلك على الارتداد الزمني الذي اعترى النص الروائى ، وتارة أخرى يتحول من الفعل الماضي إلى الفعل المستقبل، ليستشرف بعض الأحداث الروائية، فنجد أن هذا التحول قد مكنه من التلوين الزمني داخل رواياته، وقد لجأ الكاتب أيضًا

(١) حسن طبل (د) ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٨م، ص ٣٣.
(٢) حسن طبل (د)، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص ٣٣.

إلى صورة أخرى من صور التحول، حيث تحول في الأسلوب من الصيغة الخبرية المباشرة إلى الصيغة الإنشائية الطلبية بأنواعها المتعددة، لما في العدول من صيغة إلى أخرى من كسر ح الة الرتابة، والملل التي قد تصيب القارئ فى أثناء متابعته لأحداث الرواية، ومن ثم يمكن أن ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين هما :

- المبحث الأول : تحول الأفعال
- المبحث الثاني : التحول الأسلوبي

المبحث الأول
تحول الأفعال

يعد التحول بين الأفعال المختلفة أحد أقسام الالتفات التي أشار إليها ابن الأثير في كتابه، حيث يقول : "القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، عليه الفعل المستقبل، أو تفخيمًا لأمره، وبالضد من ذلك في من أجري عليه فعل الأمر . القسم الثالث : في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ، وعن المستقبل بالماضي، فالأول الإخباري بالفعل المستقبل عن الماضي: اعلم أن الفعل المستقبل ذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعلا لمستقبل يوضح الحالة التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي، وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه جهلاً بمكانه، فإنه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماضٍ بجارٍ هذا المجرى ، وسأبين ذلك فأقول : عطف المستقبل على الماضي ينقسم الى ضربين : أحدهما بلاغي، وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل ، والآخر غير بلاغي ، وليس إخبارًا بمستقبل عن ماضٍ ، وإنما هو مستقبل دل على معنى

مستقبل غير ماضٍ، ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود ولم يمضر "[١].

ونجد أن الكاتب في رواياته ـ التي نحن بصدد دراستها ـ قد مزج بين الصيغ الفعلية النوعية ليدل على الحاضر أو المستقبل، أو العكس، مما ادى إلى التداخل والتحول بين الأزمنة المختلفة، وذلك عن طريق أن يتخلل اللحظة الحاضرة ارتداد إلى لحظة ماضية لعلة فنية بلاغية، ألا وهي بث الحركة والحيوية في الأداء، وتعميق تطور الحدث، أو يتخلل اللحظة الماضية استباق إلى لحظة قادمة، لإثارة المتلقي وتشويقه.

وقد نجد الزمن استحوذ على اهتمام كبير من قبل النقاد، على اعتبار أنه عنصر أساسي في السرد الروائي ، كم أن له أهمية كبيرة في تحديد طبيعة الرواية وشكلها، ويضبط إنشاءها وصورتها النهائية، وذلك على أساس أن الرواية قائمة على حكاية تتكون من مجموعة أحداث يتم قصها حسب ترتيب زمني معين، ويرجع ذلك إلى الأساليب المختلفة التي يتبعها الروائيون في تقديم الحدث الروائي، بمعنى توظيف الزمن بصور مختلفة ليكون في خدمة النص الروائي، فمنهم من يمضي على النهج القليدي، حيث ترد الأحداث متعاقبة، فالبداية تأتي أولاً ، ثم يتقدم الحدث إلى مرحلة الوسط، وهكذا

---

(١) ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ص ١٣: ١٥.

إلى أن يبلغ لحظة التنوير التي تنفك فيها خيوط الصراع، وتأخذ المشكلات طريقها إلى الحل. أيضًا يلجأ بعض الروائيين إلى "بدء الأحداث من نهايتها، ثم يعمد إلى تقنية الارتداد إلى الوراء، باعثًا بها الماضي في عقول الشخصيات، متعقبًا جزئيات الحدث إلى أن ينتهي بالبداية"(١)، وذلك يعتمد على الذكار الأدبي الذي يتمتع به بعض الروائيين.

الزمن لغة واصطلاحًا :

يرى ابن منظور أن "الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع أَزْمُن وأَزْمان وأَزْمِنة. وزَمَنٌ زامِنٌ: شديد. وأَزْمَنَ الشيءُ: طال عليه الزَّمان،وأَزْمَنَ بالمكان: أَقام به زَماناً، الزمانُ زمنُ الرُطب والفاكهة ، وزمانُ الحر والبرد، قال : ويكون الزمانُ شهرين إلى ستة أشهر ، والزمانُ يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مُدة ولاية الرجل وما أشبهه"(٢). ولكن على الرغم من قدرة العلماء على تعريف الزمن من الناحية اللغوية، إلا أنهم وجدوا صعوبة في الاجماع على تعريف واحد للزمن من الناحية الاصطلاحية، لأن الزمن رغم سيطرته على الحياة بشكل عام إلا أنه يعد شيئًا وهميًا مجردًا لا ماديًا محسوسًا ، لذلك وقف كل عالم على مفهوم خاص للزمن، وبالنظر في

---

(١) ربيع عبد العزيز (د) ، مرايا السيد، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ط ١، ٢٠١٠م. ص ١٦ ، ١٧.
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثالث عشر ، ص ١٩٩.

المعنى اللغوي للزمن نجد أن "الزمن موكل بالكائنات ، ومنها الكائن الإنساني، يتقصي مراحل حياته، ويتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء ولا يغيب عنه منها فتيل. كما تراه موكلًا بالوجود نفسه، أي بهذا الكون ، يغير من وجهه، ويبدأ من مظهره، فإذا هو الآن ليل، وغدًا هو نهار، وإذا هو في هذا الفصل شتاء، وفي ذاك صيف"(١).

والجدير بالذكر أن هناك عدة أزمنة تهتم بها الرواية ، وهي:

١- الزمن الطبيعي أو الموضوعي : وهو الزمن المرتبط بمقاييس الطبيعة، حيث الفصل والسنة والشهر والأسبوع واليوم، ويقاس على أساسها، لذلك فهو زمن خطي، دائمًا يتحرك إلى الأمام باتجاه المستقبل، ولا يعود إلى الماضي.

٢- الزمن النفس أو الذاتي: وهو يتعارض مع الزمن الطبيعي منحيث إنه يتعلق بالحالة الشعورية للإنسان، لذلك فهو يختلف من شخص إلى آخر، والمقياس الذي يحكمه هو وعي ووجدان وخبرة الإنسان الذاتية، ومعنى ذلك أن "الإنسان زمن يتشكل من ثلاثة أبعاد: اللحظة الآنية الحاضرة التي يعيشها ويمارس فعله

---

(١) عبد الملك مرتاض (د) ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، عالم المعرفة ، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٧١.

فيهان وقد سبقتها لحظة ماضية تراكمت على الماضي الممتد عبر سنوات العمر السابقة، لتشكل وجود الإنسان وتؤثر في أفكاره ومشاعره ، فيتعامل مع لحظته الآنية الحاضرة وفق معطيات الماضي الممتد، حيث تدفع الذاكرة باستمرار الماضي باتجاه الحاضر لاستشراف المستقبل الآتي"(١).

٣- الزمن الروائي أو التخييلي: وهو زمن يتصف بالمرونة ، وفيه يستخدم الروائي العديد من التقنيات للتعبير عن رؤيته تجاه الحياة والإنسان، وأيضًا للخروج عن التسلسل المألوف أو المعتاد للزمن الموضوعي ، وذلك عن طريق تكثيف الأحداث أو تلخيصها، أو القفز السريع بها ، أو حذف جزء منها في بعض الأحيان. ومن هنا يتضح أنه على الرغم من عدم تطابق الزمن الروائي مع الزمن الطبيعي أو الواقع ، إلا أن هناك علاقة تربطهما ، حيث إن "تقنيات الزمن وآلياته المستخدمة في الرواية إنما أخذت من تقنيات الزمن الواقعي ، فمثلاً نقول التسلسل الزمني المنطقي في

---

(١) مها حسن القصراوى (د)، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ م ، ص ٢٦.

الرواية التقليدية، أو التداخل الزمني في الرواية الحديثة، فهذان البناءان الزمنيان يمكن تمثلهما في الحياةن فنحن نعيش التسلسل الزمني الموضوعي، حيث الماضي ثم الحاضر والمستقبل ، كذلك يمكن ان يعيش الإنسان في لحظة حاضرة آنية أزمنة عدة في الماضي والمستقبل، من خلال انفتاح الذاكرة والحلم"[١]. للك يعد الزمن الروائي زمنًا شاملاً ، لأنه يتكون من تداخل الزمنيين (الزمن الطبيعي والزمن النفسي) حيث "يندمج الزمنان معًا في النص لتشكيل الكيفية التي يجسد بها الكاتب خطابه السردي الحاضر أمام القارئ ، معتمدًا على تقنيات زمنية لتحقيق أبعاد الخطاب الدلالية[٢]".

وقد نجد أن عدم التطابق بين تتابع الأحداث داخل بعض الروايات مع الترتيب الطبيعي لأحداثها ، يتيح للكاتب تشكيل الزمن بحرية تامة، وتوظيفه بصورة تخدم نصه الرواﺉ ، فنجد مثلاً "أن الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة، ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى واقع

---

(١) مها حسن القصراوي (د) ، الزمن في الرواية العربية ، ص ٣٩.
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠.

يأتي سابقًا في ترتيب زمن السرد عن مكانه الطبيعي في زمن القصة ، وهناك أيضًا إمكانية استباق الأحداث في السرد، بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة.

وهكذا فإن المفارقة إما أن تكون استرجاعًا لأحداث ماضية ، أو تكون استباقًا لأحداث لاحقة ، وكل مفارقة سردية يكون لها مدى واتساع ، فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد ، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة"(١).

ونتيجة هذا التعدد والتنوع في المظاهر لزمنية داخل النص الواحد، أو التنقل الحر في الزمن – الذي تميزت به الرواية الحديثة – يتكون هذا المبحث من محورين:

- المحور الأول : التحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي (الارتداد).
- المحور الثاني : التحول من الفعل الماضي إلى الفعل المستقبل (الاستباق)

المحور الاول : التحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضى (الارتداد) :

يعد السرد الارتدادي أحد الأنماط القديمة الذي بدأت مع الحكاية الكلاسيكية ثم تطورت بعد ذلك لتصبح فيما بعد ظاهرة

---

(١) حميد الحمداني (د) ، بنية النص السردي ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩١م، ص ٧٤.

فنية بارزة تميزت بها الرواية الحديثة فنجد ابن منظور يعرفه بأنه : "الارتداد : الرجوع ، ومنه المرتد. واسترده الشيء : سأله أن يروده عليه"(١).

وبالنظر في التعريفات المختلفة التي أطلقها النقاد العرب على السرد الاستذكاري أو الارتدادي، نجده يعتمد على ترك الراوي للحظة الحاضرة ، وعودته إلى أحداث ماضية، لإلقاء الضوء عليها، وتوظيفها بصورة جمالية وفنية لإضاءة الحاضر وتفسيره ، وفهم مسار الأحداث، كما أن هذا الإجراء الذي برز بشكل ملحوظ لأنه يساعد الراوي على "ذكر أحداث ماضية لإيضاح الظروف التي احاطت بموقف من المواقف أو للتعليق عليها"(٢)، ومما يجعل القارئ يعيد تفسيرها من جديد في ضوء ما استجد من أحداث، ونجد ذلك يتم عن طريق "قطع الموقف الآني أو المشهد الراهن الذي يتسم بالغموض أو بالتعقيد ، أو بالرداءة ، أو ببلوغه ذروة اليأس ، أو بوصوله إلى درجة الغليان النفسي، وذلك بالرجوع عنه، أو الارتداد بذاكرة الشخصية إلى لحظات مغايرة ذات بعد ماض، إما بتنوير هذا الموقف أو المشهد الراهن، أو بتعميقه عن طريق استحضار ما أحاط به من ظروف وملابسات نوعية يشعر

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٧٤.

(٢) حسن البنداری (د) ، تقنيات السرد الشعرى في الشعرالعربي الحديث ، بورصة الكتب، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٣م ، ص ١٧٧.

المؤلف أن المتلقي بحاجة إلى إيضاحها ، أو للتعليق عليها ، ويكون ذلك بشكل انتقال مفاجئ يحدث صدمة نفسية مرغوبة للتأثير على المتلقي لهذا الإجراء، فيتفاعل معه وينفعل به على النحو الذي يتطلبه الأدب الحيوي ويدعو إليه "[١].

كما عرفه أيضًا أحد النقاد بقوله : " إن عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارًا يقوم به لماضيه الخاص ، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة. ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية أكثر من غيرها إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيًا عن طريق استعمال الاستذكارات ، التى تأتى دائمًا لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائى. وتحقق هذه الاستذكارات عددًا من لمقاصد الحكائية، مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة، أو بإطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد"[٢]، ومن ثم فإن الروائيين يقومون بتوظيف ظاهرة الارتداد إلى الماضي داخل رواياتهم، لما لها من أهمية كبيرة في "إثراء

---

(١) حسن البندارى (د) ، البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ ، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ٢٠٠٤م، ص ١٧.

(٢) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائى ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٢١، ١٢٢.

حركة الحدث بتعميق دلالتها، وإغناء الشخصية بمدها بالمزيد من الملامح والسمات، وبالمزيد من الكشف عن خوالجها النفسية وتوتراتها العاطفية"(١).

وقد برز اهتمام السيد حافظ في رواياته بظاهرة الارتداد إلى الماضي ، فنجده يتحول من الفعل المضارع الذي يعبر عن حدث حاضر، ليرتد بالفعل الماضي إلى حدث سابق للنقطة التي نحن فيها من الرواية، وذلك لربط الحادثة الحالية التي يناقشها داخل الرواية بسلسلة من الحوادث المماثلة لها في الماضي ، ويتبين لنا ذلك من خلال النصوص التي سوف نقوم بتحليلها في أثناء البحث.

نجد الكاتب في روايته "مسافرون بلا هوية" يناقش مشكلة منع فرنسا دخول الفلسطينيين أرضها كنوع من الأمن الاحتياطى، ولك بسبب المشكلة التي تعرض لها أبو داوود عضو المجلس الثورى لحركة "فين" حين نشر كتابه "فلسطين من القدس إلى ميونخ"، والذي ذكر فيه تفاصيل عملية "ميونخ" التي وقعت في سبتمبر عام ١٩٧٢م، والتي أودت بحياة ١١ رياضيًا صهيونيًا، ورجل شرطة، وطيارين ألمانيين، واعترافه للصحفى الفرنسى عن مسئوليته المباشرة عن تلك العملية، لذلك أعلنت فرنسا أن أبا داود شخص غير

---

(١) حسن البنداري (د) ، النيات الكاشفة عند نجيب محفوظ ، ص ١٣.

مرغوب فيه، ومنعته من دخول البلاد عندما دعته دار النشر التي أصدرت كتابه للحضور إلى فرنسا احتفالًا بصدور الكتاب"(١)، بل منعت السفارة أيضًا دخول أي سيارة لا يكون مكتوبًا عليها "السفارة الفرنسية" ، وقد تناول الكاتب هذا الحدث عن طريق الحوار الذي دار بين بطل الرواية المصري "إبراهيم عمار" ، وبين مديره في العمل الذي التحق به في دولة الكويت "مسيو جارديه" ، والذي يحمل هوية فرنسية.

وقد دار الحوار على النحو التالي:

" دخل مسيو جارديه المكتب، وهو المدير وصاحب الكلمة العليا، ونظر إلى كل منا .

- هل سمعت ما حدث؟
- ماذا حدث ؟
- فرنسا منعت دخول الفلسطينيين.
- لماذا ؟
- من أجل مشكلة أبي داود .
- مشكلة كبري.
- المشكلة يا سيدي أن فرنسا ترفض قرار أمريكا بالسماح لأبي داود بالسفر.

---

(١) موقع إلكتروني : ويكيبديا الموسوعة الحرة.

قال المدير الفرنسي جارديه :

- لا إن فرنسا حرة. فرنسا علقت عليها أعلام الحرية، هتلر قلب فرنسا، يتوقف قلب الحرية الثائر في كل مكان، تخزين الوعي في غصن اللاوعي انفجر مطرًا وسحاب دخان.

قلت له :

- إن المشكلة مشكلة الفلسطينيين ، لقد أخطأت فرنسا في منع الفلسطينيين من الدخول إليها .

هز رأسه . لا تعني القبول أو الرفض.

قال ماتيو :

- هل معك هوية ؟

قلت:

- لا

تذكرت قول عبد الرحيم ونحن في الجابرية : كل المسافرين هنا بلا هوية"[١]

وهنا نجد أن الكاتب استهل النص الروائي بالحديث الذي دار بين إبراهيم عمار وبين مديره الفرنسي، مشيرًا إلى رفض فرنسا قرار أمريكا بالسماح لأبي داوود بالسفر، ويتضح لنا

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ١٥.

من خلال الحوار إدانة إبراهيم عمار لموقف فرنسا من الشعب الفلسطيني ، فقد وصفها بأنها مخطئة في ذلك القرار الذي اتخذته بشأنهم، محاولًا الدفاع عن القضية وعن حقوق الإنسان، وعلى العكس من ذلكنجد مديره الفرنسي يؤيد قرار بلده في ذلك، رافضًا بأن تتهم بلده فرنسا بأنها لا تحترم حرية الغير، وهنا نجد الكاتب يرتد بالزمن ويتحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي ، وذلك من خلال قول المدير الفرنسي جارديه "فرنسا علقت أعلام الحرية. هتلر قلب فرنسا"، ومن خلال تلك المقولة يتضح لنا أن الكاتب يرتد إلى زمن الحرب العالمية الثانية التي أعلنت فيها كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا عام ١٩٣٩م، والتي انتهت باستسلام فرنسا أمام ألمانيا ، وقلب هتلر لنظام الحكم في فرنسا من أجل إذلال الشعب الفرنسي، فأصبح الطرف الشمالي يحكمه الحزب النازي ، والطرف الجنوبي يحكمه الفرنسيون، والذي كانت عاصمته فيشي ، وظلت فرنسا على هذا الوضع لمدة أربع سنوات، إلى أن تم تحرير فرنسا، وعودتها حرة على يد حكومة فيشي.

لقد ارتد الكاتب في هذا النص عن طريق التحول من الفعل المضارع "ترفض" إلى الأفعال الماضية " علقت – قلب" ، واسترجع حادثة قديمة حدثت مع الشعب الفرنسي ، وذلك

للربط والمقارنة بين موقف الفلسطينيين السلبي وخضوعهم لاحتلال وتحكم الدول الأخرى فيهم، وبين موقف الشعب الفرنسي ، ورفضهم ومقاومتهم للاحتلال الذي وقع عليهم، حتى استطاعوا بالفعل أن ينالوا حريتهم، كما أن الارتداد كان بماثبة إشارة إلى أن الدول الحرة (أي الي تمتلك زمام سياسة حكمها) لها الحق في أن تصدر قوانينها التي تستطيع من خلالها تأمين نفسها دون أن يراجعها أحد، أو يقف في وجهها ، كما أظهر الارتداد إلى الماضي الازدواجية في نظرة الحكومة الفرنسية إلى الحرية، فهي على الرغم من أنها تعشق الحرية، ورفضت الظلم الذي وقع عليها من قبل الحكومية الألمانية والذي تمثل في قمع حرية شعبها، وتقسيم أرضها إلى طرفين والتحكم في سياستها، إلا أنها عملت على قمع حرية الشعب الفلسطيني وتقييده ، ومنعه من السفر ودخول فرنسا، وكأنها تعتبر أن الحرية حكر للشعب الفرنسي فحسب، وليس من حق جميع الدول الأخري أن تتمتع بتلك الحرية مثلما تمتعت بها فرنسا والشعب الفرنسي.

وثمة ارتداد آخر في نفس النص الروائى ، وقد ظهر ذلك عندما طرح "ماتيو" سؤلاً على "إبراهيم عمار" يريد منه أن يعرف هويته، وحينها أجابه إبراهيم عمار أنه لا يملك هوية، وقد دار بينهم الحوار على النحو التالي:

" قال ماتيو:
- هل معك هوية ؟
قلت :
- لا.
تذكرت قول عبد الرحيم ونحن فى الجابرية : كل المسافرين هنا بلا هوية"[1]

فهنا نجد أن الارتداد إلى الماضي قد جاء في صورة تذكر إبراهيم عمار لقول عبد الرحيم الذي قاله له عندما كانوا في الجابرية : "كل المسافرين هنا بلا هوية"، فكان الارتداد إلى تلك المقولة دليلًا على أن العرب المهاجرين إلى الكويت بلد المال والنفط قد تشعبوا داخل المفقودين في السجلات، فكأنهم لا وجود لهم في تلك البلد، كما أنهم لا يشعرون بالمساواة، ويعاملون مثل الصعاليك الذين يحملون الشرف هويتهم، ولا يجدون مأوى لهم، بل وصل بهم الأمر إلى أنهم يعملون كخدم للكويتيين بدلاً من أن يتسولوا في الشوارع، فتذكر إبراهيم عمار لمقولة صديقه دليل على خيبة الأمل التي يشعر بها، فقد كان يعتقد أنه – بهجرته إلى الكويت بلد الدولار – سوف يصبح ثريًا ، ويستطيع أن يحقق أحلامه التي فشل في تحقيقها داخل بلده، ولكن الكويت أيضًا تجاهلت أحلامه مثلما فعل به

(١) المرجع السابق، ص ١٥.

وطنه، كما أنه وجدها لا تعرف الرحمة، واكتشف ذلك عندما عرف أنها لا تعطي هوية للعرب، ولكنها على العكس من ذلك تعطي هوية للأجانب من الألمان والفرنسيين.

وثمة نموذج آخر في الرواية نفسها (مسافرون بلا هوية) يستعين فيه الكاتب بظاهرة الارتداد إلى الماضى، كما سنجد في النص التالى :

"- لابد وأن تفهم أن الحقيقة أن العرب لن تجتمع كلمتهم أبدًا.

- لماذا ؟

- هذه هي الحقيقة.

صفق إسماعيل وهويتعجب، بالأفرول، بالشحم ، بالزيت، بالعمق، بالحزن ، بالأسى، بالغضب. هل يعود الشخص إلى إسرائيل؟

- كنت يا منى أحدثك عن نكبة ٤٨، عن الشعب الذي يأكل الملك بالدم، الذي يأكل الهزيمة بالهروب، الشعب الذي نهش كبد المعناة، عن طفل قطعوا يديه ، عن صورة عبد الناصر، عن سر الشعب الصاعد، عن خواطرنا الغبية في التغيير – عن شعبنا الذي طفح عبر كل العصور ، وأغنيات ومواويل خضراء ، عن طفل أحلم أن تلديه يسمي ثائر ، فاغسليني،

ومزقيني، يا كل الذكريات، لكن لابد وأن تبقي بيادير الفلك السائرة في طريق واعرة"(١).

يتعجب إسماعيل من قول إبراهيم عمار – زميله في العمل – إن العرب سيظلون دائمًا لا تجتمع لهم كلمة، ونجد أن الكاتب – أثناء الحوار – قد تحول من الأفعال المضارعة " تفهم – يتعجب – يعود"، وارتد بالفعل الماضى "كنت"، وذلك عنطريق تذكر إبراهيم عمار وهو في الكويت للحديث الذي دار بينه وبين زوجته منى عندما كان في مصر، فقد كان يحكي لها عن حرب ١٩٤٨م ، قائلاً محدثًا نفسه : " كنت يا منى أحدثك عن نكبة ٤٨"، تلك الحرب التي نشبت في فلسطين بين كل من مر والأردن والعراق، وسوريا ولبنان والسعودية منجهة، ضد المليشيات الصهيونية المسلحة في فلسطين، ولكن بعد تضامن العرب مع فلسطين أعلنت المملكة المتحدة إنهاء انتدابها على فلسطين ، وشاركتها في قرارها القوات البريطانية ، وغادرت هي أيضًا منطقة الانتداب بضغط من الأمم المتحدة ، ومن ثم أصدرت الأمم المتحدة قرارًا بتقسيم فلسطين لدولتين يهودية وعربية، وهكذا نجد أن تلك الكارثة قد وقعت نتيجة تضارب أهواب ومصالح وغايات وأهداف بعض المسئولين في الدول العربية. كما نجد من خلال النص

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٢١.

الروائي أن إبراهيم عمار تذكر أيضًا حديثه مع زوجته عن هروب المصريين من الهزيمة ، وعن الشعب المصري الذي عاني كثيرًا في تاريخه ، ويحلم بتغيير وطنه إلى الأفضل.

ومن خلال النص الروائي – الذي نحن بصدد تحليله – نجد أن الارتداد لتذكر تلك النكبة التي حدثت في فلسطين – والتي حدثت نتيجة خذلان العرب لفلسطين ورجوعهم عن وعدهم لها – كان تأكيدًا من الكاتب على كلمة البطل إبراهيم عمار بأن لعرب لم ولن يجتمعوا على كلمة واحدة ، وسيظل يسيطر عليهم شعور الخوف من المجهول الذي ينتظرهم دائمًا ممزوجًا بشعور الحزن والأسى والغشب من حال الدول العربية، لأن بداخلهم يقينًا بأن توحيد كلمة العرب سيؤدي إلى القضاء على شخص إسرائيل ، ولن يعود لها وجود على الكرة الأرضية.

ونجد أن الكاتب قد استغل الارتداد إلى الماضي في روايته "نسكافيه" ليوضح حب المصريين للحاكم بأمر الله ، وذلك عن طريق إشادة بطل الرواية "وحيد سالم" به وبفترة حكمه لمصر ، وذلك في النص التالي :

نظرت له لمى وقالت:

- أريد أن أعرف سر عشقك للحاكم بأمر الله سر عشقك لحياته وتاريخه.

- الحقيقة يا لمى عشت معه تاريخه كله تفاصيل حياته اكتشفت انه عبقرية غير عادية وعاش فى زمن متخلف ردىء والى الآن هو أهم حاكم إسلامى عربى حارب الفساد والمفسدين لذا قتل فى ظروف غامضة أو اختفى أو رفع للسماء كما ارتفع يونس والمسيح وبوذا وإخناتون..
- بدى أعرف ليش بتحبه.
- العدل هو رجل عشق العدل والحاكم الإسلامى الوحيد الذى يسير فى الأسواق بدون حرس ولا جنود وحارب الفتنة الطائفية أخته كانت مسيحية ولم يقتلها لأن أبيها تزوج من مسيحية وكان اسمها ست الملك، وانحازت لدين أمها.
- دى محاضرة.
- لا .
- أمال إيه؟
- عشقي للرجل وتاريخه.."(١)

(١) رواية : نسكافيه ، روافد للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١١م، ص هل النص المسرحي في ورطة؟.

وهنا نجد أن الكاتب قد مهد للارتداد عن طريق سؤال لمى اللبنانية لحبيبه وحيد سالم، متعجبة من شدة حبه للحاكم بأمر الله، ذلك السؤال جعل الكاتب يرتد بالتحول من الأفعال المضارعة "أريد – أعرف " ، إلى الأفعال الماضية "عشت – اكتشفت "، وذلك عن طريق إجابة وحيد سالمعليها، وقد اتضح من خلال الارتداد سر حب وحيد سالم والمصريين – بشكل عام – للحاكم بأمر الله ، فوحيد سالم عندما قرأ في تاريخ مصر ، اكتشف أنه أهم حاكم إسلامي حكم مصر، لما له من إنجازات عديدة قد ذكر وحيد سالم بعضها داخل النص الروائي السابق، ومن أهم تلك الإنجازات محاربته للفساد والمفسدين ، وتطبيقه للعدل في كافة النواحي الاجتماعية، كما أنه حارب جشع التجار ، وأيضًا كان له دور في محاربة الفتنة الطائفية ، كل ذلك جعله محبوبًا عند شعبه ، للدرجة التي جعلته يسير في الأسواق دون حراسة من جنوده، وذلك دليل على ثقته فى حب شعبه له، وأنه يسير في حمايتهم، فلا يحتاج لجنود تحميه من أي أذى يتعرض له في أثناء سيره ، ولكنه في النهاية قُتل نتيجة مؤامرة لم يُعرف منمدبرها حتى الآن، ونجد أن وحيد سالم يعبر عن خبر مقتله بأنه رفع للسماء، واختفى مثل يونس ، مما يدل على أنه يعتبرهنبيًا من الأنبياء، لما يتميز به من صفات الأنبياء مثل الأمانة والعدل.

وهكذا فقد أظهر الارتداد في هذا النص الروائي الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم ليستطيع توفير حياة كريمة لشعبه ، ويكون محبوبًا عندهم، والتي يتمنى المصريون أن تتوفر في حاكمهم ، لكي يثقوا فيه ويقفوا بجانبه ليؤيدوه في قراراته – إيمانًا منهم بأنه يريد مصلحتهم ومصلحة وطنه – ويساندوه ويعاونوه علي تأدية مهامه ، كما أظهر الارتداد أيضًا أن أحلام المصريين بسيطة ، تتلخص في حاكم عادل يعدل بين جميع الناس بمختلف طبقاتهم الاجتماعية، وأن يسعى لتقدم وطنهم ومحاربة كل من يضر به وبشعبه.

وثمة نموذج آخر من الرواية نفسها "نسكافيه" كان للارتداد دور فيه لإبراز الفكرة التي يناقشها النص الروائي ، وهو يظهر في النص التالى:

"المهم المطر يهطل على الإسكندرية بلا شفقة، كأن السماء تغسل ذنوب تلك المدينة البائسة الساحرة الخاضعة الخانعة.. كان محمد كريم يريد أن يحميها من نابليون في الحملة الفرنسية ، وطالب بالجهاد ، وأسره الفرنسيون ، وجمع أهل الإسكندرية فدية وافتدوه .. أخلاق أهل الإسكندرية هي أخلاق البحر، قاسية وحانية..."(١).

---

(١) رواية : نسكافيه ، ص ١٨٣.

يظهر في النص الروائى حزن بطل الرواية " وحيد سالم" على مدينة الإسكندرية ، حيث إنه يعيش داخلها ، ويرى أنها رغم امتلاكها للبحر الساحر، إلا أنها أصبحت مدينة بائسة ، وذلك نتيجة إهمالها إلى التحول من الأفعال المضارع "يهطل – تغسل" إلى الفعل الماضي "كان"، ليرتد من خلال هذا التحول إلى بسالة البطل العظيم المجاهد محمد كريم، الحاكم السابق لمدينة الإسكندرية ، في محاربته للفرنسيين ، ورفضه لاحتلالهم لها ، وتسليمهم إياها ، لذلك قاد المقاومة الشعبية ضدهم، إلى أن أمر كليبر بالقبض عليه، وبالفعل تمت محاكمته وإعدامه.

وقد أوضح الارتداد إلى تلك الحادثة استياء وحيد سالم من إهمال الحكومة لمدينة الإسكندرية ، لدرجة أنها أصبحت مدينة متهالكة ، مع أنها مدينة عظيمة، ضحى من أجل حمايتها زعماء لا ينساهم التاريخ ، ضحو بأرواحهم ، وحرياتهم من أجل الحفاظ عليها من بطش العدو بها وبأهلها ، ويشهد على ذلك بحرها الذي تسري فيه دماء هؤلاء القادة والزعماء ممتزجة بمياهه، لذلك فالمدينة التي ضحوا من أجل بقائها لا تستحق أن يهملها شعبها وحكومتها، بل لابد من سعي أبنائها إلى تجميلها ، وبذلك أقصي جهودهم لتنميتها ، حتى لا تهدر دماء الشهداء التي نزفت على أرضها.

كما ظهر الارتداد مرة أخرى في الرواية نفسه "نسكافيه" ، ليعبر عن معاناة بطل الرواية "وحيد سالم" من التخلف الثقافي والفكري الذي عاني منه العرب، ويتضح ذلك من خلال النص التالي:

- " عبد الناصر لا يعلم بهذا الفساد.. والنبي اتكلم على قدك عبد الناصر فاضى لإيه ولا لإيه؟

بين حرب النكسة وحرب الاستنزاف نشيج.. هو كيف ينكسر وطن وينهض ... قرر الطلبة القيام بمظاهرة وحرق المكتبة الأمريكية في الإسكندرية .. أمريكا هي التي خانتنا وساعدت إسرائيل .. لن أشترك في حرق أى مكتبة مهما كانت.. أكره حرق الكتب.. حرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندرية.. حرقها الرومان.. حرق مكتبة دار الحكمة صلاح الدين الأيوبى وقراقوش.. حرق القذافي الكتب في ليبيا.. حرق ابن رشد كتبه ومؤلفاته ندمًا على أمة جاهلة، حرق التتار مكتبة بغداد. حرق يزيد بن معاوية القرآن.. إلى متي يظل القلب يحترق على حروف نيران التخلف الثقافي والفكري...."[١].

أظهر النص الروائي الانكسار الذي يشعر به المواطنون بعد نكسة ٦٧، والخوف الذي أصبح يملأ قلوبهم على مستقبل وطنهم ، متمنين أن يعود وطنهم ، وينهض، ويبدأ بداية

---

(١) رواية : نسكافيه ، ص ٣٢٧.

جديدة، خاصة أنه في تلك الفترة الصعبة التي مر بها الوطن انتشر الفساد في كل مكان بدرجة يصعب معها السيطرة عليه، بسبب انشغال الرئيس "جمال عبد الناصر" في البحث عن مخرج من النكسة، والاستعداد لحرب الاستنزاف. ومن أهم صور ذلك الفساد القرار الذي اتخذه الطلبة بشأن حرق المكتبة الأمريكية في الإسكندرية ، معتبرين أن ذلك التصرف يعبر عن كره المصريين للدولة الأمريكية بسبب خيانتها لمصر ومساعدتها لإسرائيل، وهنا عبر وحيد سالم عن رفضه التام لذلك التصرف وكرهه له.

وهنا نجد أن الكاتب يتحول من الأفعال المضارعة "ينكسر – ينهض – اشتراك" ، إلى الفعل الماضي "حرق" ، ليرتد من خلاله إلى الماضي ، عن طريق تذكر وحيد سالم لتاريخ حرق الكتب والمكتبات العربية عبر العصور المختلفة ، فنجده يشير رغم اختلاف المؤرخين في ذلك إلى حرق عمرو بن العاص لمكتبة الإسكندرية، حيث تم ذلك بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، كما قام بحرقها أيضًا من قبله القائد السياسي والكاتب الروماني يوليوس قيصر، كما أشار أيضًا إلى تدمير التتار لمكتبة بغداد العظيمة ، وغيرها الكثير من حوادث حرق الكتب والمكتبات ، فنجده أن الكاتب قد أراد بذلك الارتداد إلى حوادث حرق المكتبات عبر التاريخ – رغم تعدد الأسباب التي

أدت إليها – أن يظهر أن هذه الكوارث تعد سببًا رئيسيًا في تأخر وتخلف الأمة العربية عن النهضة العلمية وسبب ضعفها ، مما يجعلها نهبًا للمستعمر الأجنبي ، مثلما حدث للعرب في نكسة ٦٧ ، فتبجيل العلماء وتقديرهم ، واحترام العلم والكتب، إحدي سمات الدول المتحضرة، وسر بزوغ الحضارات في العالم، والدليل على ذلك تدمير الغرب لبعض المكتبات العربية عند احتلالهم لتلك البلاد ، وذلك يعد أكبر دليل على علمهم الشديد بأن أسرع وسيلة لتدير دولة هو تدمير الكتب، لما تحتويه من نظريات علمية، تساهم في تقدم تلك الأمة ونهوضها من جديد.

كما استعان الكتاب أيضًا بتلك الظاهرة الفنية (الارتداد) في روايته "قهوة سادة" ، كما سيتضح لنا من خلال النص التالي:

" إن عبد الناصر يعلن تنحيه في خطابه ..خرجت من العيادة مسرعًا ، وتركت محسن بن خالتي، أم محسن يتلوي من الألم.. جريت نحو الشارع.. إلى أين أذهب؟ عبد الناصر تنحي.. بمجرد نزولي الشارع خرج الناس من المقاهي في محرم بك.. تذكرت أوجاعى وأسئلتي التي سألتها في منظمة الشباب في معسكر حلوان عن إسرائيل .. هل إسرائيل واهية؟ هل إسرائيل حقًا ضعيفة ؟ كيف يكتبون في إسرائيل وكيف يفكرون؟ حاكمتني يومها القيادة السياسية في منظمة الشباب

محاكمة تنظيمية.. وجدتني أثناء المحاكمة أبكي، لأني سمعت دقات قلب الوطن تلازم دقات قلبي.. وجدتني مواطنًا بلا وطن.."[1].

أظهر النص الروائي العلاقة الوطية التي ربطت بين الزعيم والرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وبين الشعب المصري ، تلك العلاقة التي قامت على حب وتقدير المصريين له ، وذلك بسبب وطنيته وحبه الشديد لمصر وللمنطقة العربية بشكل عام، لذلك اعتبروه رمزًا للوحدة العربية، كما أنه استطاع خلال فترة حكمه لمصر أن يقدم أنواعًا كثيرة من الدعم للشعب المصري بطرق مختلفة، لذلك أصبح متمكنًا من عقول وقلوب الشعب المصري، وقد أدي تمكنه هذا إلى خروج الشعب المصري لدعمه ومساندته، عندما أعلن تنحيه وتنازله عن السلطات الرئاسية إلى نائبه ، واستقالته من جميع مناصبه السياسية، وذلك بسبب هزيمة مصر من إسرائيل عام ١٩٦٧م (النكسة) ، ولكن الشعب المصري في محاولة منهم لمساعدته بكل الطرق لتجاوز تلك الأزمة ، وبالفعل استجاب جمال عبد الناصر لرغبة شعبه، وتراجع عن قرار تنحيه في اليوم التالي.

وهكذا نجد أن الكاتب في النص قد ارتد إلى الماضى، وذلك عن طريق التحول منالفعل المضار "يعلن"، إلى الأفعال

---

(١) رواية : قهوة سادة ص ٣٥.

الماضية "خرجت.. تركت.. جربت.. تذكرت"، فقد تذكر بطل روايته (فتحى رضوان) الوجع الذي شعر به، وحزنه على وطنه، كما تذكر الأسئلة التى طرحها على القيادات السياسية في منظمة الشباب الاشتراكي، والتي كانت تدور حول إسرائيل ، وهل هي فعلًا ضعيفة كما يتهيأ للبعض أم قوية، ولكن على الرغم من أن تلك المنظمة تم إنشاؤها لمشاركة وتفاعل الشباب سياسيًا إلا أن ما حدث مع (فتحى رضوان) عكس ذلك، فكانت نتيجة تلك الأسئلة أنه حُوكم محاكمة تنظيمية من قبل القيادة السياسية في المنظمة ، حينها بكى على نفسه وعلى وطنه ، وشعر أنه مواطن غريب داخله.

لقد كان الارتداد إلى تلك الأسئلة المطروحة في منظمة الشباب دليلاً على استهانة العرب بقوة إسرائيل ، وتفكير قيادتها السياسية ، ومن ثم تعاملوا معها مع اعتقاد منهم أنها ضعيفة، لذلك استطاعت أن تكبدهم خسارة فادحة، وكانت إحدى نتائج تلك الخسارة تنحي الرئيس جمال عبد الناصر.

وقد استطاع الكاتب عن طريق الارتداد إلى الماضي الربط بين واقعة تنحي الرئيس جمال عبد الناصر بسبب النكسة ، وبين السبب أو الخطأ الذي ارتكبته القيادات السياسية العربية بشكل عام، والذي ادى إلى تلك الهزيمة ، ألا وهي تهانهم في التعامل مع إسرائيل، واعتبارها واهية لا تستطيع هزيمتهم. كما أن

الارتداد قد أظهر أيضًا أن الشباب الذين كانوا ينتمون إلى منظمة الشباب لديهم فكر ورؤية تقدمية، والدليل على ذلك أن تلك الأسئلة التي وجهها فتحي رضوان (أحد أعضاء تلك المنظمة) في معسكر حلوان إلى القيادات السياسية، كانت بمثابة تنبيه لهم بصورة غير مباشرة، لعدم الاستهانة بقوة العدو الذي تعاملون معه (إسرائيل) ، وكأنه يرى تلك القوة الخفية التي تمتلكها إسرائيل ، والتي لا تراها القيادات السياسية ، ولكنهم حاكموه بتهمة خوفه الشديد على وطنه، وحرصه على الأمة العربية بشكل عام.

وقد جاء الارتداد في تلك اللحظة من الرواية لإلقاء اللوم على القيادات السياسية ، لعدم انتباهها لآراء الشباب الذين ينتمون إلى منظمة الشباب الاشتراكي، ولعدم انتباههم للقوة الخفية التي يمتلكها العدو الذي يواجهونه ، واعتبارهم أن إسرائيل مجرد وهم، ولكنها بذلك الانتصار الذي حققته على العرب، نالت منهم وهزمتهم ، وبذلك أثبتت لهم أنها حقيقة.

ويستمر الكاتب في توظيف ظاهرة الارتداد في الرواية نفسها (قهوة سادة) ، ويظهر ذلك عندما عبر عن الظلم الذي وقع على كاظم (أحد شخوص روايته) من قبل حكومة وطنه "سوريا":

" لينسج حكية الحب الأول، كاظم قبض عليه من قبل بتهمة الشيوعية .. لم يكن شيوعيًا .. هي صدفة أن وجد كتابًا في خزنة أخيه الأكبر الذي سافر فنزويلا منذ سنين.. وجد كتاب رأس المال لكارل ماركس، أبلغ عنه أحد أصحابه عندما وجده عنده، خيانة الإصدقاء مستمرة وأمر طبيعي لا يعرفه الأغبياء، وعندما سألوه : هل أنت شيوعي ؟ قال : لا .. قالوا : يابن الكلب اعترف ... ضربوه .. عذبوه.. أهانوه.. وبعد عام أخرجوه من السجن، وعمل مدرسًا هنا في المدينة البعيدة بين الجبل والسهل .. كان كاظم يؤمن بأن المدرس هو المعلم الذي يصنع القائد والشرطي والطبيب والمهندس ، وهو الأول في المجتمع..."(١).

يبجحث كاظم عن الحب داخل و وفي أثناء رحلة بحثه هذه يلتقي بالظلم والإهنى دخل وطنه بدلاً من الحب، واتضح ذلك من خلال التحول من الفعل المضارع "ينسج" إلى الأفعال الماضية "قُبض – وجد – ضربوه – عذبوه – أخرجوه" وذلك للارتداد إلى الموقف الذي تعرض له كاظم في سوريا حينما قبض عليه بتهمة أنه ينتمي إلى النظام الشيوعي ، عندما خانه أحد أصدقائه وأبلغ عنه ، بعدما وجد عنده كتاب رأس المال لكارل ماركس، الذي وجده كاظم في خزانة أخيه الأكبر عن

(١) رواية قهوة سادة ص ١٣٩.

طريق الصدفة وعندما تم القبض عليه قامت السلطات السورية بضربه وتعذيبه وإهانته لمدة عام كامل داخل السجن إلى أن تم الإفراج عنه، فقد أوضح الارتداد إلى تلك الحادثة الظلم الشديد الذي وقع على كاظم، مما جعله يفقد إحساسه بالأمان داخل وطنه ويقرر أن يرتك المدينة التي كان يسكن بها هاربًا ، ويسافر إلى مدينة جديدة بالقرب من الجبل، بعيدًا عن أهله وأصدقاءه الذين خانوه ، لعله يجد الأمان بتلك المدينة الجديدة، فهذا القرار كان نتيجة خوفه من أن يمر بتلك الأزمة مرة أخرى، أو تحدث معه صدفة جديدة تتسبب في تعرضه للظلم والتعذيب والأهانة.

كما أظهر الارتداد كره السلطات السورية للنظام الشيوعي وللشيوعيين، على اعتبار أن مبادئ الشيوعية تتعارض مع استبدادهم، وقمعهم لحرية شعبهم، فهي تهدف إلى المساواة والعدل بين أفراد المجتمع بجميع طبقاته، والقضاء ع لى المجتمعات الطبقية ، وترى أن ذلك لن يتحقق الا عن طريق قيام الثورات المتعددة من جانب الطبقاتا لمظلومة الكادحة ، فالنظام الشيوعي يسعى إلى إنصاف الشعب بكل فئاته، والقضاء على الفقر، لذلك كان الشيوعيين يعدون مصدر إزعاج وخوف للحكومة السورية، لأن سياسة الشيوعيين مخالفة للسياسة التي يتبعونها مع شعبهم من حيث قمعهم

للحريات، وقد اتضح ذلك منخلال سجن وإهانة الحكومة السورية لكاظم ، وتعذيبه بناءً على اعتقادهم انضمامه إلى النظام الشيوعي، فربما تمكن من أن يكون حزبًا يحدث ثورة وانقلابًا على الحكومة السورية وسياستها التي تتبعها مع شعبها.

وقد ورد فى النص ذاته ارتداد آخر إلى الماضي، وذلك عندما افصح الراوي عن نظرة كاظم للمدرس على أنه هو الأول في المجتمع، وذلك في النص التالى:

"كان كاظم يؤمن بأن المدرس هو المعلم الذي يصنع القائد والشرطي والطبيب والمهندس، وهو الأول في المجتمع..."(١)، فالارتداد هنا أوضح أن كاظم كان يعتقد بالأمس أن المعلم له مكانة كبيرة ومقدمسة فى المجتمع، لأنه صانع للأجيال، يقوم بتعليمهم وتثقيفهم ، ليكون لهم فائدة في المجتمع لرفع شأن الوطن ، ولكنه بعدما مر بتلك الحادثة وجد نفسه يهان ويعذب، على الرغم من انه يعمل في مهنة التدريس، فعرف أنه لم يعد لمهنته كمعلم أدنى قيمة ، فهو معلم تخرجت على يديه أجيال، وأصبح كل فرد منها شخصًا ناجحًا في مهنته ، ورغم ذلك فقد أهانته حكومته، وقللت من شأنه أمام زملائه في المدرسة وأمام تلاميذه، وتم سجنه

---

(١) رواية : قهوة سادة ص ١٣٩.

وتعذيبه . وهكذا فقد أظهر الارتداد انحدار قيمة المعلم والتعليم بشكل عام في البلاد العربية.

ومن المواضع التي عمد فيها الكاتب أيضًا إلى الارتداد ، والعودة إلى الماضى ، ذلك النص الروائى من رواية "كابتشينو" ، والذي جاء على هيئة حوار دار بين بطل الرواية "فتحي رضوان"، وبين صديقه "صبري الجمل" العائد من السعودية مطروداً، وذلك فى أثناء جلوسهما على مقهي الجوهرة في الجوزة، وقد دار الحوار على النحو التالي:

- " لم يفعلوا شيئا.. حصلت على فيلا هناك.. وذات صباح وجدت المدير الخاص بالنشاط عقد اجتماع للموظفين المصريين.. وقف المدير السعودى وطلب من الموظفين المسئولين عن النشاط أن يقفوا كالتلاميذ أثناء كلامه لهم اندهشت.. شعرت بالإهانة وتداعت صور المصريين فى صفوف السخرة أمام الإنجليز التى حكى لى أبي عنها، كنت أريد أن أحقق جزءاً من أحلامى هناك بالحصول على المال، لكننى لم أتوقع الإهانة حاولت أن أبلع الإهانة داخلياً وخارجياً.. فكرت أن أصرخ فى وجهه كف عن إهانتنا أيها السيد النفطى.. ولكن تراءى لى وجه زوجتى وابنى وأننى إذا عدت إلى مصر سأبدأ من نقطة الصفر.. زوجتى لم ترث من أهلها مالا وأنا أخ

لأحد عشر أخاً وأختا ماذا سأورث غير موهبتى لأولادى.. هل العمل فى الخليج يعنى التنازل عن الكرامة مقابل الريال السعودى؟ السنوات تلاحقنى.. أحتاج إلى شقة فى مصر.. يا فتحى كرامة الكاتب تسكن فى عاطفته وعقلة وتختبئ. وصوت المشرف السعودى الذى بدأ يسب ولا أحد يقدر على إيقافه أو التحكم فيه.. وبدأ الخواء فى كلماته.. فجأة جلست على أحد المكاتب الثلاثة المتفرقة فى الغرفة وصرخت فى وجه المشرف السعودى..

- خير فيه إيه؟

جن المشرف كيف لا أقف صفا مع الموظفين المصريين..

- فز يا مصرى ياللى اسمك صبرى الجمل لما أحكى معك..

لم يقف صبرى وتحدى بصمت.. خرج المشرف من الحجرة وكان آخر يوم له فى العمل هناك، والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير.. لم يبق لصبرى إلا الله.. عليه توكلت وإليه أنيب. وخرج صبرى الجمل بواسطة رجل داعية إسلامي شهير هناك هو الشيخ محمد متولى شعرواى أحضر له الجواز والتذكرة بعد أن تم طرده من الفيلا إلى الشارع وأبلغوه أن الموظف المسئول أغلق على جوازه الدرج وسافر إلى أمريكا. حملت زوجته الطفل وظل يبحث عن من يؤويه هو وابنه وزوجته..

وعرف بعد أربعة أيام أن هناك شيخاً اسمه الشيخ متولى شعرواى فقابله فى المسجد وشكى له وساعده الشيخ الشعرواى على العودة لمصر..

حمدا لله على سلامتك يا صبرى..."[1].

لقد بدأ النص الروائي بسؤال طرحه "فتحي رضوان" على صديقه "صبري الجمل"، يريد من خلاله الاستفسار عن سبب طرده، وترحيله من السعودية بصورة مفاجئة ، ليفاجأ بان صديقه يجيب على سؤاله بضحكة لم يُفهم معناها إلا عندما ارتد الكاتب ، وتحول من الأفعال المضارعة "يضحك – يفعلوا" إلى الأفعال الماضية "حصلت – وجدت – وقف – شعرت – تداعت"، ليفصح صبري الجمل من خلال هذا التحول عن سر الضحكة التي رُسمت على وجهه عندما سمع سؤال صديقه، فنجده يبدأ في قص الحادثة التي تسببت في ترحيله بتلك الصورة ، وكيف أن مديره في الجامعة التي يعمل بها في السعودية أهانه وزملاءه المصريين عن طريق إيقافهم كالتلاميذ في أثناء كلامه معهم داخل الاجتماع، حينها تداعت أمامه صفوف السخرة التى كان يصنعها الإنجليز للمصريين، فحاول أن يبتلع تلك الإهانة من أجل الحفاظ على عمله لتوفير حياة كريمة له ولزوجته ولأولاده ، ولكنه لم يستطع أن يصمد

(١) رواية : كابتشينو ، ص ١٦١.

أمام سب وتحكم المشرف السعودي له ، لذلك رفض الوقوف في الصف مع زملائه، وجلس على أحد المكاتب الموجودة في الغرفة، حينها غضب المشرف من تصرفه، وتم طرده من الفيلا التى كان يسكن بها إلى الشارع، وساعده الشيخ محمد متولى الشعراوي على الخروج من السعودية، حيث أحضر له التذكرة وجواز السفر.

وقد أظهر الارتداد إلى تلك الحادثة أن الإهانة قدر مكتوب على المصريين في الداخل والخارج، فنجد أن صبري الجمل على الرغم من أنه ترك وطنه "مصر" هاربًا من الإهانة التي يتعرض لها فى أثناء بحثه عن حياة كريمة في بلدة، إلا أنه وجد إهانات أكثر للمصريين في السعودية ، فالمصري الذي يهاجر للبحث عن فرصة عمل أفضل، لابد أن ينسى كرامته، ويتنازل عنها، وإن فعل غير ذلك وتمسك بكرامته، يكون مصيره الطرد والترحيل والعودة إلى مصر، ليبدأ من جديد في وطنه ، كما قد الارتداد صورة عن المعاناة التي يعانيها المغتربون والمهاجرون عن مصر إلى السعودية، أو غيره من دول الخليج العربي، من أجل الارتقاء بمستوى معيشتهم ، وتحقيق أحلامهم التي فشلوا في تحقيقها على أرض وطنهم، كما أوضح نتيجة تقصير مصر في حق أبنائها ، حيث يتركوها

ويهربون، ونتيجة ذلك يتعرضون للإهانة وتضيع كرامتهم وسط البحث عن لقمة العيش.

وثمة نموذج آخر للارتداد في الرواية نفسها (كابتشينو) فقد استرجع "فتحي رضوان" خبر موت جاره "جلال" ، وذهاب أخيه "العربي" للمشاركة في حرب ١٩٧٣م:

" شريط الذكريات مازال يداهمنى لا قوة فى الأرض توقفه إذا مشى الشريط ... فجأة مات جلال ابن أم العربى فى الإسكندرية.. كانت الشقة مسكونة بشئ ما خفى، وذهب العربى للمشاركة فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣، وتم حصاره فى الجيش الثانى ما يسمى بالثغرة، وجاع وشرب البول وشاهدوا أيام ذل.. عاد من حصار الجيش غير.. أصبح لا يطيق مصر.. ونومه غير منتظم، ويحب التسكع.. جاء بكلب فى الشقة، وظل الكلب يخيف العمارة.. كان العربى يضرب الكلب بقسوة، وكان الكلب يخيف الأطفال بنباحه وينتهز أى فرصة لفتح الباب لكى يهجم على أى واحد من السكان.. كانت أمه تحدثه عن الأيام الرعب التى عاشتها بورسعيد.. فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، وأنه بعد انسحاب الإنجليز هجم البلطجية البورسعيديون واستباحوا المدينة فى غياب السلطة، وأرسل عبد الناصر ذات فجر قوات الجيش والشرطة وحاصرت عزبتهم وقبضت عليهم وكل ما

عندهم من أسلحة ومكاسب.. كنت أسمع حكايات بورسعيد وحكايات العربى أشعر بأننا شعب مسكين.."(١).

لقد بين الارتداد إلى الماضي عن طريق التحول من الفعل المضارع "يداهمنى" إلى الأفعال الماضية " مات- كانت – جاع" معناة "العربي" جار بطل الرواية "فتحي رضوان" عندما وقع أسيرًا في قبضة الإسرائيليين في حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م ، فهناك تعرض للجوع والذل والخوف لدرجة جعلته عندما أطلق سراحه كارهًا لوطنه، وظل الخوف مسيطرًا عليه، لدرجة أنه اشتري كلبًا شرسًا يخيف سكان عمارته ، ووضعه داخل شقته لحمايته، وكان يضرب الكلب بقسوة، وكأنه ينتقم منه ويفعل به ما كان يريد أن يفعله بالإسرائيليين ولم يستطع فعله بهم.

وقد أراد الكاتب أن يعمق نصه الروائي ، وذلك بعقد ارتداد آخر في النص نفسه إلى فترة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، فكانت أم العربي تحكي لابنها "العربي" عن نزول القوات البريطانية والفرنسية في بورسعيد ، مما تسبب في رعب أهالي بورسعيد ، وازادوا رعبًا عندما هجم عليهم البلطجية البورسعيديون، واستباحوا المدينة بعد انسحاب

(١) رواية : كابتشينو ، ص ١٩، ١٩٧.

الانجليز منها، ولكن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد تصدى لهم وتمت محاصرتهم.

وهكذا فقد أظهر الارتداد إلى تلكما الحادثتين الأثر السلبي الذي تتركه الحروب فيى نفوس الشعب، حيث إن الحروب لا تتبعها خسائر في الأرواح والأسلحة فحسب، بل يتبعها أيضًا تعرض الشعوب لأذي نفسي شديد لا يمحى مع مرور الوقت نتيجة لما كانت تحكيه له والدته عن الرعب الذي أصابهم عندما احتل الإنجليز والفرنسيون مدينة بورسعيد عام ١٩٥٦م، ولكن قد ازداد الخوف في قلبه بعدما مر بتلك المأساة بنفسه، ألا وهي تجربة أسره في حرب ١٩٧٣م، وتعرضه هناك لكافة أنواع التعذيب والتنكيل، مما تسبب له بذعر كبير من كل شيء يحيط به، كما أنه أصبح رجلاً مسكينًا يبحث عن الأمان ولكنه لا يجد من يحميهن مما جعله يلجأ إلى الكلب لعله يكون مصدر أمان وحماية له ، وذلك دليل على أن القسوة أصبحت صفة متأصلة داخله ، للدرجة التي تجعله يقسو على من يحميه.

ومن النماذج التي عمد فيها الكاتب إلى استخدام ظاهرة الارتداد أيضًا ، ذلك النص الذي ورد في الرواية نفسها "كابتشينو" :

" سألنى أحمد آدم:

- أنت دماغك ناشفة ياريس لمين تعمل مسرح عالمى تعالى نعمل مسرحية كوميدى؟

قلت له:

لا مسرح عالمى وفصحى.. جدى صعيدى دماغه ناشفه.. هرب من الثأر من المنيا فى صعيد مصر إلى قرية الضهرية بحيرة فى شمال مصر.. يا أحمد.. مصر أول شعب عرف الثأر فى التاريخ ودا اللى مش عارفينه المسئولين.. حورس أول شخص ثأر لأبيه من عمه ست ورغم أن ست أثناء المقاومة خلع عين من عيون حورس إلا أن حورس كمل القتال وثأر لأبيه وقتل عمه ست.. عارف يا أحمد العين اللى بنحطها على الأبواب تحمينا من الحسد، هذه رمز لعين حورس التى خلعها ست فى أثناء مقاومة الموت من حورس"(١).

يوضح النص الروائى اختلاف وجهات النظر بين كل من "فتحي رضوان" والممثل "أحمد آدام" ، ذلك الاختلاف جاء نتيجة تصميم فتحي رضوان على إخراج مسرحية حديقة الحيوان لإدوارد أولبي، والتي تعتمد في لغتها على اللغة العربية الفصحى ، ولكنه عندما اختار الممثل "أحمد آدم" ليشارك في تلك المسرحية – وذلك بناءً على موهبته الكبيرة في التمثيل التي ظهرت للناس منذ أن كان طفلاً ، مما جعل

(١) رواية : كابتشينو ، ص ١٩٩.

الناس يطلقون عليه لقب " الطفل المعجزة" ــ فعلى الرغم من موهبته الكبيرة ، إلا أنه رفض أن يمثل باللغة العربية الفصحى ، ووصفها بأنها لغة صعبة، واقترح عليه أن يقدم مسرحية كوميدية ، ولكن نتيجة شدة إصرار فتحي رضوان على فكرة إخراج التي يقوم بتدريبه فيها على المسرحية وصفه أحمد آدم بأنه يمتلك رأسًا يابسًا لا يتراجع عن الأفكار التي يريد تنفيذها ، حينئذ وافقه فتحي رضوان رأيه، موضحًا له أن السبب في تشبثه بالرأي هو انحداره من أصل صعيدي، فجده كان صعيديًا من المنيا، ولكنه هرب من الثأر إلى قرية الضهرية في شمال مصر . وهنا ارتد الكاتب إلى إحدى الأساطير الفرعونية التي ذكرت في تاريخ مصر القديمة، والتي يتضح من خلالها المعركة التي كانت قائمة بين حورس وبين عمه ست، وذلك بسبب قتل ست لأخيه أوزوريس نتيجة صراعهما على العرض، لذلك سعى حورس ابن أوزوريس نحو الانتقام منه ليأخذ بثأر أبيه ، وبالفعل قد نجح حورس في قتل عمه ست ، وثأر لأبيه رغم إصابته في المعركة.

وهكذا نجد أن الارتداد إلى تلك الأسطورة القديمة عن طريق التحول من الفعل المضارع " تعمل " إلى الأفعال الماضية "هرب ــ عرف" ، قد أظهر أن العدالة الاجتماعية كانت حلمًا للمصريين منذ آلاف السنين، وحلمًا للبشرية بشكل عام منذ

فجر التاريخ، ولكن لم تنجح البشرية في تحقيقها حتى الآن، لذلك أصر فتحي رضوان على إخراج تلك المسرحية الأمريكية، التي تناقش مشكلة التفاوت الطبقي، والتفكك الاجتماعي الذي يعانى منه المجتمع الأمريكي – فالعنف من الممكن أن يكون سببًا في عزلة الإنسان – وذلك لإظهار أن العدالة الاجتماعية مطلب إنسانس لكافة الشعوب على وجه الأرض ، غير مقتصر على شعب ينتمي إلى دولة بعينها ، كما أظهر الارتداد أن الغرب رغم احترامهم لحقوق الإنسان ، إلا أنهمك لا يطبقون العدالة الاجتماعية في كثير من بلداتهم، ويحطمون مبدأ المساواة بين جميع الناس.

وتستمر ظاهرة الارتداد إلى الماضي في السيطرة على رواية "كابتشينو" ، حيث إن الكاتب قد لجأ إليها مرة أخرى للتعبير عن الظلم الواقع على مبدعي مصر الشرفاء وقادتها الأحرار ، ويتضح ذلك من خلال النص التالي :

" الغريب يا ناهد أن حى التوفيقية فى وسط البلد فى القاهرة اسمه على اسم الخديو توفيق.. حاولوا يسموه حى أحمد عرابى، لكن للأسف، الناس تعودت على اسم الخائن. أنا لا أنتظر من مصر تكريماً لى أو لغيرى من الشرفاء.. مصر لا نستحقها كشعب، ومصر الشعب لا تستحق مبدعيها الشرفاء وقادتها الأحرار.. عرابى هزم بسبب الخيانة، وأول من خانه

السلطان العثمانى الذى أصدر أمرا بأن عرابى من العصاة، ونشر فى جريدة الطائف بأن عرابى من العصاة الخارجين عن طاعة الله ورسوله وخليفته فى أرضه، أى خالف كتاب الله وسنته.. وأول من خانه من قواده القائمقام محمد نسيم بك الذى أمره عرابى بإحضار قطار يحمل خبزاً بقسماط للإنجليز كان موجوداً بمخزن القبارى فراح الخائن وفتن للخديوى توفيق، وتوالت الخيانة محافظ بورسعيد حيث انحاز للإنجليز ضد عرابى ووكيل المحافظ على بك ياور التجأ ومجموعة من ضباط أركان حرب محافظة الشرقية وأمر الخديوى بحرمان عرابى وعائلته وذريته من كل رتبة ومرتب ومعاش وامتياز وقام محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب (مجلس الشعب) مع قائد جيش الإنجليز.. وزار المحافظات وسهل للجيش الإنجليزى ومدوهم بالطعام والمؤنة.. وخان عرابى شبكة من الضباط: زكى بك وزهراب بك، وموريس بك ويوسف ضيا، وحسين بك رمزى، وقدموا للعربان فى الشرقية رشاوى من المال مع الإنجليز وقام العربان بنقل رسائل الإنجليز إلى الخديوى بدلا من التلغرافات زيادة فى الحرص، وجاء قائد قوات هندية بفرقته لمساعدة الجيش الإنجليزى.. وبعد تسليم عرابى نفسه اعتقل زعماء الثورة العرابية، ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى وطلبه عصمت وعبد العال حلمى

ويعقوب سامى، وسجن عرابى وطلبه عصمت بمعسكر عابدين وسجن الباقون بسجن الضبطية، واعتقل جميع الوزراء السابقين مثل عبد الله باشا فكرى وحسن باشا الشريعى ومدير الشرقية أحمد ناشد وعلماء وكبار تجار وأعضاء مجلس نواب مثل أمين باشا الشمسى وأحمد بك أباظة وخطباء المساجد وبعض الموظفين والعمد ممن ناصروا الثورة وهرب عبد الله النديم"(١).

وهكذا فقد أظهر النص الظلم الذي يشعر به بطل الرواية "فتحي رضوان" باعتباره كاتبًا موهوبًا ، ولكنه كن مظلومًا في بلده، ولم يأخذ حقه من تكريم الدولة له، مما دفع الكاتب هنا إلى التحول من الأفعال المضارعة "أنتظر-تستحق" إلى الفعل الماضي "هُزم" ، والارتداد إلى أيام الثورة العرابية، ومعركة التل الكبير التي دارت بين زعماء الثورة العرابية، وبين الإنجليز ، والتي انتهت بهزيمة ثقيلة للعرابيين، مشيرًا إلى أن السبب الرئيسى وراء هزيمة الزعيم أحمد عرابي هو الحيانة من عدة أطراف مختلفة محيطة به، حيث كانت تلك الخيانة بمثابة الضربة القاضية له، حيث إنها أدت إلى سجن عرابي، واعتقال زعماء الثورة العرابية، وكل من ناصروا تلك الثورة.

---

(١) روية : كابتسينو ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣.

وقد أظهر الارتداد إلى تلك المعركة ونتائجها أن شعب مصر يقدر ويكرم ما لا يستحق التقدير ، ويهمل تقدير الزعماء الأحرار والشرفاء الذين يقومون بالدفاع عن الوطن بكل حب وبسالة دون النظر إلى أى منصب يتولونه ، فالأهم عندهم هو مصلحة الوطن ، ومصلحة أبنائه.

ومن النماذج التي عمد فيها الكاتب إلى الارتداد ليعبر عن معاناة المصريين من سياسة قمع الحريات – حيث يرى أن تطبيقها بدأ منذ حكم "صلاح الدين الأيوبي" لمصر – ما أورده في رواية "ليالي دبي : شاي بالياسمين" كما يلي :

" نجح السادات في التدخل في الجامعة؛ نصف الطلبة مباحث أمن دولة، والنصف غلابة يكتب عنهم تقارير، حتى البنات جندن في أمن الدولة، كان صلاح الدين الأيوبى أول من جند النساء فى التجسس، وكان يعرف من نامت مع زوجها في مضاجعة ومن لم تنم. لكن المصريين عبدوا صلاح الدين الأيوبي الذي أذاقهم كؤوس المر عن طريق قراقوش نائبه لكن المصريين قالوا حكم قراقوش الظالم، ولم يقولوا حكم صلاح الدين الأيوبي الظالم، حتى يظل إلهاً. حتى صلاح حسين بطل حادثة كمشيش وهو فى السجن قال: عبد الناصر ما يعرفش إني هنا. حتى اليسار عبيط. جاءتني فتاة جميلة جدا قالت إنها معجبة بي قال لي حسن عقل: البنت دي مباحث ابعد

عنها.. فلم أعرف كيف أتصرف.. فانصرفت عنها وهربت منها.."[1].

يتعرض الكاتب في النص الروائي لفكرة نجاح الرئيس السابق "محمد أنور السادات" في تجنيد طلبة وطالبات الجامعات في قطاع أمن الدولة، وذلك للتجسس على زملائهم ، ومعرفة كافة المعلومات عنهم، وعن نشاطهم السياسي ، بحيث يتم القبض علي أي شخص يعارض سياسة الحكم، فأصبح وراء كل جدار مخبر سري، يرصد تحركات وأحاديث كل الموجودين في المكان، فسياسة التجسس التي اتبعتها الحكومة تسببت في معاناة شديدة للمصريين بجميع فئاتهم ، وبالخص فئة طلبة وطالبات الجامعات ، إلى درجة جعلتهم يتشككون بعضهم في البعض، ويفقدون الثقة فى كل من حولهم، حتى أصدقاءهم ، ويخافون من اقتراب أحد زملاءهم منهم، مثلما حدث مع "فتحي رضوان" بطل الرواية عندما ذهبت له إحدى زميلاته في الجامعة لتعبر له عن إعجابها به، وبناءً على تحذير صديقه "حسين عقل" له وتنبيهه إياه بأنها من الممكن أن تكون إحدى الفتيات المنتمين إلى المباحث، قرر فتحي رضوان الهروب منها والابتعاد عنها، خوفًا من أن تكتب تقارير عنه،

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الأول (شاى بالياسمين) ص ١٤١.

وعن آرائه السياسية وترسلها إلى أمن الدولة ويتم القبض عليه.

وهنا تحول الكاتب من الفعل المضارع "يكتب" إلى الفعل الماضي "كن"، فارتد إلى الماضي لتوضيح تاريخ سياسة التجسس على المواطنين، فيذكر أن صلاح الدين الأيوبي هو أول من اتبع تلك السياسة في أثناء حكمه لمصر، وذلك عن طريق تجنيد النساء في التجسس، ومع ذلك كان المصريون يحبون صلاح الدين الأيويبي، وينسبون كل ما يفعله من ظلم لهم إلى نائبه وخادمه بهاء الدين قراقوش، وقد أظهر الارتداد رضوخ وخضوع المصريين للظلم الواقع عليهم من قبل الحكام، وارتضاءهم تقييد حريتهم في التعبير عن رأيهم، ورفضهم للظلم، والدليل على ذلك أنهم يحملون مسئولية أي ظلم يقع عليهم إلى التابعين للحكام من وزراء ونواب، ليس إلى لاحكام أنفسهم، غافلين عن أن تلك الفئة الحكومية (الوزراء والنواب) يتصرفون في أمور الدولة والشعب بناءً على توصيات وقرارات وأوامر الحكام وبالتالي فإن أي إساءة تصدر من تلك الفئة للشعب تعتبر صادرة أيضًا من الحاكم نفسه، كما أظهر الارتداد خداع الحكام للمصريين، وذلك عن طريق تسترهم وراء التابعين لهمن حتى لا يظهر ظلمهم

للناس، ليظلوا محتفظين بحب الناس، مما يضمن لهم البقاء في السلطة لأكبر وقت ممكن.

وثمة نموذج آخر من الرواية نفسها (ليالي دبي : شاي بالياسمين) يتناول فيه النتائج السلبية لسياسة الانفتاح التي اتبعها الرئيس السابق لمصر "محمد أنور السادسات"، وذلك عن طريق الارتداد إلى الماضي :

" نزلنا من المنزل.. يوم السبت أجازة لكن أين نقضيه؟.. دعوت تهاني كي نتناول العشاء.. لو أعطاني الله طاقة سحرية لقمت بحل مشاكل قلوب الناس كلها.. ركبت السيارة أدرت مفتاح الراديو سمعت عبد الحليم حافظ فى أغنية بلاش عتاب.. تذكرت تلك الأيام الكئيبة، السادات يخدع الشعب الساذج : مرة الرئيس المؤمن ومرة الرئيس العمدة .. كنت أهرب من الواقع بأن أسمع شرائط عبد الحليم حافظ المخدوع مثلي

صوت عبد الحليم يفتح نوافذ روحي للأفق البنفسجي.. البلاد ليست على ما يرام.. السادات عدو الاشتراكية والعدالة الاجتماعية مع أنه كان فقيراً معدمًا.. وأصبحت مصر مستباحة للصوص وفتح الميناء والاستيراد والتصدير.. لا عليك ألغى السادات مشروعات هيئة التصنيع الحربى.. لن تقوم صناعة فى مصر نستورد كل شيء، من الإبرة للصاروخ.. أمريكا

ستعطينا كل شيء.. ونظرًا لأن أغلب الشعب سئ ومن القوم الفاسدين.. فرح الشعب به"[١].

يحضر فتحي رضوان برنامجًا لقضاء يوم العطلة مع زوجته تهاني في الإمارات، ولكنه يحتار أين يقضونه، نظرًا لأنهم لم يعرفوا جميع الأماكن الموجودة في الإمارات والمناسبة لقضاء اليوم بشكل جيد، وفي نهاية الأمر قرر دعوتها على العشاء في مكان مان وفي أثناء قيادته للسيارة وهما ذاهبان لتناول العشاء فتح الراديو وسمع صوت عبد الحليم وهو يغني إحدي أغنياته، مما جعله يتذكر، ويرتد إلى أيام ماضية كان يسمع فيها شرائط عبد الحليم حافظ في مصر، هروبًا من الواقع الأليم الذي يحيط به، والحالة السيئة التي وصلت إليها مصر في عهد الرئيس السابق "محمد أنور السادات" ، بسبب فتحه الباب للرأسمالية، وذلك عن طريق تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر، واستيراد كل شيء من الخارج، مما أدي إلى ارتفاع الأسعار، وانتشار الغلاء بشكل أضر بالمواطنين الفقراء ومحدودي الدخل، ولكن على الرغم من ذلك صمت الشعب، واستسلم لواقعه المؤلم.

ونجد أن الارتداد هنا جاء نتيجة تحول الكاتب من الأفعال المضارعة "نقضيه – نتناول" ، إلى الفعل الماضي "تذكرت"،

---

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الأول (شاى بالياسمين) ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

كما أظهر أن تطبيق تلك السياسة في مصر لم يكن قرارًا صائبًا ، حيث أنها أدت إلى زيادة نسبة البطالة في مصر، نتيجة توقف العديد من الصناعات، كما أدت إلى هجرة الشباب من مصر إلى الدول الأخري، سواء أكانت تلك الدول عربية أم أجنبية، لتوفير احتياجاتهم الأساسية للعيش، وعلى الرغم من ذلك قد استسلم الشعب، وخضع لتلك السياسة، ووافق على تطبيقها دون أي مقاومة أو محاولة لتغييها، ويعد فتحي رضوان بطل الرواية نموذجًا لهؤلاء الشباب المستسلمين الذين رضوا بالواقع السيئ المحيط بهمن وبدلاً من أن يغيره ، هاجر إلى دولة الإمارات هاربًا من مصر، وباحثًا عن أحلامه التي ضاعت داخل وطنه.

كما ظهرت أيضًا تلك الظاهرة (الارتداد) في روايته "ليالي دبي: شاي أخضر" ويتضح لك من خلال النص التالي الذي عبر فيه عن استنكار بطل الرواية "فتحي رضوان" من الغباء السياسي الذي يتمتع به المصريون، والذي كانت نتيجته احتلال بريطانيا لمصر:

" قلعة قايتباي وأنا وعفت نسير... لماذا افتعلت قضية الحمار مذبحة الإسكندرية (فى ٢٤ رجب ١٢٩٩هـ ، ٨ يونيو١٨٨٢م) وكان سببها قيام مكاري (مرافق لحمار نقل يسمى مكاري من مالطة، من رعايا بريطانيا) بقتل أحد

المصريين، فاستغلت انجلترا الفرصةن فشب نزاع تطور إلى قتال سقط خلاله العشرات من الطرفين قتلي وجرحي. من أجل حادثة حمار احتلت مصر.. والسبب الإسكندرية والحمار.. هل الحمارون سبب الاحتلال أم الحمير؟؟.. أم الاحتلال حدث نتيجة اختلال العقل المصري، وأن الاستعمار دخل من باب غبائنا السياسي واستبد بنا ٧٠عامًا...."[١].

يسير فتحي رضوان مع عفت الممرضة، وفي أثناء تجولهما بجوار قلعة قايتباي ، ذلك الصرح المعماري الذي يميز الإسكندرية العريقة، حينئذ ارتد الكاتب، وتحول من الفعل المضارع "نسير" إلى الفعل الماضي "افتعلت" ، عن طريق تذكر فتحي رضوان لمذبحة الإسكندرية التي حدثت في ٨ يونيو عام ١٨٨٢،ن والتي قامت بسبب قتل أحد رعايا انجلترا (المالطي) لمواطن مصري (السيد العجان) نتيجة عدم اتفاهما على أجرة الحمار الذي استأجره المالطي الإنجليزي من المكري (مرافق الحمار) المصري، فما كان من المالطي إلا أن طعن المصري وفر هاربًا ، وبناءً على تلك الحادثة ثار المصريون، وبدأوا في قتل الأجانب الموجودين في كافة شوارع الإسكندرية حيث إن الإسكندرية وقتئذ كانت قبلة لجميع الجنسيات وكافة الشعوب، وقد كان من أهم نتئج تلك

---

(١) رواية : ليالي دبي الجزئ الثاني (شاى أخضر) ص ٥٦.

الحادثة تدخل إنجلترا في الأمر، وذلك لحماية الأقليات المقيمة في مدينة الإسكندرية، وحماية مصالحهم، وذلك عن طريق التدخل العسكري ، فقاموا بضرب المدينة بالمدافع ، مما أدى إلى هدم جزء كبير من المدينة ، وإصابة وقتل الآلاف من المصريين، وأصبحت مصر ضحية للاحتلال البريطاني.

وهكذا نجد أن الارتداد هنا أظهر أن العدو قد نجح بالفعل في خداع المصريين، حيث إن تلك الحادثة كانت بمثابة الذريعة التي تبحث عنها وتحتاجها انجلترا لاحتلال مصر، لذلك قاموا بإشاعة الفتنة بين المصريين ، وبين الأقليات الأجنبية الموجودة في الإسكندرية لخدمة مصالحهم الخاصة، ولتمكنوا من دخول الإسكندرية ومهاجمتها ، واحتلالها ، متسترين تحت قناع أو مسمس حماية الأقليات الأجنبية في الإسكندرية، كما أوضح الارتداد أيضًا سذاجة الساسية التي يتمتع بها المصريون، حيث إن تلك الفتنة كانت بمثابة الفتيل الذي أشعل نفوس المصريين، وجعلهم ينساقون وراء مشاعرهم ، ويندفعون في رودود أفعالهم دون تحكيم عقولهم، ودون حساب لعواقب ذلك الاندفاع في تصرفاتهم، بل ثاروا وقاموا بقتل الأجانب الموجودين في الإسكندرية ، مما ساعد ذلك إنجلترا وأعطاها الفرصة لتنفيذ المخطط الذي رسمته لاحتلال مصر.

وثمة نموذج آخر للارتداد ، وهو ما ذكر في رواية "كل من عليها خان"، وذلك لبيان النتائج التي حصدتها مصر من مشاركتها في الحرب العالمية الأولي :

" كان فتحي مع تهاني زوجته يتناول العشاء بالخارج في دبي وقد عادا إلى البيت..

....

قالت تهانى :

- مش حتنام.

لم أرد وجدتنى..أذهب إلى مكتبتى الصغيرة وأجلس و أقرا.. خلع عباس الثاني من الحكم وتولى الأمير حسين كامل وتوفي ١٩١٧ وتولى أحمد فؤاد الأول حكم مصر وساق المصريين قسرا إلى الميدان الشرقي للقتال مليون ونصف فلاح مصري لمعاونة جيش الحلفاء وارتدوا ملابس عسكرية للجيش المصري، وكانت مهمتهم يقومون بتمهيد الطرق وحفر الآبار في صحراء سيناء وفيافي الشام مما كان له الأثر في إحراز النصر على الحملة التركية. وكان العمال المصريون يساقون سوق الأنعام، ويعاملون أسوأ معاملة من الإنجليز والحلفاء ويربطون بالحبال حتى لا يتوهون..أو يتسربون.. أو يفكرون في الهرب.. كما لو كانوا أسرى حرب لا يهتم بغذائهم أو راحتهم، ولا يعنى بصحتهم، ومات منهم الكثير في ميادين

القتال خاصة صحراء سيناء أو في العراق أو فرنسا. وأصيب الكثير منهم بأمراض وعاهات وبالآخر تنازلت مصر عن ديونها لأنجلترا وقدرها ثلاثة ملايين من الجنيهات بقرار من مجلس الوزراء المصري في ٩ مارس ١٩١٨ .آه يا وطني الفقير المطحون طول العصور..."[١].

ونجد أن هذا المقطع الارتدادي الذي جاء عن طريق تحول الكاتب منالفعل المضارع "يقرأ" إلى الفعل الماضي "خُلع" يعود بنا إلى حكم أسرة محمد على لمصر ، زهي فترة تتجاوز بكثير الزمن الذي تجري فيه أحداث الرواية ، وذلك عن طريق قراءة بطل الرواية " فتحي رضوان" لأحد الكتب التاريخية الموجودة في مكتبته الخاصة به داخل منزله في دبي، وعند قراءة النص الروائي نلحظ أن غاية الكاتب من هذا الاسترجاع مزدوجة ، حيث إنه يصور من خلاله الطريقة المهينة والسيئة التي تعامل بها جيش الحلفاء مع الفلاحين المصريين الذين سيقوا قسرًا إلى الميدان الشرقي لمعاونتهم في الحرب، منحيث ربطهم بالحبال كالأنعام حتى لا يهربوا من الحرب، والإهمال في صحتهم وغذائهم، وفي نفس الوقت يوضح الفساد الذي يشوب الحكومات التي حكمت مصر على مر العصور، ومن أهم صور ذلك الفساد هو التفريط في حق

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ١٣٥.

الشعب المصري ، ويظهر ذلك في النص الارتدادي ، فعلى الرغم من سوء معاملة جيش الحلفاء للجيش المصري، وموت الكثير من الجيش المصري فى ميادين القتال في كافة الأنحاء وإصابة الكثير منهم بعاهات ، وإنفاق الحكومة المصرية مبالغ طائلة لحساب الحكومة البريطانية ، ولأغراضها العسكرية منذ اندلالع الحرب، إلا أنه في النهاية قرر مجلس الوزراء بعد اجتماعه برئاسه الملك فؤاد الأول أن تتحمل الخزانة المصرية هذه المبالغ الضخمة ، وتتنازل عنها لإنجلترا وتمنحها إياها، على الرغم من أن تلك المبالغ من حق الشعب المصري ، وكانت مصر في أمس الحاجة إليها في ذلك الوقت ، وكل ذلك من أجل حماية الملك فؤاد لعرشه، خوفًا من أن يقوم الإنجليز بعزله مثلما فعلوا مع أبيه الخديوى إسماعيل، ومع الخديوي عباس حلمى الثاني، فذلك الموقف يوضح أن مصلحة الحاكم تعلوا مصلحة شعبه، فقد سعى الملك إلى توطيد علاقته بالإنجليز لحماية مصالحه ، عن طريق مساندته لهم في الحرب عسكريًا ، وماديًا ، فضحي بشعبه وبأموال مصر والمصريينن حتى يحتفظ بحكمه وسلطته على البلاد.

وهكذا نجد أن الارتداد داخل الروايات قد مد القارئ ببعض المعلومات حول أحداث سياسية مختلفة ، كما وضح معالم بعض الشخصيات التاريخية التي كان لمواقفها السياسية تأثير

قوي على مجرى الأحداث السياسية داخل البلاد، كما ساعد على تماسك النصر الروائي عن طريق الربط بينالماضي والحاضر، والمقارنة بينهما ، وذلك بوضعها أمام أعين القارئ، ليظهر التحول والتطور في الأحداث السياسية عبر عصور وأزمنة مختلفة.

المحور الثانى : التحول من الفعل الماضى إلى الفعل المستقبل (الاستباق)

بعد السرد الاستشرافي أو الاستباقي شكلًا من أشكال التقنيات الزمنية التي أفصحت عنها الرواية الحديثة ، والتي تتيح للكاتب أن يتلاعب بالنظام الزمني داخل رواياته، وبالنظر إلى تلك التقنية الفنية نجدها عكس السرد الارتدادي ، الذي يعود فيه الروائى إلى الأحداث الماضية، ولكن الاستباق يسعى إلى التوغل في المستقبل، واستشراف الحوادث التي ستقع فيها، فهو قائم على توقع تلك الأحداث التي تنقل المتلقي إلى آفاق مستقبلية جديدة، تجعله يتنبأ بما سيحدث من أحداث جديدة في الرواية.

وقد تناول النقاد تلك التقنية السردية (الاستباق) بالتعريف، فيذكر أحد النقاد أن الاستباق "يعني أن الكاتب أو السارد يستشرف مستقبل الحدث ، أو يرصد ما يمكن أن تفعله الشخصية، أو ما سوف يصدر عنها من تصرفات وإجراءات

محتملة يتطلبها الموقف القصصي"[1]، في حين عرفه ناقد آخر بقوله : " هو مفهوم الدلالة على كل مقطع حكائي يروى ، أو يثير أحداثًا سابقة عن أوانها ، أو يمكن توقع حدوثها، ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الأحداث في الروايةن عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخري سابقة عليها في الحدوث، أي القفز على فترة ما من زمن القصة ، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث ، والتطلع إلى ما سيحصل على مستجدات في الرواية"[2]. كما ورد في معجم مصطلحات نقد الرواية أنه : "مخالفة لسير زمن السرد ، تقوم على تجوز حاضر الحكائية، وذكر حدثٍ لم يحن وقته بعد"[3].

وقد تعددت وظائف تقنية الاستباق داخل الروايات، ومن أهم تلك الوظائف مراجعة الحدث وتأويله، والتلميح لما سيجري سرده من أحداث مقبلةن مما يساعد القارئ على التنبؤ بمحطات وفترات أساسية مقبلة في حياة شخصيات الرواية، والتي من الممكن أن يتضح من خلالها مصيرهم في المستقبل. ومن هنا نجد أن الغاية من هذا التمهيد للأحداث هو "حمل

---

(١) حسن البنداري (د)، البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ ، ص ٨٤.
(٢) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص ١٣٢.
(٣) لطيف زيتوني (د)، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٥.

القارئ على توقع حادث مان أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستئول إليه مصائر الشخصيات ، مثل الإشارة إلى احتمال موت أومرض أو زواج بعض الشخوص"(١)، كما يعمل الاستباق أيضًا على تنمية التشويق لدى القارئ ، وإثارة فضوله، فالتلميح للحدث المقبل يجعل القارئ ينتظر وقوع الأحداث المقبلة بالشكل الذي تم التلميح إليه، وإن اختلف النقاد في ذلك ، فقد رأي أحدهم أن "الاستباق تقنية تتنافي مع فكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص القصصية"(٢)، وقد اتفق ناقد آخر مع ذلك الرأي بقوله : "إن الاستباق تقنية زمنية تجيء عادة في بنية الرواية التقليدية على وجه الخصوص، وتؤدي إلى قتل عنصري التشويق والمفاجأة الفنيين لدى القارئ، حين يعلن الراوي التقليدي، عن الأحداث اللاحقة قبل وقوعها"(٣)، في حين خالفهم في الرأي بعض النقاد، حيث يرى أحدهم أن القلب الزمني الذي يحدثه الاستباق يلجأ إليه بعض الروائيين" من أجل أن يعطوا حيوية للحدث ، ويفتحوا باب السؤال والاهتمام والتشويق من أول جملة في النص

---

(١) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص ١٣٢.

(٢) سيزا قاسم (د) ، بناء الرواية : " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ" ، هيئة الكتاب ، ط١، د.ت، ص ٦٥.

(٣) آمنه يوسف (د) ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٥م، ص ١٢٠.

السردي المطروح للقراءة"[١]، كما يرى ناقد آخر أن الاستباق لا يعمل على تشويق القارئ فحسب، بل يساهم في تنمية خيال القارئ، ويجعله مشاركًا للأحداث ، فنجده يقول : "يتخذ الاستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص، فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال ، ومعاقتة المجهول، واستشراف آفاقه"،[٢] كما يقول أيضًا : "إن الاستشراقات تدخل في صحيح التحريف الزمني الذي يعمد إليه الكاتب لتحقيق مشاركة القارئ وحفزه على المساهمة في بناء السرد وإنتاج المتعة الروائية"[٣]، ولكن من الممكن أن نقول إن كل هذا يرجع إلى طريقة توظيف الكاتب للاستباق داخل السرد الروائي ، فنجد أن بعض الكتاب لكي يحتفظوا بعنصر التشويق داخل رواياتهم يلجأون إلى تقديم الحدث عن طريق التمهيد ، أو الإشارة إليه فقط دون ذكر كل التفاصيل السردية المتعلقة به، بينما نجد آخرين لا يهتمون بعنصر التشويق داخل رواياتهم، فيستشرفون الحدث بشكل تفصيلي ، يوضح للقارئ الكيفية التي سيقع بها الحدث في المستقبل، مما يؤدي إلى قتل عنصري التشويق والمتلعة لدي القارئ.

---

(١) عبد الملك مرتاض ، فى نظرية الرواية ، ص ١٨٨.
(٢) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص ١٣٣.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٦.

وقد استعان الكاتب (السيد حافظ) بتلك التقنية الزمنية (الاستباق) في رواياته، وذلك يظهر عن طريق تحوله من الفعل الماضي الذي يعبر عن الأحداث التي حدثت في الماضي، ليستبق ويستشرف بفعل المستقبل الذي يعبر عن أحداث سوف تقع، وتتم في مستقبل السرد الروائي، وذلك لإشارة القارئ وتشويقه، وتحفيزه على متابعة أحداث الرواية، وترقب ما سوف يحدث في المستقبل من تطورات وتغيرات، أشار إليها ، ومهد لها الكاتب من قبل ، كما سنرى فيما بعد من خلال النماذج المنتقاة من رواياته، والتي سيتم طرحها وتحليلها في ثنايا البحث.

على سبيل المثال نجده في روايته "مسافرون بلا هوية" يتحول من السرد الآني إلى سرد استباقي، وذلك عن طريق توقع بطل روايته "إبراهيم عمار" لما يمكن أن يحدث له يومًا ما في شوارع الكويت :

" في الصباح غرق في ضباب الفجر، مر على الثلاثة شوارع سالمًا. حمدًا لله. السيارات في الكويت لا تعرف قانونًا للسرعة.. عمرك قد يصبح عدم التفاتة، ونهاية الحادث أن يدفع القاتل ١٠٠٠ دينار ، وشركة التأمين تساعده في ذلك.. إلى الشويخ، حيث مكتبه يغرف في الأرقام والترجمة،

السيارات، أمر التشغيل، رقم الهاتف، العداد، رقم اللوحة، تاريخ التسليم، قطع الغيار، أعمال خارجية، أعمال داخلية"[١].

يشير النص الروائي إلى عدم التزام قائدي السيارات في الكويت بقانون المرور، بل يتجاوز السائقون السرعة المطلوبة فى أثناء قيادتهم للسيارات، مما جعل إبراهيم عمار يشعر بالخوف الشديد فى أثناء سيره وعبوره في شوارع الكويت، ويحمد الله كلما مر في الشوارع دون أن يحدث له شيء ولكنه على الرغم من سلامته إلا أنه دائمًا يتوقع أنه سوف يكون أحد ضحايا ذلك الإهمال، وأن تلك السرعة سوف تقضي على حياته يومًا ما، وفي النهاية لن يعاقب الجاني على فعلته، بل سينجو عن طريق دفع الرشوة للمسئولين، وكأنه لمي حدث شيء قط، فقد أظهر الاستباق عن طريق التحول من الأفعال الماضية "غرق – مر" إلى فعل المستقبل "قد تصبح" نتيجة تهاون المسئولين في معاقبة المخالفين لقانون المرور في دولة الكويت ، والتهاون في حماية أرواح البشر، وكأن حياة الإنسان أصبحت لا قيمة لها داخل مجتمع يحكمه ويتحكم به وبأفراده المال بدلاً من القوانين.

وثمة نموذج آخر من توقع الحدث المستقبلي، حيث توقع "وحيد سالم" في رواية "نسكافيه" المصير الذي سيئول إليه

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ١٣.

العرب يوم القيامة، فذلك التوقع ناتج عن أفعالهم السيئة ، وسوء معاملتهم بعضهم البعض ، ويتضح ذلك في النص الروائي التالي :

" يبدو أن العرب كانوا أسوأ قوم لذلك أرسل الله لهم ثلاثة أنبياء كبار موسى وعيسى ومحمد وأنبياء صغار ولكن لا فائدة لا فائدة لا فائدة؟؟ على باب جهنم... سيقف العرب أجمعين من المحيط إلى الخليج دون حساب أو رحمة من رب العالمين فهم قتلة الخلفاء الراشدين وأحفاد رسول الله وعائلته وخونة قبل الإسلام وبعده وأهانوا النساء وتاجروا فى العبيد واغتصبوا الأطفال صبيان وبنات وكذبوا فى كل تاريخهم وزوره وأنزل الله عليهم الأديان الكبرى الثلاث وأتعبوا الأنبياء وقتلوا الشعراء والأدباء والعلماء والمفكرين ليس لهم مبرر أو جدوى إلهى إنى برىء منهم ومما يفعلون."(١).

يشير الكاتب في نصه الروائي الى الأفعال المشينة التي فعلها العرب خلال تاريخهم ، منجرائم القتل والخيانة، وتزوير التاريخ، فكل هذه الأفعال الماضية كانت بمثابة دلائل ومؤشرات جعلت وحيد سالم يتوقع مصير العرب الأليم الذي ينتظرهم عند وقوفهم أمام الله عز وجل يوم الحساب، وهنا نجد أن الكاتب قد تحول من السرد الماضي "كانوا" الى سرد

---

(١) رواية : نسكافيه ، ص ٢٢٣.

استباقي "سيقف" ، والذي اتضح من خلاله أن العرب سوف يحاسبون من الله، ويعاقبون على أفعالهم أشد العقاب، وكأن الاستباق هنا كان بمثابة التنبيه والتحذير والإنذار للعرب، لعلهم يكفون ، ويبتعدون عن إساءة بعضهم لبعض، ولتذكيرهم بأن هناك حسابًا وعقابًا ينتظرهم، وأن الله مطلع على أفعالهم ، فلا يجب أن يستهينوا به.

كما يعمد الكاتب في الرواية نفسها "نسكافيه" الى توظيف الصيغة السردية المستقبلية ، وذلكط عن طيرق تنبؤ بعض طلبة الجامعة بما سيحدث لهم من جهاز أمن الدولة :

" دخل امن الدولة الجامعة متنكرا جلسوا على مائدة بجوارنا.. شكلهم ضباط.. عرفنا اننا سوف يتم القبض على بعضنا.. كتب حسن فى كراسة المحاضرات كل واحد يهرب بطريقته وننسحب واحد واحد بعد كل عشر دقايق يتسحب واحد وماتدفعوش الحساب احسن يهرشوا اننا ماشين امن الدولة على الطربيزة اللى جنبنا السادات ابن الـــ.. مش لاقى إلا الطلبة يسجنهم بيتسلى.. عندما تسجن الطلبة أنت تسجن ضمير مصر اقصد الوطن... بدأنا نخرج واحدا واحدا اكل عشر دقائق يخرج واحدا..عند خروج حسن عقل من الباب قام اثنان خلفة قام حسن بالوقوف وسط الجامعة وصرخ يسقط السادات

عميل الامريكان تسقط اسرائيل التفت الطلبه حوله ابتعد امن الدولة قليلا"(١).

أظهر الاستباق في النص الروائي سياسة تعامل ضباط أمن الدولة مع الطلبة الثوريين في الجامعات، والطريقة التعسفية التي يتعامل بها الضباط معهم، وذلك لقمع حريتهم في التعبير عن آرائهم وأفكارهم السياسية، عن طريق القبض عليهم وإلقائهم داخل السجون، ويظهر ذلك من خلال النص الاستباقي الذي يتحول فيه الكاتب من الأفعال الماضية "دخل – عرفنا " الى فعل المستقبل "سوف يتم" ، ليتضح من خلال هذا التحول تنبؤ بعضالطلبة الجالسين على المائدة في كافيتريا الجامعة عند رؤيتهم لبعض الأشخاص الجالسين بجوارهم، حيث يظهر من خلال الهيئة التي كانوا عليها حينئذ ، ومن نظراتهم الغريبة لهم،أنهم ينتمون الى جهاز أمن الدولة ، حينها عرف الطلبة أنهم مراقبون، وأنه سوف يتم القبض عليهم، وأن مصيرهم هو السجن لا محالة في ذلك الأمر ، عندئذ بدأ الخوف يتسلل داخل نفوسهم ويسيطر عليهم، ولكن يتضح لنا من خلال النص الذي أعقب النص الاستباقي أن هذا التنبؤ كان أن يتحقق لولا الخطة الذكية التي وضعها قائد الطلبة "حسن" لزملائه، والتي مكنتهم من الانسحاب والهرب واحدًا تلو الآخر دون أن يشعر

(١) رواية : نسكافيه ، ص ٣٤٨.

بهم أحد من الموجودينن ولكن عندما حاول حسن الهروب قام خلفه الضباط محاولين الإمساك به، لولا هتافه الذي كان بمثابة الصحو في نفوس زملائه من الطلبة ، مما جعلهم يلتفون حوله مؤيدين له في موقفه ضد نظام الحكم ، فذلك لتأييد جعل الضباط يهابون الموقف، ويبتعدون عن حسن خوفًا من ردة فعلالطلبة الثائة تجاههم، والاشتباط بهم والعراك معهم.

ويستمر الكاتب في التحول من السرد الماضي الى السرد الاستباقي، وذلك عن طريق تخطيط بعض شخصيات روايته "قهوة سادة" للكيفية التي سيتم من خلالها تدريب الفدائيين في مدينة الإسكندرية الذين تطوعوا لحماي مصر من الغزو الإسرائيلي بعد نكسة ٦٧، حيث إن الاسكندرية وقتئذ كانت مهددة بغزو ضفادع بشرية إسرائيلية :

" أعطونى أنا والشباب المتطوع كل واحد بندقية... توجهوا بنا من استاد الاسكندرية إلى البحر دون طعام أو ماء، ونحن حاملين تلك البندقية الثقيلة جدًا التي تحتوي على ثلاث طلقات لنراقب البحر وندحر إسرائيل.. شاهدت صديقى محمد حسونة على البحر يمر صدفة.. حقًا.. أنا رجل من أهل الصدفة.. كل حياتى صدفة.. صرخت فى وجه محمد حسونة صديقى : لا أقبل أن تحتل إسرائيل الإسكندرية.. هذه إسكندريتي.. وهذا البحر لى.. ألقيت بقلبى وروحى على أمواج بحر الإسكندرية

فبكت.. وهمست كل الأمواج لى بوجع كل العاشقين.. عشاق الوطن وعشاق العشق والحياة.. فى المساء سرحونا وأخذوا البنادق.. قالوا الجيش سيتولى الأمر.. ونحن سنتدرب على السلاح في المعسكرات.."(١).

نرى أن المقطع الاستباقي الذي تحول فيه الكاتب من الأفعال الماضية "أعطوني – توجهوا – صرخت – سرحونا – أخذوا" الى الأفعال المستقبلية "سيتولى – سنتدرب" قد أظهر أن الخطة المنظمة التي وضعها الجيش لحماية مدينة الإسكندرية من الغزو الإسرائيلي قائمة على تقسيم المهام العسكرية بينه وبين الفدائيين ، فالجيوش العسكرية المنظمة والمدربة على فنون القتال والحماية ستتولى الأمر الى أن يتم تدريب المتطوعين الفدائيين على الكيفية التي سيتخدمون بها السلاح، ليصبحوا مؤهلين وجاهزين لمواجهة أى عدو يحاول النيل منهم ومن مدينتهم، حينها يستطيع الجيش أن يثق بهم، وبقدراتهم العسكرية ، ويعتمد عليهم، ويترك لهم مسئولية حماية مدينتهم، كما أفصح الاستباق عن روح التعاون بين الجيش والشعب، ذلك التعاون نابع من أنهم يسعون وراء هدف واحد، وهو حماية أرض الوطن وحماية مواطنيه.

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٤٤.

وثمة نموذج آخر في الرواية نفسها (قهوة سادة) يقطع فيه الكاتب السرد الماضي للأحدثا، ليستشرف حدثًا جديدًا سوف يقع في المستقبل، وقد بدأ النص السردي بحوار دار بين بطل الرواية "فتحي رضوان خليل" ، وبين حبيبته "ناهد حجازى" التي تحاول أن تخفف عنه أوجاعه، كما سنرى في النص التالي :

" سألتنى ناهد حجازى، وأنا أبكى على صدرها:

- لماذا تبكى؟
- لا أعرف
- أنت فاكر نفسك مخلص العالم من الفقر والجهل والمرض..
- ربما هزنى موت جيفارا.. ربما قهرنى هذا الإحساس بالثورة والثورة المضادة وموت بابلوا نيرودا.. أنا لا أعرف ماذا أفعل يا ناهد؟؟ يحيرنى أبو ذر الغفارى الثائر حتى الموت، وكيف نفاه الخليفة. ربما اغتيال شهدى عطية، وحسن البنا حيرنى كثيرا.. كأن الثوار روحهم تجرى فى دمى حتى لا أكاد أعرف نفسي من أنا؟ ضائع أنا بين الثورى والكاتب!
- كن الاثنين.

- لا أستطيع.
- لماذا؟؟

السياسة فى تماس مع الدعارة .."[1].

لقد أفصح النص السري عن الحزن الشديد الذي يشعر به فتحي رضوان والذي وصل به الى البكاء على روح الثوار الذين ظلوا يدافعون عن القضايا الوطنية التي يؤمنون بها، الى أن أصبح مصيرهم الموت، فموتهم يشعره بهزة داخل نفسه، تلك الهزة تجعله مشتتًا في تفكيره، ضائعًا لا يعرف أيهما الأصلح له، هل يستمر في انضمامه لفئة الثوار، أم يترك السياسة بأكملها ، وينجو بنفسه، مكتفيصا بالكتابة، لعله يستطيه من خلالها التعبير عن رأيه بحرية ، دون أي مساءلة قانونية، ويستطيع أيضًا تغيير العالم، وتخليصه من آفات عديدة يعاني منها، وتسيطر عليه، والتي تتلخص في الفقر والجهل والمرض.

وهنا نجد أن الكاتب قد تحول من الأفعال الماضية "هزني – قهرني – حيرني"، الى الأفعال المستقبلية "ستخسر – سأكسب" ، ليقفز الى قرار مستقبلي أفصح عنه فتحي رضوان ليخلص نفسه من الحيزة التي يقع بها ، فنجده يقول:

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٢٣٣.

" إذا اخترت الأدب .. نعم والفن.. ستخسر كثيرًا .. لكني سأكسب نفسي.. السياسيون يحصلون على مناصب وشقق فاخرة وأموال.. الأدباء فقراء إلا من وُلد ثريًا منهم.. أنا أجد نفسي في الكتابة...."(١).

لقد أظهر النص الاستباقي اختيار فتحى رضوان للأدب والفن، وتركه للسياسة بشكل نهائى، رغم اعتراض ناهد حجازي على ذلك القرار ، لأنها تعلم جيدًا أن السياسة وقضايا الوطن يجرون في ع روقه مثل الدماء، ولكنه يعود مبررًا لها السبب وراء اختياره هذا ، وذلك عن طريق استخدام الكاتب للصيغة الاستدراكية "لكن" ، التي توحي بسرعة تفكير فتحي رضوان في مستقبله ، واختياره لذلك النهج الذي سيصير عليه في حياته المستقبلية، استنادًاعلى حجة قوية، ألا وهي الحفاظ على نفسه من السياسة، وما يحدث بها من مشكلات متعددة، ومجاملات بين القيادات السياسية العديدة، للحصول على أعلى المناصب والأموال ، وكل ذلك يجني على الوطن والمواطنين ، لذلك علم أن السياسة لا تناسب أفكاره التي يؤمن بها، لما تتطلب من العديد من التنازلات التى لا يستطع تقديمها، ولكنه يعلم تمامًا أنه سوف يجد نفسه في الكتاب، التى لا تفرض عليه قيودًا تكبله، بل تتيح له العديد من الفرص التي تجعله

---

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ٢٣٣.

متحرراً بأفكاره ، وآرائه السياسية وغير السياسية ، وتجعله يكتشف العالم من حوله.

وقد واصل الكاتب استبدال الماضي بسرد استباقي ، وذلك في روايته "كابتشينو" ، التي يستشرف فيها ويتأمل أحد شخوص الرواية المستقبل الذي سيصنعه بطل الرواية "فتحي رضوان" لفن المسرح في مصر، كما سنري في النموذج التالي:

" فى ليلة العرض فتح الستار في مسرح الجزويت، وكان ميلاد أول مسرحية في مصر والوطن العربي، يُكتب على العرض المسرح التجريبي... الحمد لله، وجدت من يؤمن بفكرة المسرح التجريبي..!! قام الجمهور بالصراخ والضوضاء غضبًا ، خطب الأب بيتر في الجمهور، وشرح لهم ماذا يعنى "مسرح تجريبى" ، وقال هذا المسرح يحدث فى أوروبا .. مسرح يخاطب العقل.. الله يخاطب عقلكم.. وأنتم احترموا عقولكم.. لم يفهموا شيئًا . الغريب أن فروق حسني مدير قصر الأنفوشى حضر، ومعه محمود آدم الشهير بسامي ، وبعد العرض قال فاروق :

- دخلتم مصر إلى أوروبا .. وبالمسرح التجريبي.

قال الأب بيتر :

- إن فتحي رضوان بعد ثلاث سنوات ، سيقوم بثورة في الفن"[١].

نجد أن النص السردي أن حلم فتحي رضوان الذي كان يراوده دائمًا قد تحقق أخيرًا ، وهو تنفيذ نوع جديد من الإبداع المسرحي في مصر، ألا وهي فكرة تحقق أخيرًا ، وهو تنفيذ نوع جديد من الإبداع المسرحي في مصر، ألا وهي فكرة المسرح التجريبى ، ليستطيع من خلاه مخاطبة عقول المصريين وتوعيتهم، وتنميتهم من الناحية الثقافية، وذلك عن طريق هذا النوع من الفن الذي يتم فيه عرض العديد من القضايا السياسية والفكرية على جمهور كبير، والتعبير من خلاله عن الانهيار الاجتماعي والسياسي الذي وصلوا إليه ، ممزوجًا بتقديم رؤية الممثلين المقدمين للعمل تجاه تلك القضايا التى يقومون بعرضها.

وقد تحول الكاتبفي النص الروائي من الأفعال الماضية "فُتح – خَطبَ – دخلتم – قال " إلى فعل المستقبل "سيقوم" ، لإظهار أن نتيجة إصرار فتحي رضوان على تنفيذ تلك الفكرة في مصر وسعيه إليها رغم الصعوبات التي واجهته في إيجاد من يؤمن بها، ويساعده على تنفيذها في مصر – نظرًا لارتباط هذا النوع من المسرح بثقافة الجمهور المقدم له – ونتيجة

---

(١) رواية : كابتشينو ، ص ٩٥ ، ٩٦.

إصراره على استكمال العرض رغم الرفض الذي وجده من الجمهور لذلك النوع من الفن عند بدء العرض ، كل هذا الصمود الذي تمتع به فتحي رضوان أمام حلمه إلى أن وصل إليه ، جعل أحد شخوص الرواية، وهو "الأب بيتر" – الذي احتواه هو وفرقته في كنيسة الجزويت التي قدم العرض على مسرحها – يتنبأ بأنه في المستقبل سيتم على يديه صناعة وتغيير كبير وجديد لفن المسرح في مصر، والذي سنعكس بالتأكيد على التطور الثقافي الذي سيحدث في مصر نتيجة تطور ثقافتهم ، كما نجد في النص الاستباقي أن الأب بيتر قد توقع أن ذلك التطور الذي سيحدثه فتحي رضوان في الفن، سوف يتم بعد ثلاث سنوات فحسب من تاريخ ذلك العرض الذي يقدمه في الوقت الحالي، وهي مدة ليست بعيدة، مما يدل ذلك على دأب وسعي فتحي رضوان المستمر الذي لا يهدأ أبدًا نحو تطور الفن والثقافة في مصر، وذلك جعل الأب بيتر يثق به، ويتوقع وصوله إلى ذلك الهدف في فترة زمنية وجيزة لا تتعدى الثلاث سنوات.

كما كشف الاستباق أيضًا عن أحد جوانب شخصية بطل الرواية "فتحي رضوان" ، فهو يتمتع بالتحدي والإصرار، الذين يجعلانه يهزم كل الصعوبات من حوله، والمعوقات التي تواجهه حتى ينجح ، ويصل إلى تحقيق حلمه.

وثمة نموذج آخر يلجأ فيه الكاتب إلى استشراف المستقبل لإيصال فكرته إلى القارئ ، وذلك من رواية "ليالي دبي: شاي بالياسمين"، كما سنرى في النص التالي :

" قالت ناهد حجازى ونحن نسير على شاطىء البحر بعد الندوة الثقافية:

- إن شعب مصر متحضر ٧ الاف سنة حضارة.

قلت:

- لا نحن شعب متخلف.. إن أزمة مصر في غياب الضمير وخاصة ضمير المثقفين والنخبة.. ونحن غير متحضرين.

قالت: كيف؟

قلت : إذا اعتذر الأزهر لما فعله مع أحمد عرابي والشيخ محمد عبده والشيخ عبد المتعال الصعيدى.. لو اعتذر اتحاد كتاب مصر عما فعله الكتاب ضد نجيب سرور ومحمود دياب وميخائيل رومان ويحيى الطاهر عبدالله وغيرهم.. لو اعتذر الجيش عما فعله مع الفريق الشاذلي ومحمد نجيب وأحمد عبد العزيز.. لو اعتذرت الجامعة للدكتور زكي مبارك والدكتور جمال حمدان.. لو اعتذرنا لليهود عن معاملتهم بقسوة أيام موسى، واعتذرنا للمسيحيين المصريين عن عدم أخذ حقوق المواطنة حتى عام ١٩٣٦.. لو اعتذرنا للشيعة المصريين عما فعلناه معهم أيام صلاح الدين وحرق ١٥ ألف مواطنِ

مصريٍّ شيعيٍّ في ليلة واحدة.. لو اعتذر الشعب المصري في مجلس الشعب بما فعله الشعب مع الزعيم محمد فريد والمناضل عبد الله النديم.. لو.. لو.. حينئذ سأقول إنني في بلد متحضر وشعب متحضر.."[1].

يدور النص الروائي في إطار حوار دار بين بطل الرواية "فتحي رضوان" ، وبين زميلته "ناهد حجازي"، وقد اتضح من الحوار اختلافهما في الرأي، ما بين مؤيد ومعارض، حول اتصاف الشعب المصري بأنه يمتلك صفة التحضر، ونرى أن فتحي رضوان يرفض تلك الفكرة الراسخة في عقول المصريين، موضحًا الأسباب التي جعلته يعترض عليها، محاولاً إقناع ناهد حجازي بوجه نظره، حيث نجد أن جميع الأسباب التي ذكرها فتحي رضوان في النص الروائي تتلخص في الظلم الذي تعرضت له فئات عديدة على أرض مصر على مر التاريخ، وذلك بسبب غياب الضمير الإنساني، وهنا يتم الانتقال من السرد الماضي الذي يشتمل على أحداث وأفعال ماضية "اعتذر – اعتذرنا" إلى السرد الاستباقي "سأقول"، عن طريق إشارة فتحي رضوان إلى وجهة نظره التي يؤمن بها، وهو أنه لا يستطيع أن يسلم في المستقبل بحقيقة أن شعب مصر متحضر، وانه يمتلك حضارة يرجع تاريخها إلى

---

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الأول (شاي بالياسمين) ، ص ٩٣ ، ٩٤.

٧ آلاف عام – مثلما يؤمن الكثيرون بذلك – إلا إذا تم تصحيح الأخطاء التي وقع بها المصريون في الماضي ، أو على الأقل يتم التعلم منها وتجنب تكرارها في المستقبل، فنجد أن الاستباق يوضح أنه لا يمكن الحكم على شعب ما بأنه متحضر أم لا دون النظر إلى تاريخه، لتعرف إذا كان يمتلك الأسس التي يجب توافرها في الشعب المتحضر، فإذا كان يمتلكها، قالت ناهد حجازى ونحن نسير على شاطىء البحر بعد الندوة الثقافية:

- إن شعب مصر متحضر ٧ الاف سنة حضارة.

قلت:

- لا نحن شعب متخلف.. إن أزمة مصر في غياب الضمير وخاصة ضمير المثقفين والنخبة.. ونحن غير متحضرين.

قالت: كيف؟

قلت : إذا اعتذر الأزهر لما فعله مع أحمد عرابي والشيخ محمد عبده والشيخ عبد المتعال الصعيدى.. لو اعتذر اتحاد كتاب مصر عما فعله الكتاب ضد نجيب سرور ومحمود دياب وميخائيل رومان ويحيى الطاهر عبدالله وغيرهم.. لو اعتذر الجيش عما فعله مع الفريق الشاذلي ومحمد نجيب وأحمد عبد العزيز.. لو اعتذرت الجامعة للدكتور زكي مبارك والدكتور جمال حمدان.. لو اعتذرنا لليهود عن معاملتهم بقسوة أيام

موسى، واعتذرنا للمسيحيين المصريين عن عدم أخذ حقوق المواطنة حتى عام ١٩٣٦.. لو اعتذرنا للشيعة المصريين عما فعلناه معهم أيام صلاح الدين وحرق ١٥ ألف مواطنٍ مصريٍّ شيعيٍّ في ليلة واحدة.. لو اعتذر الشعب المصري في مجلس الشعب بما فعله الشعب مع الزعيم محمد فريد والمناضل عبد الله النديم.. لو.. لو.. حينئذ سأقول إنني في بلد متحضر وشعب متحضر.. فحينها نستطيع أن نقول إنه " شعب متحضر يعيش في بلد متحضر".

كما أظهر الاستباق أن بطل الرواية "فتحي رضوان" يمتلك رؤية ووجهة نظر خاصة به في كل ما يدور من حوله ، لا يشاركه فيها أحد ، فهو لا يصدق كل ما يسمعه على ألسنة الناس من أقوال شائعة، تنتقل من جيل إلى جيل دون تفكير ودراسة، ولكنه يُحكم عقله، وجيعله دليلاً له في حياته، مستندًا في ذلك على ثقافته التاريخية الواسعة ، التى اكتسبها عن طريق قراءته المستمرة في الكتب التي تتحدث عن تاريخ مصر، مما جعله ملمًا بأدلة تاريخية تُعينه على تفسير الأحداث من حوله، وذلك عن طريق ربط الماضي بالحاضر المحيط به، مما يساعده على توقع ما يمكن حدوثه في المستقبل في ضوء الحاضر المعاش.

كما ظهرت تلك التقنية الزمنية (الاستباق) في روايته "حتى يطمئن قلبي"، ويتضح ذلك من خلال النص التالي:

- " مش ممكن .
- صح.
- هو إيه اللي صح؟.
- الحر حتى ابنك لا يحب الحر.

وأشارت على بطنها، صرحت فيها :

- أنا لا أريد أطفالاً ، لا أحبهم.
- ماذا تقول يا فتحى؟؟؟
- أقول ما سمعت. لا أحب الأطفال.. هم مسئولية كبري، وأنا لا أستطيع تحمل مسئولية أخرى.
- لكنني حملت.
- نزليه.
- أنت مجنون ، لن أفعل.
- هذا الطفل سيدمرنا يا تهاني .. له احتياجات ومطالب كثيرة.. أنا أحصل على رابتي منحة من الله بالصدفة .. ليس عندي وظيفة في مصر، ولا تأمين ، ولا معاش، ولا أضمن وظيفة في الخليج..."(١).

---

(١) رواية : حتى يطمئن قلبي، مركز الوطن العربي – رؤيا ، ط ١، ٢٠١٧م ، ص ٣٣٥.

يتضح من خلال النص الروائي ، رفض بطل الرواية "فتحي رضوان" أن يكون له طفل من زوجه تهاني ، ويظهر ذلك من خلال طلبه منها أن تتخلص من الطفل الذي تحمله في بطنها. وهنا نجد أن الكاتب يتحول من الفعل الماضي "حملت" إلى فعل المستقبل "سيدمرنا" ليستشرف المستقبل، ويفصح عن سبب رفض فتحى رضوان لطفله القادم، وذلك عن طريق توقع فتحى روان أن الطفل الذي ينتظره هو زوجته سيكون سبباً فى تدمير حياتهم بأكملها، حيث إنه لا يستطيع أن يلبي له احتياجاته ، ومطالبه في الحياة، بسبب قلة رزق من المال، فقد دل النص الاستباقي على ضيق الحال والمعيشة التي يعانى منها كل من فتحي رضوان وزوجته تهانى ، باعتبارهما رمزًا للأسرة المصرية البسيطة ، التي لا يكفي دخلها مستلزمات ومتطلبات الحياة، رغم كفاح رب الأسرة (فتحي رضوان) وسعيه لتوفير حياة كريمة لأسرته، سواء داخل مصر أم خارجها، لكنه – دائمًا – يجد أن الظروف الاقتصادية السيئة التي تعاني منها مصر تحيطه أينما ذهب، وتؤثر عليه من الناحية النفسية، إلى الدرجة التي تجعله يحزن عندما يعرف أنه سوف يكون أبًا لطفل جميل، خوفًا من المسئولية الجديدة التي ستقع على عاتقه، والتي لا يستطيع تحملها، فقد أظهر الاستباق الواقع الاقتصادي المرير الذي يعيش تحت ظله

المصريين، وما أدي إليه من انتشار البطالة، وغيرها من المشاكل العديدة، ومعاناة المصريين من ذلك الواقع، وتأثير تلك المعاناة على نفسية المواطنين، كما أظهرت الرؤية المستقبلية لحياة تلك الأسرة بعد قدوم الطفل الذي ينتظرانه، مشاعر اليأس المسيطرة على بطل الرواية " فتحي رضوان" نحو مستقبل أسرته القادم المرهون بمستقبل بلده، والذي لا يري فيها أي تقدم ملحوظ، يجعل ذلك اليأس يتحول إلى بصيص من الأمل، يجعله ينتظر مستقبله باطمئنان وهدوء بدلاً من أن يترقب ما سوف يحدث فيه وهو قلق متوتر.

ونرى من خلال النماذج المتعددة والمختارة من روايات الكاتب، أن الاستباق قد أعطي حيوية لحركة السرد الروائي داخل الروايات، كما عمل على إثارة فضول القارئ ، وجعله يتابع الأحداث مترقبًا ما سوف يحدث في المستقبل، كما جعله أيضًا في بعض الأحيان مشاركًا عن طريق توقعه وتنبؤه لشكل تطور الأحداث في المستقبل، كما أن الاستباق قد ساعد على إظهار المشاعر الذاتية المختلفة لبعض شخوص الرواية، من مشاعر أمل ورجاء في مستقبل أفضل، ممزوجة في بعض الأحيان بمشاعر يأس وخوق من مستقبل مجهول ينتظرهم.

المبحث الثانى
التحول الأسلوبى

ظاهرة التحول الأسلوبي يقصد بها انحراف الكاتب في بعض مواضع الرواية عن الأسلوب الخبري المباشر، وتوجهه إلى الأسلوب الإنشائى الطلبي بصيغه المتعددة، وذلك يساعده في الاستحواذ على القارئ، حيث إن كسر لصياغة الرتيبة عن طريق التبادل بين الأسلوبين يكسب النص السردي جمالًا إضافيًا ، كما أن هذا التنويع في الأداء يبرز مهارة الكاتب، من حيث إن "تميزه يكون بخروجه على الأداء اللغوي المألوف، أو التمرد على عادية الأداء الذي يميل إليه قارئ كسول لا يريد أن يعني نفسه بمشقة المتابعة، وينشد بدلًا من أداء آخر يتوافق مع قارئ أكثر وعيًا ، وأشد إدراكًا ، ولا يجد صعوبة في تقبل أي مخالفة لما هو مألوف وعادي"(١).

وللوقوف على مصطلحي "الخبر" و"الإنشاء" نجد ، السكاكى قد عرف الخبر في كتابه مفتاح العلوم، فيقول إن الخبر "هو الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب، وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى

---

(١) حسن البنداري (د)، الأداء التبادي في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الأدابن القاهرة ، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٣.

أمر من الأمور نفيًا أو إثباتًا"[١]. أما عن أغراضه ، فنجد أن البلاغيين قد "وجدوا أن له غرضين أصليين، فهناك جملة ألقاها المتكلم بغرض إفادة المخاطب أطلق عليها "فائدة الخبر" ، وهناك جملة أخرى ألقيت بغرض الإمتاع وتحقيق الخبر وتوكيده عند السامع أطلق عليها اصطلاحًا لازم الفائدة"[٢]. وإذا كان الإنشاء مقابل الخبر فإن الإنشاء إذن " هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[٣].

وبالنظر إلى الأسلوب الإنشائي نجده ينقسم إلى ضربين، طلب، وغير طلب، والطلب "يستدعى مطلوبًا غير حاص وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل، وأنواعه كثيرة وهي ، الأمر والنهي، والتمني والنداء والاستفهام"[٤]، أما الإنشاء غير الطلبي، فهو " مالا يستدعي مطلوبًا، وله أساليب وصيغ كثيرة، منها صيغ المدح والذم، والتعجب والقسم والرجاء"[٥].

---

(١) السكاكس ، مفتاح العلوم ، ضبط وتحقيق / نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م. ص ١٦٤.

(٢) حسين جمعة (د)، جمالية الخبر والإنشاء، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط١ ٢٠٠٥م، ص ٥٢.

(٣) عبد العزيز عتيق (د) ، علم المعاني ، ص ٦٩.

(٤) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع" ، ت، إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٠٨.

(٥) عبد العزيز عتيق (د) ، علم المعاني ، ص ٧١.

ونجد أن الفرق بين القسمين يتعين في "أن الإنشاء الطلبى هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، أما الإنشاء غير الطلبي ، فهو ما يقترن فيه الوجدان، بمعني أنه يتحقق معناه في الوقت الذي تحقق فيه وجود لفظه، أى في الوقت الذي يتم اللفظ به"(١).

وبالنظر إلى ظاهرة التبادل بين الأسلوبين – التي هي محور دراستنا في ها البحث – نجد أن "ذلك الأسلوب البلاغي يكسب الجميلة أبعادًا فكرية ونفسية جديدة، وتتجاوز الحدود المعروفة والمشهور لعملية الدلالة... إن القدرة اللغوية والبلاغية التي تتصف بها العربية، والسليقة التي يحملها العربي، تكمنان وراء هذا الأسلوب البلاغي الذي يعد وسيلة جديدة لاستخراج ما في النفس البشرية من أطياف فكرية، وإيحاءات نفسية عاطفية"(٢).

ونجد أن تلك الظاهرة البلاغية قد برزت في روايات الكاتب محل الدراسة، حيث نجده يسرد الحدث الروائي بصيغة خبرية تعتمد على المباشرة ، ومن ثم يقطع الحدث، حينئذ تتدخل الصيغة الإنشائية الطلبية في مجرى السرد الخبري، ليستطيع من خلالها إظهار مشاعر شخصيات رواياته، وانفعالاتها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٣.
(٢) حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، ص ٣٧.

التابعة من حالة التوتر الداخلي التي تعيشها بسبب المواقف الصعبة المختلفة التي تواجهها في الحياة ، لذلك يعد هذا الأسلوب البلاغي القائم على التحول من الصيغة الخبرية إلى الصيغة الإنشائية ملائمًا للكشف عن أفكار الشخصية الروائية ، ومن ثم فإن هذا المبحث سينقسم إلى خمسة محاور :

- المحور الأول : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الأمر.
- المحور الثانى : التحول من السرد الخبري إلى صيغة النهى.
- المحور الثالث : التحول من السرد الخبري إلى صيغة التمنى.
- المحور الرابع : التحول من السرد الخبري إلى صيغة النداء.
- المحول الخامس : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الاستفهام.

المحور الأول : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الأمر :

أسلوب الأمر هو "طلب الفعل على وجه الاستعلام والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"(١)، ويتعين التحول هنا في أن الكاتب يلجأ إلى سرد خبري لجزء معين من الحدث الروائي، ولكنه ما يلبث أن يعدل عنه، ويوظف بدلًا منه نوعًا آخر من السرد، وهو الصيغة الطلبية الأمرية، بمعني أن هذا التبادل يتم عن طريق

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٧٥.

"تدخل التوجه الأمر في مجرى الصيغة الخبرية الوصفية، وذلك لإرساء طائفة من الدلالات النفسية الكاشفة ، مثل التوسل والضراعة، والخضوع العاطفي، والجيشان الاحتجاجي، والاستغاثة بحثًا عن منجد أو مغيث"(١).

وقد وظف الكاتب هذه الظاهرة في مواضع كثيرة داخل رواياته، لأنها تعبر عن حالة الغضب الانفعال التي تمر بها الشخصية، مما يجعلها تتوجه بالأمر إلى شخص ما، أو في بعض الأحيان نجدها توجه الأمر لنفسها، ومن ثم فإن هذا المحور يتنوع إلى نوعين :

النوع الأول : توجيه الأمر للغير :

يتمثل هذا النوع في توجيه إحدي شخصيات الرواية الأمر إلى شخص بعينه، أو عدة أشخاص ، بهدث تنفيذه. نجد ذلك في هذا النص من رواية "ليالي دبي : شاي بالياسمين"(٢)، حيث يقطع الكاتب السرد الخبري الذي يصف فيها التصرفات السيئة

---

(١) حسن البنداري (د) ، الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر ، ص ٢٣.

(٢) ورد الأمر الغيري في روايات أخرى للكاتب ، فنجده في رواية " مسافرون بلا هوية" (ص٢٠) دالًا على مشاعر الاختناق التي انتابت إبراهيم عمار في غربته نتيجة تفضيل الجنسية الأجنبية عن الجنسية العربية، فيأمر العرب ناصحًا إياهم بتحطيم وفك عقدة الأجنبي، وفي صفحة ٤٣ من رواية "قهوة سادة" ورد ليدل على حماس فتحي رضوان في دفاعه عن وطنه ضد الغزو الإسرائيلي، مما جعله لا يستطيع العودة للمنزل لإخبار والدته بأنه انضم إلى صفوف الفدائيين ، فيلتمس من جاره "عم محبش" – عن طريق الصيغة الأمرية – أن يتولى هو مهمة إخبارها نيابة عنه، كما ورد في رواية " كابتشينو" (ص ٢٨٤) ليدل على المعاملة السيئة التي يتلقاها الشباب الثورى من جهاز أمن الدولة، فظهر ذلك من خلال الصيغ الأمرية التي أصدرها الضباط، وكان الغرض منها تهديد فتحى رضوان.

التي يقوم بها المصريون عند هجرتهم إلى الدول العربية الأخري، ومدى استياء العرب من تلك التصرفات فيقول :

" قال لي الفنان فاضل خليل والفنان حسين الأنصاري ذات مرة ونحن نسير في شوارع بغداد:

- المربعة خارج سيطرة حكومة العراق.. مافيا مصر تتحكم فيها..

.. حتى حي خيطان فى الكويت سكنه المصريون من كل القرى.. أهل الريف فى مصر أهل مكر ودهاء يدعون الفقر كلهم بما فيهم الأثرياء.. معجونون بالشر والحكايات والأسرار والسحر يخافون الله خوفاً من غياب نهر النيل.. ويقسمون اليمين بالله العظيم كل يوم مئات المرات على باطل. قليلهم فطن وعبقري وغالبًا ما يهاجر إلى أوربا لينجو من طوفان الشر أو إلى العاصمة ليحصل على بعض ما يستحق وعادة لا يذكر اسم قريته إلا بالصدفة. أهل ريف مصر يسكنون فى الكويت حي خيطان، وهي المنطقة الوحيدة فى الكويت التى إذا سرت بها وجدت رائحة كريهة تنبعث من الشوارع مثل أحياء الهنود في دبي تجد رائحتها كريهة.. كأن المصريين والهنود يشتركون في بث الرائحة النتنة من بيوتهم.. مطار القاهرة الدولي أشبه ببوابة لقلعة كبيرة لسجن كبير"(١).

---

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الأول (شاى بالياسمين) ، ص ٣٩٢.

يكشف هذا النص السردي عن استباحة أهل ريف مصر لأرض العراق والكويت، وتحويلها إلى مناطق عشوائية، وتلويثها بالقمامة ، بالإضافة إلى تلويثها بتصرفاتهم البذيئة التي شوهت سمعة المصريين عند العرب، من كذب، ودهاء ومكر، مما جعل العرب يستاءون من وجود المصريين في بلادهم، بل ويكرهون التعامل معهم، سواء فى العمل، أم في أي مكان آخر، إلا قليلًا منهم الذين يمتلكون الضمير والرقي، والتحضر فى التعامل، مثل شخصية بطل الرواية "فتحي رضوان" ، الصحفي المثقف الذي هو نفسه – رغم أنه مصري – يكره تصرفات المصريين، ويرفض أن تكون هذه الصورة التى انطبعت عن المصريين في الدول العربية – بسبب تصرفات البعض منهم – هي الظاهرة المعروفة أو السائدة عنهم، وذلك نابع منحبه لوطنه، والرغبة في أصلاحه، وإصلاح أبنائه، رغم الظلم الذي تعرض له منهم، فكل هذا الاستياء الذي يشعر به العرب تجاه المصريين، والذي صوره الكاتب في السرد الخبري، دفع أحد أصدقاء "فتحي رضوان " إلى أن يتوجه إليه بصيغة طلبية أمرية في أثناء سيرهما معًا ، فيقول:

" اغسل نفسك من هواء مصر الفاسد، حاول أن تنجو بنفسك من وطن فقد الحلم والأمل، يستحم بالفساد ويحيا"[١].

---

(١) رواية : ليلى دبي الجزء الأول (شاي بالياسمين) ، ص ٣٩٢.

لقد كان توجه صديق البطل بالأمر هنان نتيجة الاستياء والغضب الشديدين الذين يشعر بهما داخله من أفعال المصريين باعتباره عربي عراقي يعيش في بلده ، ويعاني من تصرفات المصريين في بلده، فتلك التصرفات هي التي دفعت به إلى توجيه الأمر لصديقه "فتحي رضوان" بأن يترك وطنه مصر، لينجو بنفسه من الفساد الذي أصبح يتغلغل فيها وفي أبنائها، لعله – عند تنفيذه لهذا الأمر – يرتاح من الهم الذي يحمله دائمًا على عاتقه بشأن وطنه ، فجاء الأمر معبرًا عن الحالة الوجدانية للشخصية الأمرة، فهو قد وصل إلى درجة شديدة من الغضب ، جعلته ييأس من فكرة إصلاح المصريين ، وتبديد الفساد الموجود في مصر. ونجد هنا أن الأمر ليس مقصودًا به ترك أرض الوطن ، بل هدفه أن يدع التفكير فى شأن وطنه جانبًا ، ويواصل حياته لتحقيق أحلامه.

ونجد ان الصيغة الأمرية هنا قد بعدت عن ظيفتها الأصلية، حيث يعد المتكلم كلامه واجب التنفيذ من جهة المخاطب، وذلك لأن كلًا منهما (المتكلم والمخاطب) متساويات في الرتبة، فهما صديقان لا يوجد أحد منهما أعلى مقامًا من الآخر، لذلكجاءت الصيغة الأمرية خالية من الاستعلاء، ولكنها أظهرت حرص الصديق على صديقه ، وخوفه عليه من أن يسيطر اليأس عليه يومًا ما نتيجة تعلقه بوهم الأمر في إصلاح وطنه، ومن ذلك

يتضح أن الأمر هنا قد جاء في النص الروائي بغرض النصح والإرشاد.

وثمة نموذج آخر في رواية "ليالي دبى : شاى أخضر" يتحول فيه الكاتب من السرد الخبري إلى الصيغة الأمرية:

" وحكت لى عن أمها العجوز الجميلة وأبوها العجوز الذى يدهش كثيراً ويضحك كثيراً بصوت عال.. والذى يصيح دائماً فى الشارع أبى جن يصيح فى الشارع:

- الدنيا معركة أما تقاتل لتنتصر أو لا تحارب فتموت.. أولاد القحبة الأوساخ حولوا مصر إلى مذبحة..

ويبصق على الأرض ويصرخ فى المارة صائحاً..

- فوقوا بقى..

يضح الناس ويمشون والبعض يحاول أن يهدئونه خوفاً من أن يضرب أحداً.. وكان يقول فى الليالى الصافية..

لو كان لدى قنبلة لألقيتها على مصر.. يموت ٩٠ % والباقي يعيشوا نظاف"[١].

يصف الكاتب في النص السردي الخبري الحالة النفسية السيئة التي وصل إليها الرجل العجوز الفقير والد الممرضة عفت (إحدي شخوص الرواية) نتيجة تراكم أعباء الحياة الثقيلة عليه عبر سنوات عديدة في حياته، والتي جعلته يخرج عن

---

(١) رواية : ليالي دبي (الجزء الثاني) : "شاي أخضر" ص ٣١٠.

التصرف المألوف في الشارع، ويخرج عن صمته، ويصيح بشعاراته التي يؤمن بها، أو التي تعلمها من خلال الدورس القاسية التي أعطتها الحياة له، مما جعله يؤمن بأن الحياة معركة، فمن يريد أن يعيشها بشكل صحيح لابد أن يحارب فيها ولا يستسلم أبدًا .

وهنا نجد أن الكاتب يتحول إلى الصيغة الأمرية، وذلك عن طيق توجه الرجل العجوز بالأمر إلى الناس المارة في الشارع من حوله صائحًا فيهم "فوقوا بقى" فقد أسهمت الصيغة الأمرية في التعبير عن حالة الانفجار الداخلي التي تشعر بها الشخصية، كما نجد أن الهدف هنا وراء توظيف الصيغة الأمرية هو حث الناس على الاستيقاظ من الغفلة التي أصبحت مسطرة عليهم.

وبالنظر في نهاية النص السردي ، نجد أن الكاتب يتحول مرة أخرى ليعود إلى استكمال الحدث بالصيغة الخبرية، والتي اتضح من خلالها تهاون الناس المارة في الشارع بكلام هذا الرجل البسيط والاستهزاء به، وذلك دلالة على حالة السلبية والاستسلام للواقع الذي يعيشه المصريين ، والتى جعلتهم لا يهتزون من داخلهم ولا يبدون أي ردة فعل عند سماعهم لصراخ وصياح هذا الراجل، بل كل ما يفعلونه هو محاولة

تهدئته وإقناعه بأن يسكت عما يقوله فقد أعطى التبادل بين الأسلوبين الخبري والإنشائي حيوية للنص السردي.

وثمة نوع آخر من "الأمر الغيري" ، وهو التوجه بالأمر إلى شخص آخر ، ولكن من خلال "نجوى النفس" ، وذلك لصعوبة توجه الأمر إلى هذا الشخص بصورة مباشرة، كما بدا في هذا النص من رواية "ليالي دبي : شاي أخضر" ، حيث يبدأ النص بسرد خبري يصف من خلاله بعض المساوئ الموجودة في مصر والمصريين كما يلى :

" إننا المصريون معجنون بالحسد والغيرة من بعضنا.. تعساء فى أعماق أنفسنا.. نحب الحياة المنحلة ونضج من العمل الجاد والفكر الجاد.. والحياة الملتزمة.

نحن مكونين من الفهلوة وسرعة البديهة فى الكذب والادعاء..

منسجمون بوهم "نحن أفضل شعوب الأرض".. شوارعنا مكتظة بالعجائب والغرائب.. نحن متمسكون بتقديم أنفسنا للعالم كأفضل شعب وكارهون للأدب.. ونضحك بقوة على قلة الأدب والبذاءة.. ونصيب المواطن المصري من القراءة في السنة ثلاث دقائق..

- دلينى ياغالية على يقين الحكمة..التى طالما قرأت عنها وبحثت عنها فى الكتب. حنجرة الوطن محتقنة..تحتاج إلى

عملية جراحية.. وصوت الوطن مشنوق.. الأمة بأسرها خائفة واقفة بين الموت والحياة. نصف الشعب مريض بالكبد والقلب والسرطان والكلى والسكر والنصف الآخر فى اشتباه بالمرض.. والإهمال فى كل ركن وكل شبر من الوطن"(١).

يسلط الكاتب في النص الروائي الخبري الضوء على بعض الآفات الموجودة فى المجتمع المصري، والتي جعلته يتحول من الجمال القبح ، حيث يسود الكذب، مع إهمال الثقافة والعلم ، وتفشي الأمراض الاجتماعية والجسدية والنفسية، ولكن على الرغم من كل هذا التدهور الذي يحدث في المجتمع ، إلا أن المصريين يتوهمون بأنهم أفضل شعوب الأرض، فهم دائمًا يركنون إلى أنهم يمتلكون ٧ آلاف سنة حضارة، فهم يتمسكون بهذه الأقوال الأسطورية، ولا يحاولون تطوير أنفسهم، ومعالجة العيوب الموجودة من حولهم ، والتي كادت أن تقضي على كل ما هو جميل في مصر ، فكل هذا القبح الذي أصبح متغلغلًا في المجتمع المصري قد أثار فتحي رضوان (بطل الرواية) ، وجعله يشعر بالاستياء الشديد، مماجعل الكاتب يترك السرد الوصفي ، ويتوجه إلى أسلوب الأمر، وذلك عن

(١) رواية : ليلي دبي، الجزء الثاني : "شاي أخضر" ، ص ٣١٥.

طريق توجيه فتحي رضوان الأمر إلى المواطن المصري، من خلال نجوي النفس ، فيقول :

" انهض أيها المواطن البائس فوق اليأس، وفوق ذاتك العفنة البائسة.. اشف نفسك من الوهم.. أنت مريض.. فقير.. كاذب.. جاهل.. وعليك أن تهتم بالصحة والتعليم، وتعمل على تحسين اقتصادك.. أنت صفر، وعليك أن تكون رقمًا فى هذا العالم"(١).

هو هنا يصدر الأمر للمواطن المصري، مطالبًا إياه أن يفوق من غفلته ، وينهض بأفعاله، وأن يشفي نفسه من الوهم الذي يحاصره ويسيطر عليه، حتى يستطيه أن ينقذ مصر، ويتغلب على جميع العراقيل التي تؤخرها عن بقية دول العالم، من تأخر في الصحة والتعليم والاقتصاد.

وقد أظهر الأمر هنا المشاعر الذاتية التي يكنها فتحي رضوان لوطنهن فهو على الرغم من سخطه وغضبه من التدهور الموجود في وطنه، إلا أنه يحلم أن يغير وطنه إلى الأجمل، وأن يزيل جميع المشكلات التي تلوث جمال وطنهن مما جعله يطلق هذه الصيحة الأمرية داخل نفسه، والتي لا يوجهها إلى شخص بعينه ماثل أمامه، بل يوجهها إلى كل فرد ينتمي لوطنه، لذلكنجد أن الصيغة الأمرية هنا، وما سبقها من سرد

(١) السابق ، ص ٣١٦.

خبري لا تتعدى كونها حديثًا للنفس، غير موجه إلى شخص ما، والهدف منها ليس الإلزام.

النوع الثاني : توجيه الأمر للذات :

يدل الأمر هنا على عدم رضا لشخصية عن أحوالها، ورفضها لطريقة تفكيرها وللواقع السيء الذي تعيش فيه، مما يجعلها ترغب في تغييره. وقد ورد الأمر الذاتي في رواية "مسافرون بلا هوية" كما سنرى في النص التالي:

" أمور كثيرة لم أعد أفهمها ، الفهم هذه الأيام لا يعتمد على العلم، أومقدرة الفهم هذه الأيام تسيء إلى الإنسان ، معنى أن يفهم المرء كل ما حوله يصل به الأمر إلى الجنون أو التمرد والرمي في السجن.. السجن أم الجنون.. الجنون أم السجن أم السجن الجنون أم الجنون السجن"(١).

يبدو من النص الحيرة الشديد التي يشعر بها "إبراهيم عمار" بسبب عدم فهمه للأمور التي تحدث من حوله، تلك الحيرة ممزوجة بخوف من ان يستطيع الفهم يومًا ما، ويكون مصيره حينئذ الجنون أو السجنن نتيجة تمرده على الأوضاع المحيطة به، وعلى ما يحدث في وطنه من ظلم وبطالة، وتدهور سياسي واقتصادي ، وغيرها من الأوضاع السيئة التي جعلته يهرب من وطنه، ويهاجر إلى الكويت بعيدًا عن المعاناة، ليجد معاناة

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٥٨.

من نوع آخر، وهي معاناة الغربة، والبحث عن المال، فنجد أن كل هذه الأمور قد أصبحت تفتك بوعيه، وتجعله دائم التفكير في كل الأحداث التي تدور من حوله، وهذا ما جعل الكاتب يتحول بالسرد من الصيغة الخبرية ، وينتقل إلى الصيغة الطلبية الأمرية التي وجهها البطل إلى نفسه ، حيث يقول:

"كف عن التفكير ... كف.. على ما يبدو لم يعد يتحمل البرودة في الشويخ.. ورأسي يكاد يطير مني، معايير كثيرة لم تعد كما كانت.. آه"[١].

توجه إبراهيم عمار إلى ذاته أمرًا إياها بالكف عن التفكير، حتي ينعم بحياة هادئة ، وذلك لأن التفكير يسبب له الإرهاق النفسي والذهني، ومن ثم قرر أن يترك الأمور من حوله تسير كما تشاء . وهكذا فتحول الكاتب من السرد الخبري إلى الصيغة الأمرية يدل على التغيير الذي حدث للشخصية، وتحول مسار تفكيرهان حيث قرر البعد عن المتاعب بنفسه قبل أن يجبره أحد من حوله على ذلك.

وثمة نموذج آخر من رواية " ليالي دبي: شاي أخضر"، استعان فيه الكاتب بظاهرة التحول من الأسلوب الخبري إلى الصيغة الأمرية التالية :

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٥٨.

" إن أزمة الأمة العربية الآن العقل.. العقل في خطر.. غاب عنا.. الآن يحاصرنا الجنون.. ويقودنا مجموعة من المجانين والأغبياء في كل الأمنكة.. انظر إلى مديرك .. أنظر إلى المحافظ.. انظر إلى رئيس البلدية.. رئيس اتحاد العمال.. الوزير.. انظر حولك تأمل.. تأمل.. غاب العقل والعقلاء"[١].

يوضح السرد الخبري أزمة غياب العقل التي تتعرض لها الأمة العربية بأكملها ، ويقصد بغياب العقل هنا، اتخاذ بعض المسئولين القرارات الخاطئة بشأن البلاد، مما يدل على أنهم في غفلة ، أو أنهم ليسوا على دراية كافية بالمشكلات التي تعانى منها شعوبهم.

وهذا نجد أن الكاتب قد تحول إلى الصيغة الطلبية الأمرية، وذلك عن طريق توجيه "فتحي رضوان" الأمر إلى نفسه (انظر – تأمل) مما يدل على انه يشعر بالأسف والحزن الشديد، وخيبة الأمل ، فكل من حوله ليس أهلاً للمنصب الذي يشغله، فجميعهم بالنسبة له عبارة عن أسماء تحتل مقاعد في الدولة، باحثين عن المكانة الاجتماعية والسلطة فحسب، ولا يفكرون في مصلحة أوطانهم. فقد جاءت الصيغة الأمرية هنا مؤكدة له ما يدور في ذهنه من أفكار، وكأنه يأمر نفسه بأن ينظر إلى كل من يشغلون مناصب مختلفة من حوله، ليثبت

---

(١) رواية : ليالي دبي : الجزء الثاني ، " شاي أخضر"، ص ٢٥.

لذاته أنهم جميعهم يسيرون على نهج واحد ألا وهو حب الذات، وتفضيل المصلحة الشخصية عن مصلحة الوطن والمواطنين ، وأنهم جميعهم لا يملكون التفكير السليم لإخراج الأمة العربية من أزماتها المتعددة، كما نلحظ أن الصيغة الأمرية هنا قد عملت على إثارة انتباه القارئ، وجعلته يتحول من متلقٍّ للحدث إلى مشارك فيهن حيث إن توجيه "فتحي رضوان " الأمر لنفسه بالنظر إلى المسئولين الذين يشغلون مناصب من حوله، قد كان بمثابة دعوة للقارئ بأن يُعمل عقله هو أيضًا ، ويتأمل أفعال المسئولين من حوله، ليجد البرهان أو الدليل على صدق وجهة النظر التي طرحها الكاتب في النص الروائى.

المحور الثانى : التحول من السرد الخبري إلى صيغة النهى:

يتفق كل من الأمر والنهي من جهة الاستعلاء، حيث إن النهي هو " طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"(١)، ولكنهما يختلفان من حيث الصيغة، فـ"للنهي صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بـ "لا" الناهية الجازمة"(٢)، أما الأمر فله صيغ متعددة، وعلى الرغم منأن أسلوب النهي يأتي على جهة الاستعلاء والإلزام، إلا أننا

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٨٣.
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣.

نجده قد يخرج في بعض المواضع عن معناه الحقيقي، ليدل على معانٍ أخري، مثل الالتماس ، والتمني، والتهديد، والنصح والإرشاد، وغيرها من المعاني التى تفهم من السياق الذي وضعت فيه صيغة النهي.

وقد تحول الكاتب في بعض مواضع رواياته من الصيغة السردية الخبرية إلى صيغة النهي، وذلك للكشف عن أعماق شخصياته، ويُقصد بالتحول هنا "إدخال صيغة النهي على السردية الخبرية مرة بعد أخرى لداعٍ يتجاوز الدلالة الأصلية لصيغة النهي"(١)، على نحو ما نرى في هذا النص من رواية " مسافرون بلا هوية"(٢)، اذ يصف إبراهيم عمار حالة الضياع التي يشعر بها في غربته، فيقول:

"جلست على الخليج شهرًا بلا عمل.. محمود السعدني غادر الكويت مطرودًا .. موظف الاستعلامات جريدة السياسية.. هكذا قال: جائع.. وحيد.. حزين.. بدأ البرد فى الكويت، تركت ملابسى فى مصر، قالت أمي خذ ملابسك معك.. قالت خالتي عندما ستأخذ تشتري ملابس جديدة من الكويت.. لم أجد نقودي هنا.. ضاعت .. فكل نتاج أدبي يعتبر لا شيء لم أستطع

---

(١) حسن البنداري (د) ، الأداء التبادلي في الشعرالعربي المعاصر ، ص ٤٧.

(٢) وردت صيغة النهي مرة واحدة في رواية " ليالي دبي : شاي أخضر" (ص٣٠) لتفيد الالتماس، وفي رواية "كل من عيها خان" (ص ١٤٩، وص ٢٠٨) لتفيد التمني ، وفي رواية "حتى يطمئن قلبي" (ص ١٨١) لتفيد النصح والإرشاد.

شراء ملابس جديدة.. جائع أمسكت القلم والظرف.. إلهى .. رب السموات والأرض.. لقد رسبت فى امتحان الصبر.. لا أملك الذكاء الاجتماعي، وإننى لا أعرف أحدًا هنا.. أنا جائع ووحيد.. لا تتركني"(١).

أظهر النص السردي حالتي الوحدة والفقر الشديدين اللتين يواجههما إبراهيم عمار في الكويت، فقد كانت الهجرة إلى الكويت هي النافذة التي ظن أنها ستجعله يطل على أحلامه، ويتمكن من تحقيقها،ن ولكنه فوجئ هناك بخيبة أمل كبيرة، وواقع صادم بالنسبة له، واقع يحاصره الجوع والوحدة والحزن، واقع أنكره كمواطن عربي، وأنكر أحلامه، فمثلما كانت أحلامه لا قيمة لها في وطنه، أصبحت أيضًا لا قيمة لها في اي بلد عربي آخر، فذلك الانكساء الذي شعر به، جعله يلجأ إلى قلمه ليكتب خطابًا إلى ربه، لعله ينجيه من محنته التي وقع بهان ذلك الخطاب الذي اتضح من خلاله اليأس الشديد الذي يسيطر عليه، مما جعل الكاتب يتحول من السرد الخبري إلى صيغة النهي التي وافقت الحالة الشعورية التي يمر بها "إبراهيم عمار" ، فنجده يقول متوسلاً إلى ربه : "لا تتركنى".

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية، ص ٧٥.

ونجد من خلال النص الروائى أن صيغة النهي التي أصدرها "إبراهيم عمار" تحمل معني الدعاءن فهو يدعو ربه أن يظل بجانبه في المحنة التي يتعرض لها، ول يتخلي عنه مثلما تخلي عنه الجميع، فكان الدعاء هنا في هذا الموقف الذي يتعرض له "إبراهيم عمار" هو الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها لعبور أزمته ، بعد أن أغلقت في وجهه جميع أبواب النجاة.

كما نجد أن التحول في النص السردي قد أظهر المشاعر الذاتية لإبراهيم عمارحيث إن الخول الشديد الذي يكمن داخل نفسه، هو الذي جعله يلجأ إلى ربه ليحتمي به.

وثمة تدخل آخر لصيغة النهي في مجرى السرد الخبري، حيث وردت في هذا النص من رواية "نسكافيه"، والذي يصف فيه الكاتب حالة التشتت والانكسار التي شعر بهما المصريون بعد نكسة ١٩٦٧م:

" كنت يا وحيد ترى أن هزيمة الوطن في ١٩٦٧ هي نقطة فصل بين الحلم والواقع... ترك وحيد سالم البيت بعد النكسة بأيام، واكتشف أن منظمة الشباب الاشتراكى والتنظيم السياسي في ضياع، ذهب وعاش مع شباب في شقة في الإسكندرية في سابا باشا .. ليلة ٩ أو ١٠ يونيو ١٩٦٧ كان

في ارتباك ، وجري في شوارع الإسكندرية : لا يا عبد الناصر لا تستلم للنكسة.."[1].

يوضح النص السردي الخبري المرارة التي شعر بها المصريون عقب نكبة ١٩٦٧ بسبب ضياع حلمهم، حتى إن كل القوي الوطنية التي كانت موجودة حينئذ من القادة السياسيين والمنظمات السياسة وغيرها قد شعرت بالضياع والاهتزاز، وعدم الثقة بالنفس إثر تلك الصدمة التي خلقت داخل نفوسهم زلزالاً جعلهم يتخذون بعض القرارات الخاطئة، والتي كان من الممكن أن تضر مصلحة البلاد وقتئذ ، ومن أهم تلك القرارات التي اتخذت تحت تأثير النكسة، القرار الذي أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو بتنحيه عن حكم مصر، فقد كان هذا القرار في هذا الوقت الحرج الذي تمر به مصر بمثابة زلزال جديد أصاب نفوس المصريين، مما جعل الملايين منهم في كافة الأنحاء والمحافظات يخرجو إلى الشوارع ليقفوا بجانب قائدهم، وذلك عن طريق هتافاتهم التي تعلن عن رفضهم لذلك القرار، طالبين منه أن يغير قراره.

وهنا نجد أن الكاتب قد قطع السرد الخبري بصيغة نهي طلبية " لا تستسلم"، تلك كانت هي الصيحة التي أطلقها المصريون في شوارع مصر، والتي جاءت دالة على رفضهم التام لقبول

---

(١) رواية : نسكافيه ، ص ٢٤٠.

قائدهم للهزيمة، مما جعلهم ينهونه عن الرضوح، و الاستسلام لها ، لكي يعيد للقيادة السياسية توازنها ، ويتسطع من خلال هذا التوازن إزالة آثار تلك الهزيمة.

وقد أظهرت الصيغة البلاغية (النهي) قوة عزيمة الشعب المصري، وإصراره على الخروج من تلك الأزمة التي تعرض لها، رغم صعوبة الموقف الذي يواجهه، فهو يصر على أن يكون أكبر من تلك النكسة ، وأن يخرج من بوتقة الهزيمة، ويسعى إلى الانتصار، وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد في حرب ١٩٧٣م.

وبالنظر إلى صيغة النهي نجد أنها قد أفادت هنا معنى الالتماس، على الرغم من أن الالتماس "يكون صادرًا من شخص إلى آخر يساويه قدرًا ومنزلة"(١)، وذلك للدلالة على أن تلك المحنة التي يمر بها جميع المصريين بكافة طبقاتهم، وفئاتهم قد آذابت الفارق بينهم، فلا فرق وقتئذ بين شعب وحاكمه، لأنهم يسعون فيها للوصول إلى هدف واحد ألا وهو تخطي الأزمة ، وإصلاح العيوب التي تسببت فيها للوصول إلى نتائج أفضل في المستقبل ، وللدلالة أيضًا على قرب الرئيس جمال عبد الناصر من قلوب المصرييننن فهم يلتمسون منه أن لا يستلم، ويتركهم في تلك المحنة، وكأنه صديق مقرب لهم.

---

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٨٥.

المحور الثالث : التحول من السرد الخبري إلى صيغة التمنى

التمني هو أحد أساليب الإنشاء الطلبي، ويقصد به "طلب حصول شيء علي سبيل المحبة"(١)، وقد فرق البلاغيون بينه وبين أسلوب الرجاء من حيث إمكانية تحقيقه، حيث إن "التمني غير قابل للوقوع أيًا كان شانه، بينما الترجي قابل للوقوع، وغايته الإخبار لديهم، فهو يدخل في الممكن لا المستحيل"(٢). . وفي ضوء ذلك نجد أن البلاغيين قد انحازوا إلى أن التمني هو " طلب أمر محبوب لا يرجي حصوله، إما لكونه مستحيلاً – والإنسان كثيرًا ما يحب المستحيل ويطلبه – وإما لكون ممكنًا غير مطموع في نيله"(٣).

وقد وظف الكاتب صيغة التمني في مجرى السرد الخبري، وذلك للدلالة على تمني الشخصية أمرًا يستحيل تحقيقه في المستقبل، على نحو ما نجد في هذا النص.

من رواية "ليالي دبي : شاي بالياسمين"(٤)، فقد أتت لتدل على الإهانى التي يشعر بها "فتحي رضوان" في غرقبته :

(١) سعد الدين التفتازانى ، مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، د.ت، ص ١٢٩.
(٢) حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، ص ١٦٨.
(٣) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ١١٢.
(٤) وردت "صيغة التمني" مرة أخري في رواية "كابتشينو" (١١٢)، لتدل على تمني الشخصية أمرًا محبوبًا بالمستقبل، ولكنه مستحيل، وفي رواية "ليالي دبي : شاي بالياسمين" (ص٢١٥) لتدل على تمني الشخصية أمرًا محبوبًا من الممكن تحقيقه في المستقبل، وفي رواية "حتى يطمئن قلبي" (ص٣٢٩) لتدل على استياء الشخصية من معاملة الشرطة المصرية لهان متنمية تغيير طريقة تعاملها مع المصريين مثلما تتعامل شرطة الإمارات مع مواطنيها، ومع المغتربين المصريين أيضًا.

" لم يعرف فتحي رضوان خليل أن المصري إذا خرج من داره يذل عن طريق الكفيل الخليجي ، ويتحول إلى عبد، والكفيل هو السيد.. ولم يعرف أنه إذا ذهب إلى السفارة يشكو سيهان أكثر مما يهان من الكفيل.. المصري عاش ويعيش عبدًا ماشيًا على الحبل.. ليس له موقف من السلطات إلا فيما ندر.. إنني أسعي لأشفي من العبودية التي ورثتها من جيناتي كمصري، أن تتحد الروح بالجسد فأصير نورًا وأضيء بعض الكون. اللهم أثر قلوبنا بالنور. أيها الإنسان أضيء مصباح قلبك.. أضيء شمعة فالظلام شديد.."(١).

يدور النص السردي الخبري حول فكرة الإهانة التي يتعرض لها المصريون في دول الخليج ، المتمثلة في انتهاك كرامتهم وحقوقهم ، وفي الوقت نفسه لا يجدون حماية من سفاراتهم أو تحركًا لنجدتهم عند تعرضهم للظلم والتطاول، بل على العكس من ذلك نجدهم يجاملون العرب على حساب إهدار حقوق المصريين، وفي الوقت ذاته يسكت المصري عن تلك الإهانات التي يتعرض لها يوميًا دون اتخاذ أي موقف ضد السلطات المسئولة عنه هناك، وذلك خوفًا من أن يطرد ويرحل خارج البلد، ويخسر عمله الذي كافح كثيرًا من أجل الحصول عليه ، فهذا هو الوضع السيئ الذي يعيشه "فتحى رضوان"

---

(١) رواية : "ليالي دبي بالياسمين " ، ص ١٥٧.

في الإمارات باعتباره مصريًا يعاني في غربته، لكنه لا يستطيع تغيير تلك المعاناة بمفرده، فعجزه هذا جعله يشعر أنه عبد للواقع المظلم الذي فُرض عليه في وطنه، والذي جعله يهرب منه ليفاجأ بواقع أكثر ظلمًا ، ألا وهو واقع إهاني المصري في غربته، لكنه يسعى إلى تحويله إلى واقع مضيء ينير الكون كله.

وهنا نجد أن الكاتب يعدل عن السرد الخبري إلى الطلب في صيغة التمني، ففتحي رضوان يتمنى أن يصير تحول في الزمن، ليعود إلى الماضي ويعيش في زمن أفضل من الزمن الذي يعيش فيه الآن ، فنجده يقول :

" لو أن سيدنا نوح حي لركبت معه السفينة ، لو كان سيدنا موسي حيًا لعبرت معه البحر، لو كان سيدنا عيس حيًا لرحلت معه ومع الحوارييننِ لو كان سيدنا عليه السلام محمد حيًا لهاجرت معه إلى المدينة.. لكنهم كلهم رحلوا وتركوني وحيدًا هنا فى مصر.. في قرن آخر وزمن آخر.."(١).

لقد تمني "فتحي رضوان" لو يعود الأنبياء، ويعود معهم زمن المعجزات لعله حينئذ يجد طوق نجاة ينتشله، ويخلصه من ذلك الواقع المرير، وينقله إلى واقع أجمل، مثلما حدث مع سيدنا نوح عليه السلام ومع من آم به ، فقد أنقذهم الله عن

---

(١) رواية : "ليالى دبي : شاي بالياسمين" ، ص ١٥٧.

طريق السفينة من ظلم قومهم ، وأيضًا نصر الله سيدنا موسي وقومهن وشق لهم البحر ليبعدهم عن طغيان فرعون ، كما أذن الله تعالى لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسم) بالهجرة هو وقومه إلى المدينة لينجيهم من تآمر وآذى قريش ، فكل هذه المعجزات التي حدثت في الماضي والتي كانت السبب في نجاة هؤلاء القوم من الأذى الذي يتعرضون له ، جعلت فتحي رضوان يتمنى أن يعود به الزمن إلى الخلف، ويكون واحدًا من هؤلاء القوم، ليتذوق معهم طعم النجاة من الظلم، فقد كشفت صيغة التمني التي اقتحمت مجرى السرد الخبري عن اليأس الذي تملك من نفس فتحي رضوان في إصلاح الواقع المحيط به، لذلك يجد أن السبيل الوحيد أمامه هو تمني الهروب منه.

وهنا نجد أن الغرض البلاغي وراء استخدام الكاتب لأداة التمني "لو" ، هو الدلالة على استحالة تحقيق الشيء المتمنى، حيث إن الزمن لا يعود إلى الوراء ، بل يسير دائماً نحو الأمام، كما أن الميت ينتهي أمره ، ولا يستطع العودة إلى الحياة مرة أخرى، ومن ثم كانت تلك الأداة مناسبة لإظهار صعوبة الأمنية التي تمناها "فتحي رضوان" داخل نفسه، إذ

إن لو "تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط"(١).

وفي بعض الأحيان نجد أن الشخصية قد تتمنى وقوع أمر غير محبوب بالنسبة لها، أو غير مطموع في تحقيقه على أرض الواقع، ولكن كرهها للوضع السيء المحيط بها هو ما يدفعها إلى تلك الأمنية ، مثلما نجد في هذا النص من رواية "ليالي دبي : شاي أخضر"، حيث يحكي البطل من خلال السرد الخبري قصة "توماس مور" الذي ضحي بحياته مقابل تمسكه بمبادئ دينه :

" في فيلم جولى أندروز (صوت الموسيقي) رجل الدين يدافع عن الظلم.. وفى مصر رجل الدين يدافع عن الحكومة.. ولا أنسى قصة توماس مور الكاتب ورجل الدين الذى شغل منصباً من أرفع مناصب الدولة فى انجلترا في عهد الملك هنرى الثامن ، ويصفه أحد المؤرخين بأنه " واحد من أنبل الناس وأكثرهم شجاعة" ، كان الملك يريد أن يطلق زوجته بدون موافقة البابا، وطلب من توماس مور أن يقر هذا الطلاق بحكم منصبه فى الكنيسة ، فرفض مور أن يجيب الملك إلى طلبه، لاعتقاده بأن في هذا الطلاق مخالفة لتعاليم الكنيسة ، وظلمًا للملكة، فحقد الملك عليه وقدمه للمحاكمة بتهمة الخيانة

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ١١٣.

العظمى، وكان الملك يرسل إليه بين الحين والحين من يحاول أن يثنيه عن رأيه، ولكنه رفض متمسكًا بعدم صحة الطلاق.. وانتهي الأمر بصدور حكم بإعدامه تنفيذًا لرغبة الملك وقطع رأسه وعلق على جسر لندن فى سنة ١٥٣٥. وفى سنة ١٩٣٥ بعد أربعمائة سنة من إعدامه نصب البابا فى روما توماس مور قديساً"(١).

كشف هذا النص الخبري عن مدى استياء بطل الرواية "فتحي رضوان" من بعض رجال الدين في مصر، الذين يخالفون ضمائرهم، وتعاليم دينهم، ويسيرون على نحو ما يتفق مع آراء الحكومة، وقد ظهر هذا الاستياء عن طريق تذكره في أثناء جلوسه في قاعة السينما لقصة "توماس مور" أحد رجال الدين في إنجلترا في إنجلترا ، والذي عارض الملك هنري بأن رفض أن يقر له قرار طلاقه من زوجته، لما في ذلك من خالفة لتعليم الكنيسة ، مما أدى إلى إصدار الملك حكمًا بإعدامه، وبالفعل تم تنفيذ الحكم، فقد كانت هذه القصة التي تذكرها "فتحي رضوان" مخالفة لقصة الفيلم الذي يشاهده داخل السينما، حيث ظهر رجل الدين في الفيلم بنفس الصورة التي يرى بها "فتحي رضوان" شيوخ الأزهر في مصر، يقف بجانب الظالم ويترك المظلوم، ولهذا تولد داخله شعور بالأسى

(١) رواية : "ليالي دبي : شاي أخضر" ، ص ٣٦٢.

والحسرة، وهنا يترك الكاتب السرد بالصيغة الخبرية لينتقل إلى صيغة طلبية ملائمة للموقف ، وهي صيغة التمنى ، فنجد فتحي رضوان يقول :

" تمنيت أن يعدم أحد شيوخ الأزهر ، ويكون ذلك بسبب أنه يقف ضد الرئيس أو الحاكم، ويكون رمزًا لرجال الدين والوطن، لكن لم يحدث هذا في تاريخنا أبدًا.."(١)

وهنا نجد أن الرغبة التي كشفت عنها صيغة التمني هي رغبة ليست صادقة، حيث إن البطل هنا لا يتمنى أن تنتهي حياة فرد آخر، سواء عن طريق الإعدام أو بأي وسيلة أخرى ، لأنه بالطبع أمر غير محبوب بالنسبة لأي شخص ، ولكن المعني الذي يكمن وراء التمنى هنا هو أن يعود شيوخ الأزهر إلى رشدهم ، ويتمسكون بحصانة دينهم، ولا يستسلمون إلى استمالة الحكومة لهم لإخضاعهم تحت هيمنتهان بل يتخلصون من تبعيتهم للدولة، ويحكمون ضمائرهم في الحكم على الأمور ويناصرون الحق، ويعارضون قرارات الحكومة الخاطئة التي تضر بالدين والوطن حتى وإن كلفهم ذلك حياتهم، ليصبحوا حينئذ رمزًا عظيمًا لرجال الدين يستحق الافتخار والاحتذاء به، مثلما حدث مع توماس مور.

---

(١) السابق ، ص ٣٦٢.

وقد عزز الكاتب نصه الروائي بوسيلة بلاغية أخري، وهي "المقابلة" ، حيث عقد الكاتب مقابلة بين النص الخبري وبين النص الطلبي، وما يحمل كل منهما من نموذج مختلف لرجل الدين، فنجده يتحدث في النص الخبري عن توماس مور الذي يعد نموذجاً لرجل الدين الصالح الذي يتبع نهج دينه، ولا يحيد عن الحق مهما كلفه ذلك، وفي مقابل ذلك نجده يعرض في النص الطلبي لصورة مغايرة لرجل الدين، ألا وهي بعض شيوخ الأزهر في مصر الذين يرفضون معارضة السلطة ، ويفرطون في مبادئ دينهم، وحقوق وطنهم، لإرضائها، خوفًا من غضبها عليهم. فهذه المقابلة بين النموذجين قد ساعدت صيغة التمني على إبراز وتوضيح الفكرة التي يدور حولها النصن وأيضًا قد أضفت على النص عمقًا دلاليًا .

المحور الرابع :التحول من السرد الخبري إلى صيغة النداء

المناشدة أو النداء هو أحد الأساليب الطلبية الهامة التي تتعلق بطرفين "المتكلم والمخاطب" ، حيث إن النداء هو "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة، ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو"(١) ، فتلك المناشدة تتم باستخدام أدوات عدة، وهي : "الهمزة لنداء القريب، وأي، ويا، وأيا،

---

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ١١٤.

وهيان وآ، وأي، ووا للنداء البعيد"[1]، ولكن النداء ليس عبارة عن رسالة كلامية يرسلها شخص إلى آخر فحسب ، بل إن له أيضًا هدفًا فنيًا ، حيث إن "المتكلم ليس مجرد مرسل لأدوات النداء ، وإنما هي تعبير مثير عن مشاعره وأفكاره، ومرتبطة في الوقت نفسه بالمخاطب قربًا وبعدًا في المكان، أو المنزلة الذاتية والاجتماعية"[2].

وقد وظف الكات صيغة النداء في رواياته من خلال تدخلها في مجرى الصيغة الخبرية، حيث يؤدى ذلك إلى "طرح معانٍ إضافية، تسهم في تشكيل بنية بلاغية مقبولة لدي المتلقي"[3]، حيث إن صيغة النداء لها قيمة فنية تساعد على إثارة المتلقي، وجذب انتباهه، مما يجعله اكثر تفاعلاً مع النص، مثلما نجد في هذا النص من رواية "مسافرون بلا هوية" ، والذي ظهرت فيه المشاعر الذاتية لبطل الرواية "إبراهيم عمار" عند تركه وطنه ليهاجر إلى دولة الكويت : "الكويت .. بينملامح الحلم والنبوة يقولون إنها أرض مباركة، لم يخرج منها غريب مكسور الخاطر، هكذا يقول الصعايدة عن الكويت. يقول الفلاحون إنها بجوار أرض النبي ، من أتى إليها صار مباركًا ، وخرج مجبور الخاطر.. يقول أخي أحمد :

---

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ١١٤.
(٢) حسين جمعة (د) ، جمالية الخبر والإنشاء ، ص ١٧٨.
(٣) حسن البنداری (د) ، الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر، ص ٧١.

ما دمت وصلت الكويت ستصبح في مناخ آخر يتيح لك التفوق ، لأنه مناخ أنظف.. يقول أخي رمضان : الله يرزق من يشاء بغير حساب"(١).

يصف الكاتب في السرد الخبري نظرة المصريين بمختلف طوائفهم – من صعايدة وفلاحين – إلى دولة الكويت، حيث إنهم يعتبرونها مدينة الحلم، وأرضها مباركة، وذلك لما وجدوه فيها من جبر لأحلامهم التي كسرت في بلدهم، مما جعل إبراهيم عمار فور وصوله إلى أرض الكويت يضع حلم تفوقه نصب عينيه، ويؤهل نفسه للحظة التي سيحقق فيها أحلامه ، متفائلاً بكلام أخيه له ليطمئنه عند سفره عن الرزق الذي يعطيه الله للإنسان بغير حساب أو مساءلة . لكن على الرغم من تأثير كلام أخيه علي نفسه – حيث جعله متفائلاً بالخطوة الجديدة التي اتخذها في حياته ألا وهي الهجرة إلى مكان جديد لعله يكون الأفضل بالنسبة له – إلا أن هذا التفاؤل كان يشوبه بعض القلق من المجهول الذي ينتظره في غربته، وقد ساعد على توضيح حالة الاضطراب التي يشعر بها إبراهيم عمار داخل نفسه ، ما احتواه النص من تحول بين الصيغة الخبرية إلى صيغة النداء ، حيث توجه إبراهيم عمار بالنداء إلى وطنه طمصر" ليخاطبها وهي بعيدة عنه، و يعتب

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٦٢.

عليها أنها تركته يرحل ويهجرها دون ان تحاول الإمساك به ليبقي ، فنجده يقول :

"وكيف تتركينى يا مصر أرحل عنك هكذا.. حتى وأنا على سلم الطائرة كنت أنتظرك، تقفين خلفي، تمسكين في بيديك الطيبتين الحضراوين يا حبيبتي يا أمي، يا عشقي، يا دمي، يا كوني يا حلمى يا جنوني.. كنت انتظرك يا مصر تهبطين من بين الحشود، وتحملينني على كتفك وتقولين : لا تخرج يا ولدي ، لكنك لم تفعلى يا أمي"(١).

لقد خرجت صيغة النداء هنا عن معناها الأصلي، حيث إن الغرض من توظيفها في هذا النص ليس فقط إظهار مناجاة إبراهيم عمار لوطنه البعيد عنه، بل جاءت معبرة عن الحسرة التي يشعر بها نتيجة إحساسه بتخلي وطنه عنه، فإحساس الحسرة الذي مزق قلبه ناتج عن قرب وطنه إلى قلبه، فمصر بالنسبة له بمثابة الأم التي تجعلها فطرتها تتشبث بأبنائها إلى آخر لحظة في عمرها، ومباثبة الحبيبة الحنونة التي لا يجب أن تترك حبيبها في هذا الموقف الصعب الذي يمر به، فكل هذه المشاعر التي يكنها إبراهيم عمار في قلبه لمصر، قد كشفت عنها صيغ النداء المتعددة التي وجهها إليها في النص الطلبي، فنجده يناديها "يا حبيبتى – يا أمي – يا عشقي "،

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٦٢.

وأيضًا صورها بأنها حلمه الذي لم يستطع الوصول إليه ، وأنها الكون الرحب الواسع ، وقد ظهر ذلك من خلال مناجاته لها "يا كوني – يا حلمي"، ولكن على الرغم من عشقه الشديد لمصر ، إلا أنها خلته وتخلت عنه، وتركته يهرب منها، ويلجأ إلى وطن آخر يحقق له أحلامه.

وهكذا فقد كشف التحول من السرد الخبري إلى صيغة النداء عن الإزدواجية في مشاعر إبراهيم عمار ، فعلى الرغم من سعادته، وتفاؤله بالمناخ الجديد الذي ذهب إليه ، إلا أنه يتمني داخل نفسه لو أن وطنه تمسك بهن و لم يتركه يرحل بعيدًا عنه، ولك عن طريق إعطائه فرصة حقيقة تمكنه من الوصول إلى أحلامه البسيطة دون الحاجة إلى الهجرة.

وقد وردت "صيغة النداء" مرة أخرى في هذا النص من رواية "نسكافيه"[(١)]، حيث ينادي وحيد سالم ربه حين أصابته حالة من الشرود نتيجة حزنه على تدهور الأحوال السياسية في العراق، فنجد الكاتب يمهد لاقتحام صيغة النداء مجرى السرد ، وذلك عن طريق السرد الخبري الذي يصف فيه الوضع السياسي السيء في بغداد :

---

(١) وردت "صيغة النداء" مؤدية لذات الغرض ، وذلك في رواية "قهوة سادة" (١٤٠) ، ورواية "كابتشينو" (ص٢٠٦)، ورواية " كل من عليها خان" (ص١٤٩)، ورواية "حتى يطمئن قلبي" (ًٍ٣٠٤).

" لمى.. قلبي على بغداد يطوف حزناً.. خدع الجيش صدام.. وباع الشيعة السنة.. وباع السنة الشيعة.. وخدع الأمريكان العرب.. وقالوا عند صدام أسلحة دمار شامل.. وضرب السنة الشيعة.. وضرب الشيعة السنة.. وضرب الأكراد العرب وضرب العرب الأكراد.. الدم يسيل.. يسيل في نهر دجلة. أين العراق؟ أين عراقى الغالى ؟؟ كنت أفر من حر الكويت إلى العراق أتحسس وجه الحضارة القديمة هناك .. وكان مثلي يفعل المثقفون الكويتيون هذا قبل غزو العراق للكويت.. العراق نفحة الروح حين تنكسر تلملمك تلملم شظايا الوجع.. العراق كان مع كل نبتة على أرضه مثقف وقارىء.. قالوا بيروت تطبع ومصر تكتب والعراق يقرأ.. كنت أمر على العراق ألملم روحى .. أين العراق الآن؟ بحر من الدماء نزف ولن توقفه إلا معجزة من السماء"(١).

كشف السرد الخبري عن الصراعات السياسية الناشبة في دولة العراق ، حيث النزاع الطائفي بين السنة والشيعة، والذي خلق العديد من المشكلات والخلافات بين عدة دول عربية، وكان سببًا في حرب العراق مع إيران، والتي عرفت باسم حرب الخليج الأولي.. وفيما أدت إليه من خسائر بشرية ومالية، فكل هذا التخريب الذي عصف بالعراق جعل وحيد

---

(١) رواية : نسكافيه ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩.

سالم يشعر بالحزن الشديد، حيث إنه على الرغم من كونه شاب مصري هاجر إلى الكويت – لعله يجد هناك من يقدره كصحفي، ويقدر حرية الفكر والقلم – إلا إنه لم يجد هناك التقدير والحفاوة اللتين كان ينتظهمان لذلك تعلق قلبه ببغداد، وكان يتردد عليها لزيارتها باستمرار ، وله ذكريات عديدة بها، لما وجد فيها من اهتمام بالقراءة والثقافة بشكل عام، فذلك الجو الثقافي يتناسب مع فكره وثقافته، فهي بالنسبة له وطن آخر يهرب إليه من ضجر وصخب الحياة، وفي الوقت ذاته يتمتع ويسعد بمناخها الثقافي ، ولكن الحرب قد جاءت ونزعت ودمرت كل ما هو جميل بها ، مما جعل وحيد سالم يشعر بالحزن والانكسار، فيلجأ حينئذ إلى مناشدة ربه ليشكو إليه حزنه وضعفه ، لذا نجد الكاتب هنا يعدل إلى الطلب "بصيغة النداء"، والتي جاءت مناسبة للموقف الذي يمر به وحيد سالم ، حيث يقول :

" إلهي ، إلهي العظيم ، إلهي الحنون، الرحمن الرحيم.... يا فاتنًا ، يا خالقًا، يا مبهرًا ... يا رحمة لي وللعالمين.. أين أجد وطنًا في أرضك الواسعة؟.. أين أجد قلبًا يتسع لنشيد عواطفي وأحاسيسي؟ .. أين أنا .. ومن أنا؟ .. وأين أغسل روحي المعذبة بالهوي والحرمان والشعر والجنون.. أين أجد أمة

الحق والحقيقة؟.. إلهي يا نورًا على نور، أجبني.. أجبني.. أجب عبدك المهزوم"[(١)].

لقد وظف الكاتب صيغة النداء هنا بغرض الاستغاثة، حيث يتوجه وحيد سالم بالنداء إلى ربه بعدة صيغ ، وهي "يا فاتنا"، و"يا خالقًا" ، و"يا مبهرًا" و"يا رحمة لي وللعالمين"، و"يانورًا" ، قاصدًا الاستغاثة به لمساندته في محنته، طامعًا في عطفه ورحمته ، وقدرته في أن يجد له في أرضه الواسعة وطنًا أمنًا يسوده السلامن أو أن يرسل له معجزة من السماء توقف نزيف الدماء الذي أصبح يسيل في العراقن ولا يستطيع أحد منالبشر إيقافه، فقد كشف نشدان المساندة عن معاناة وحيد سالم، وعمق تأثره وحزنه لفقد دولة العراق، وحزنه أيضًا على ما يحدث في الوطن العربي بأكمله، مما جعله يشعر أنه ليس له مكان يلجأ إليه ليحتمي به على وجه الأرض.

وقد عزز هذه المناشدة بصيغ طلبية أخري، هي: "صيغة الاستفهام" و"صيغة الأمر"، حيث وردت في النص صيغ استفهام متعددة (وهي: "أين العراق؟" و"أين عراقي الغالي؟" و"أين أجد وطنًا في أرضك الواسعة؟" و"أين أجد قلبًا يتسع لنشيد عواطفي وأحاسيسي؟" و"أين أنا.. ومن

---

(١) رواية نسكافية ، ص ٢٧٩.

أنا؟" و"أين أغسل روحى المعذبة بالهوي والحرمان والشعر والجنون؟" و"أين أجد أمة الحق والحقيقة؟") ليدل بها على حيرته ودهشته ، واستنكاره لحدوث تلك الحروب والنزاعات التي دمرت العراق ، وقضت على حضارتها القديمة وثقافتها. وأيضًا نجد وحيد سالم بمعناها الأصلي ، بل جاءت لتفيد معنى الدعاء ، حيث إنه يدعو ربه أن يجد إجابة على كافة التساؤلات التي شغلت ذهنه ، وحيرته كثيرًا ، لعله حينها يشعر بالراحة والاطمئنان النفسي.

فقد كشف التحول هذا من السرد الخبري إلى السرد الطلبي بانواعه المتعددة عن المشاعر الذاتية لبطل الرواية وحيد سالم، حيث تعلقه ببغداد، وحزنه الشديد عليها وعلى أهلها الذين دُمرت حياتهم، وفقدوا بلدهم وأبناءهم ، وأزواجهم بسبب الحرب ، مما جعله في حيرة من أمره لا يعرف ماذا يفعل لإنقاذها، فهو لا يستطيع أن يوقف هذه الحرب، ولا يجد من المسئولين – حوله – من يسعى لإيقافها.

المحور الخامس : التحول من السرد الخبري إلى صيغة الاستفهام

يعد أسلوب الاستفهام أحد أساليب الإنشاء الطلبى ، وأساسه " طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة"(١)، ولكنه قد يتجاوز عند توظيفه في مجرى النص السردي معناه

(١) عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص ٨٨.

الأصلي إلى معانٍ أخري يمكن فهمها من خلال سياق الكلام الذي وضعت فيه ، "أي أننا سنتوقع معنى إضافيًا للصيغة الاستفهامية يرتبط بالطبع بالموقف الشعوري المندرج تحت الأداء اللغوي"[1].

وقد اقتحمت صيغة الاستفهام مجرى السرد الخبري في روايات الكاتب ، لتفيد أغراضًا متعددة، فيرد الاستفهام بغرض مواجهة الشخصية لذاتها الحائرة، أو يرد بغرض مواجعة الشخصية لشخص آخر، ومن هنا يتعين هذا المحور فى ظاهرتين وهما "الاستفهام الذاتي" و"الاستفهام الغيري".

الظاهرة الأولى :الاستفهام الذاتى :

يتمثل هذا النوع من الاستفهام في سؤال الشخصية لذاتها في مجرى السرد الخبري ، حيث يدل ذلك على رفضها ودهشتها واستنكارها لكافة الأمور التي تحدث من حولهان مما يجعلها تتساءل عن مدي تحققها، كما يكشف السؤال الذاتي في بعض الأحيان عن مشاعر القلق التى تعيشها الشخصية السائلة.

ومن نماذج "الاستفهام الذاتي" في روايات الكاتب هذا النص من رواية "ليالي دبي: شاي أخضر"[2]، حيث تناول النص سرد حادثة في الطريق، تتعين في اصطدام أتوبيس نقل عام

---

(١) حسن البنداري (د) ، الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر ، ص٩١.

(٢) ورد "الاستفهام الذاتي" مرة أخرى فى رواية "نسكافيه" (١٥١ ، وص٢٤٣) ، ورواية "قهوة سادة" (٣٥٩) ، ورواية "ليلي دبي : شاي بالياسمين" (ص ١٤٢).

بسيارة شحن، وتأثير تفاصيل تلك الحادثة على بطل الرواية "فتحي رضوان" :

" فى الشارع ، فجأة اصطدم أتوبيس النقل العام بسيارة شحن بضاعة كبيرة، أصيب الركاب في سيارة النقل، وفر سائق سيارة الشحن الكبرى، حضرت الإسعاف، تجمع الناس، اتضح أن سيارة الشحن الكبري فراملها غير سليمة.. هكذا الحال في إدارة التراخيص في مصر، تذهب لتجديد رخصة السيارة، تدفع مبلغًا ، رشوة للعسكر المسئولين هناك وللمهندس، تحصل على صلاحية السيارة دون كشف ودون اهتمام بأرواح الناس في الشارع"(١).

ويظهر من خلال السرد الخبري التفاصيل الدقيقة للحادثة التي شاهدها كل من "فتحي رضوان" والممرضة "عفت" (إحدى شخوص الرواية) في أثناء سيرهما معًا في أحد شوارع الإسكندرية ، والذي اتضح من خلاله أن إهمال سائق سيارة الشحن في إصلاح سيارته هو السبب وراء فقد كل هذه الأرواح، ويرجع سبب إهماله هذا إلى قلة ضمير بعض المسئولين في إدارة التراخيص ، حث أعطوه رخصة بصلاحية السيارة مقابل مبلغ من المال دون معاينتها بدقة، مما جعل فتحي رضوان يشعر بالحزن والحسرة داخل نفسه على

---

(١) رواية "ليالي دبي : شاي أخضر" ، ص ٣١٤.

الأرواح التي راحت ضحية الإهمال وقلة الضمير وفي ذات الوقت لا يستطيع التنفيس عن تلك المشاعر ، لذلك نجده يخرج شحنة الضيق الجاثمة على صدره عن طريق طرح عدة تساؤلات احتجاجية على نفسه :

" من يهتم بأرواح الناس في مصر؟ ومن يهتم بمن؟ حالة الفساد تسري في كل شيء .. مصر الفساد دولة"(١).

لقد ترك الكاتب السرد الخبري ، وتحول إلى "الصيغة الاستفهامية الذاتية"، عن طريق التساؤلات التي طرحها فتحي رضوان على ذاته، والتي دلت على مدى حزنهن واستنكاره للإهمال الذي يحدث في بلده ويؤدي إلى إزهق العديد من الأرواح التي من المفترض أن يكون الحفاظ عليها من أهم الأولويات التي يسعي إليها المسئولون داخل الدولة، ولكن تلكا لحادثة وغيرها من الحوادث الكثيرة التي تتعلق بفساد الضمير الإنساني ، وانعدام الرقابة الحكومية، قد أثبتت لفتحي رضوان عكس ذلك، فهو لا يسأل نفسه بهدف الوصول إلى إجابات تخلصه من حيرته، بل كان الغرض وراء تلك الأسئلة هو إظهار الاحتجاج النفسي، مما جعله يكرر السؤال مرتين: "من يهتم بأرواح الناس في مصر؟ من يتهم بمن؟" ، وهذا ليدلل على رفضه التام للأوضاع الخاطئة ، والفساد الموجود في

(١) رواية "ليالي دبي : شاى أخضر " ص ٣١٤.

مصر، وأداة الاستفهام هنا في السؤالين "من"، حيث يسأل عن الجهة المسئولة عن حماية تلك الأرواح ، وكأن هذه الجهة المستفهم عنه غير موجودة على أرض الواقع، حيث إنها من شدة تقصيرها في حق المواطنين أصبحت تشبه العدم بالنسبة لهم، لا وجود لها في حياتهم.

وهكذا فقد صورت الصيغة الاستفهامية مشاعر الرفض والاستنكار والاحتجاج التي تملكت البطل عقب مشاهدة ذلك الحادث ، ممزوجة بمشاعر الحزن والأسى على الضحايا الذين فارقوا الحياةأمام عينيه بسبب الإهمال والرشوة، وقلة الضمير.

وقد ورد بعد الصغية الاستفهامية سرد خبري آخر، "حالة الفساد تسري في كل شيء .. مصر الفساد دولة"[١] يظهر منخلاله ما استنتجه "فتحي رضوان" من أسباب تلك الحادثة، وهو أن الفساد الذي أصبح متوغلاً في كل شيء في مصر وهو اليد الخفية وراء هذا الواقع القبيح الذي يعيشه المصريون، من انتشار الأمراض واستغلال بعضهم البعض، والرشوة ، وقتل بعضهم البعض، وغيرها من صور الفساد التي أدت إلى اختفاء كل ما هو جميل من حياتهم.

---

(١) رواية "ليالي دبي : شاى أخضر " ص ٣١٤.

الظاهرة الثانية : الاستفهام الغيري :

يقصد به الاستفهام الذي توجهه الشخصية إلى شخص بعينه في مجرى النص الخبري، فى أثناء الحوار المتبادل بينهمان وذلك لأغراض فنية تتجاوز وظيفة الاستفهام الأساسية ، حيث عدد البلاغيون القدامى والمحدثون هذه "الأغراض"، وما تحتوية من إيحاءات تؤثر في المتلقي، وتعطي عمقًا دلاليًا للنص. ومن الأغراض الفنية التي تحققت وتكررت في الصيغ الاستفهامية التي وظفها الكاتب داخل رواياته ، التعجب والدهشة ، والتهديد، والاستنكار، وغيرها.

على سبيل المثال نجد لكاتب يوظف "الاستفهام التعجبي" في هذا النص من رواية " مسافرون بلا هوية"[١]، ليدل به على مشاعر الدهشة التي تمر بها الشخصية نتيجة جهلها بأسباب التحولات السياسية التي تحدث في مصر، لذلك ضم النص عدة أسئلة تعجبية في أثناء حوار متبادل بين "إبراهيم عمار" بطل الرواية وبين أصدقائه الذين يسكنون معه في الحجرة الضيقة التي يسكن بها في الكويت، حيث يدور النص حول المظاهرات الشديدة التي قامت في مصر بسبب الغلاء :

---

(١) ومن الأغراض الفنية "إفادة معنى الإثبات أو التسوية أو الإنكار أو التقرير أو التمني أو التحقير أو التعجب أو التهكم" ، أنظر : حسن البنداري (د) ، أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٦م، ص ٨٠ : ٨٩، وأيضًا عبد العزيز العتيق ، علم المعاني، ص ٩٥ : ١٠٩.

" فى الحجرة التف عشرون عاملاً حول المذياع، وحول إبراهيم عمار، وفي عين كل منهم دهشة مطمئنة ، والمذياع يتحدث باللغة العربية الفحصي، اللغة لا يفهمها "أحد" ، وبعد أن انتهت المذيعة من إذاعة الأنباء : نظروا له جميعًا وقالوا : ماذا حدث في مصر يا أستاذ؟ .. سقطت دمعتان من وجهه، دمعة على الحرائق في مصر، ودمعة على نيران الوحدة.. قالوا وهم يدغدغون الدهشة : هل مصر احترقت كلها ؟ هل بقي في الوطن شيء ؟ لماذا قامت المظاهرات؟ الغلاء هو السبب، يقولون إنهم حرقوا شارع الهرم وكل الكباريهات، إنهم الإخوان المسلمون، إنهم الشيوعيون ، إنهم كل الناس ، إنهم المصريون"(١).

يبدأ النص بسرد يصف حالة الدهشة التي أصابت إبراهيم عمار وأصدقاءه في الغرفة عقب سماعهم نبأ المظاهرات الشديد التي قامت في مصر، والحرائق التي نشبت في بعض شوارعها ، بسبب الغلاء الشديد الذي يعاني منه المصريون ، حيث التفوا جميعهم حول المذياع لسماع نشرة الأخبار، ومعرفة تفاصيل ما يحدث في مصر، وآخر التطورات التي وصلت إليها الأوضاع السياسية هناك.

---

(١) مسافرون بلا هوية ، ص ١٠ ، ١١.

حينئذ نجد الكاتب يقطع السرد الخبري ، ويتحول إلى الصيغة الاستفهامية التعجبية، وذلك عن طريق السؤال الذي وجهه العمال في الغرفة إلى إبراهيم عمار بعد انتهاء المذيعة من إذاعة الخبر ، والذي دل على تعجبهم لما يحدث في مصر، على الرغم من أنهم لم يفهموا اللغة التي أذيع بها الخبر ، وذلك جعلهم غير ملمين بتفاصيل الحدث الذي سمعوه ، فنجدهم يسألون إبراهيم عمار في تعجب : "ماذا حدث فى مصر يا أستاذ ؟" .. فقد دل السؤال على شدة دهشتهم وتعجبهم، إلى درجة جعلتهم لا يصدقون ما يحدث، ويريدون معرفة حقيقة الوضع في مصر من إبراهيم عمار، عن طريق ذلك السؤال الذي يطلبون منخلاله أن يفسر لهم تفاصيل ما سمعوه.

وهنا نجد أن الكاتب يعود مرة أخرى إلى السرد الخبري ، ليصف حالة الحزن العارمة التي سيطرت على إبراهيم عمار عقب انتهاء المذيعة من إذاعة الأنباء ، تلك الحالة جعلته لا يستطيع الإجابة على السؤال الذي وجه له : " سقطت دمعتان من وجهه، دمعة على الحرائق في مصر، ودمعة على نيران الوحدة.."(١) . تلك الصدمة جعلته لم يستطع التحكم فى ذاته، وبدأت عيناه تذرف الدموع خوفًا على وطنه، وحزناً على

(١) مسافرون بلا هوية ، ص ١٠ ، ١١.

تدهور الأوضاع السياسية يه، ولكن على الرغم من دموعه، ومن ملامح الحزن الشديد التي ظهرت على وجهه حينها، إلا أن أصدقاءه لم يتوقفوا عن توجيه الأسئلة له ، فنجدهم من شدة دهشتهم وجهلهم بأسباب ما يحدث في مصر يتوجهون إليه بعدة أسئلة أخرى:

" قالوا وهم يدغدغون الدهشة : هل مصر احترقت كلها ؟ هل بقي في الوطن شيء ؟ لماذا قامت المظاهرات؟" (١)

فهذا السيل من الأسئلة نتيجة طبيعة لحالة التعجب والدهشة الشديدة التي يمرون بها، مما جعل ألسنتهم تطلق الأسئلة سؤالاً تلو الآخر في سرعة كبيرة ، دون انتظار الإجابة عليها، فهم يريدون معرفة تفاصيل ما يحدث في مصر بأقصى سرعة، ليتخلصوا من حالة الحيرة والتعجب، وذلك جعلهم يجيبون على أنفسهم، ويتوقعون الأسباب وراء تلك المظاهرات ومن قام بهذه الحرائق بنفس السرعة، فنجدهم يقولون: " الغلاء هو السبب، يقولون إنهم حرقوا شارع الهرم وكل الكباريهات، إنهم الإخوان المسلمون، إنهم الشيوعيون ، إنهم كل الناس ، إنهم المصريون"(٢). تلك الإجابات كانت بمثابة تكهنات أو تفسيرات شخصية ليس لها دليل مادي يثبت صحتها، بل

---

(١) السابق ، ص ١٠ ، ١١.
(٢) السابق ، ص ١٠ ، ١١.

وردت في أذهانهم بناءً على الوضع السياسي الذي كانت تمر به مصر حينها، حيث الصراع بين الحكومة وبين بعض الأحزاب السياسية.

ونجد أن الاستفهام التعجبي الذي وظفه الكاتب في مجرى السرد الخبري قد جاء ملخصًا لحالة الدهشة والتعجب التي سيطرت على إبراهيم عمار وأصدقائه الذين يسكنون معه في نفس الغرفة، كما كشف المزج بين السرد الخبري والسرد الطلبي بصروته الاستفهامية عن الحالة الوجدانية التي تمر بها الشخصية في أثناء الحوار، حيث انتابت إبراهيم عمار حالة من الدهشة نتيجة ما سمعه في المذياع، ممزوجة بحزن وألم على وطنه الذي يحرق.

وثمة تدخل آخر للصيغة الاستفهامية التعجبية في مجرى السرد الخبري، وذلك في هذا النص من رواية "كل من عليها خان" الذي يدور في إطار حوار دار بين "فتحي رضوان" بطل الرواية، وبين أحد المحاضرين في منظمة الشباب الاشتراكي بحلوان:

" فى عام ١٩٦٥ كنا فى المرحلة الثانية لأعداد القادة في حلوان فى منظمة الشباب الاشتراكي قلت للمحاضر:

- كيف سنحارب اسرائيل ونحن لا نعرف.. ماذا يكتبون ماذا يقرؤون ماهى أفلامهم ما هي روايتهم ؟

- يعنى إيه؟
- العدو الذى تجهله يهزمك.

ارتجت الخيمة وفى الساعة ١٠ مساء من نفس الليلة اقيمت محكمة تنظيمية.. جلس ثلاثة من قيادات المنظمة الكبار وجلست امامهم فى خيمة . قال الأول : هل تشك فى قدرات الجيش المصرى ؟ قلت لا.. قال الثانى هل تشك فى المخابرات المصرية؟ قلت: لا.. قال الثالث هل تشك فى أن مصر ستهزم اسرائيل فى دقائق.. فأبتسمت... وبسبب الابتسامة كانت ليلة سوداء سألونى عن كل الكتب التى قرأتها وعن أصحابى وعن رأى فى عبد الناصر.. استمر اللقاء حتى الساعة ٢ بعد منتصف الليل وقرروا إيقافى عن العمل السياسى أي تجميد عضويتى ستة اشهر.. بعدها بعام جاءت النكسة"(١).

يبدأ النص بسرد خبري يتذكر فيه فتحي رضوان (بطل الرواية) أيام تدريبه في منظمة الشباب بحلوان ، وبخاصة في المرحلة الثانية لإعداد القادة، والتي كانت عام ١٩٦٥م ، أي قبل النكسة بعام واحد، حينها تذكر السؤال الذي طرحه على المحاضر وقتئذا والذي دل على تعجبه من خوص الحرب مع إسرائيل دون معرفتهم جيدًا فنجده يقول :

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ٩٠.

- " كيف سنحارب اسرائيل ونحن لا نعرف.. ماذا يكتبون ماذا يقرؤون ماهى أفلامهم ما هي روايتهم ؟
- يعنى إيه؟
- العدو الذى تجهله يهزمك."[١].

نجد الكاتب قد تحول من الصيغة الخبرية إلى الصيغة الاستفهامية ، بذلك السؤال التعجبي، حيث يتعجب فتحي رضوان من رغبة المصريين في خوض الحرب ضد إسرائيل ، وهزيمتها، وهم يجهلون ذلك العدو، ولا يعرفون لغته ولا ثقافته، مما يجعلهم لا يستطيعون الوصول إلى طريقة تفكيره، فهو يرى أن الجهل بقدرات العدو الثقافية هو أول خطوات الهزيمة، لذلك يتعجب من أن القادة في المنظمة يهتمون بتدريبهم على استخدام السلاح، ومراوغة العدو، وغيرها من المهارات العسكرية التي هي من وجهة نظرهم الشيء الضروري للانتصار في تلك المعركة ، وينسون دراسة ذلك العدو من الناحية الثقافية ، لمعرفة مواطن القوة والضعف لديه.

ونلحظ أن السؤال التعجبي الذي أطلقه فتحي رضوان داخل المحاضر، ليس الغرض منه التعجب فحسب ، بل كان أيضًا

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ٩٠.

بمثابة لفت انتباه للقادة، وتذكيرهم بتلك النقطة التي من الممكن أن تكون غائبة عن أذهانهم وهنا يقطع الكاتب السرد الطلبي ويتحول إلى السرد الخبري، ليوضح نتيجة السؤال الذي طرحه فتحي رضوان داخل المحاضرة:

" ارتجت الخيمة وفى الساعة ١٠ مساء من نفس الليلة اقيمت محكمة تنظيمية.. جلس ثلاثة من قيادات المنظمة الكبار وجلست امامهم فى خيمة"(١).

يتضح من النص الخبري عدم اكتراث أو اهتمام القادة بالرأي الذي طرحه فتحي رضوان على المحاضر، بل على العكس من ذلك قام قادة منظمة الشباب باتخاذ إجراءات ضده، وإقامة محكمة تنظيمية لمحاسبته على آرائه، حيث إنهم اعتبروها بمثابة إهانة لتفكير الجيش المصري، وتشكيكًا في قدرات المخابرات المصرية، وتقليلًا من قدرتهم على هزيمة إسرائيل، وقد اتضح ذلك من خلال الأسئلة التي وجهتها قيادات المنظمة إلى فتحي رضوان في أثناء الحوار الذي دار بينهم داخل المحكمة التنظيمية ، والتى عن طريقها عاد الكاتب مرة أخرى إلى السرد الطلبي، وقد جاء الأسئلة على النحو التالي:

" قال الأول : هل تشك فى قدرات الجيش المصرى ؟ قلت لا.. قال الثانى : هل تشك فى المخابرات المصرية؟ قلت: لا..

---

(١) السابق ، ص ٩٠.

قال الثالث : هل تشك فى أن مصر ستهزم اسرائيل فى دقائق.. فأبتسمت... وبسبب الابتسامة كانت ليلة سوداء"[١].

يبدو من النص الطلبي أن الصيغة الاستفهامية هنا قد أفادت معني التهديد، حيث جاءت الأسئلة بصورة تهديدية لفتحي رضوان، وذلك لإخراج كافة الأفكار التي تدور داخل ذهنه تجاه الجيش والمخابرات المصرية، فنجد أن الاستفهام التهديدي قد عكس مقدار الغضب الذي شعر به قادة المنظمة تجاهه نتيجة ما قاله داخل المحاضرة، كما كشف عن الطريقة التعسفية التى يتعامل بها قادة المنظمة الشباب المنتمين إليها – حيث يتم تدريبهم داخلها – عندما يبوحون بوجهة نظرهم السياسية.

وقد اتضحت هذه الطريقة التعسفية أيضًا من خلال السرد الخبري الذي أنهي به الكاتب نصه الروائي، والذي ظهر من خلاله نتيجة المحكمة التنظيمية التي عقدت لمحاكمة فتحي رضوان : "سألوني عن كل الكتب التي قرأتها وعن أصحابي وعن رأيي في عبد الناصر، استمر اللقاء حتى الساعة ٢ بعد منتصف الليل، وقرروا إيقافي عن العمل السياسي، أى تجميد عضويتى ستة أشهر، بعدها بعام جاءت النكسة"[٢].

---

(١) رواية : كل من عليها خان ، ص ٩٠.
(٢) رواية : كل من عليها خان ، ص ٩٠.

لقد كشف النص الخبري عن العقاب الشديد الذي ناله فتحي رضوان نتيجة السؤال الذي طرحه في منظمة الشباب الاشتراكي ، حيث انتهى به الأمر بعد التحقيق معه إلى إيقافه عن العمل السياسي، وتجميد عضويته بالمنظمة لمدة ستة أشهر ، كما كشف عن بعض جوانب شخصية فتحي رضوان ، حيث إن لديه بعد نظر في الأمور التي تتعلق بالسياسة ، ويتضح ذلك من خلال تنبؤه بالهزيمة أمام إسرائيل، فنجد أن ذلك التنبؤ كان قائمًا على التفكير المنطقي الذي يمتلكه، والذي ظهر في المحاضرة داخل منظمة الشباب، حينما قال : " العدو الذي تجهله يهزمك" . وبالفعل بعد عام من تلك المحاضرة تحقق ما كان يخشاه ، وحدثت النكسة المريرة ، رغم محاولته لفت انتباه القادة إلى دراسة العدو جيدًا ، ولكنهم لم يستمعوا له، بالإضافة إلى أنهم قاموا بتوقيع العقاب عليه.

وقد كشف التحول هنا من الصيغة الخبرية إلى الصيغة الطلبية والعكس، عن أهم الأسباب التي أدت إلى نكسة ٦٧، ألا وهي قلة الوعي الثقافي، وأيضًا أثبت النص الروائي أن الثقافة من أهم الأسلحة التي تستطيع أى دولة من خلالها هزيمة أي عدو يحاول النيل منها، كما أن التحول من صيغة إلى أخري بشكل تبادلي قد أعطي القارئ فرصة التفاعل مع النص الروائي، بالتفكير فيما قاله فتحى رضوان داخل المحاضرة، وتوقع درة

فعل القادة تجاهه، واستنتاج أن بطل الرواية كان على صواب بعدما تحققت الهزيمة التي كان يتوقعها.

وبالنظر إلى النصوص الروائية التي برزت من خلالها ظاهرة التحول، نجد أن الكاتب قد وظف تلك الظاهرة بأشكالها المختلفة داخل رواياته، فبادل بين صيغ الأفعال والأزمنة المختلفة، وكذلك بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية بصورها المتعددة، وذلك للكشف عن المشاعر المضطربة ، والخوالج والخبايا التي تدور في نفوس الشخصيات الروائية من حيرة وتوتر، وأمنيات، ويأس وغيرها.

وكذلك ساعدت هذه الوسيلة الفنية على إعطاء مرونة وحيوية للنص الروائي ، حيث إن الانتقال من صيغة إلى أخري ، أو من أسلوب إلى آخر، يعد "بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صروة فنية متميزة"(١)، ومن ثم قد لجأ الكاتب إلى تلك التقنية الفنية لإيقاذ القارئ، ودفع السألم الذي من الممكن أني يتولد داخل نفسه، نتيجة الاستمرار على أسلوب موحد في سرد الحدث الروائى.

---

(١) محمد عبد المطلب (د) ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤م، ص ٢٧١ ، ٢٧٢.

الفصل الثالث

بلاغة الإزاحة

الفصل الثالث

بلاغة الإزاحة

التمهيد :

تعدد التقنيات السردية الفنية والبلاغية التي يوظفها الكاتب داخل رواياته، للتعبير عن الرؤى والأفكار المختلفة بصورة فنية يسعد بها القارئ، ومن أبرز تلك التقنيات في الرواية العربية تقنية "الحلم"، باعتبارها نوعًا من التجديد في الأدب بشكل عام، سواء في الفن القصصي، أم الروائي ، وذلك لارتباطها بالتحولات السياسية والاجتماعية الطارئة على المجتمع، كما أن الأحلام تعد أحد النوافذ التي يتمرد من خلالها الإنسان على الواقع المعيش ، ويتطلع إلى مستقبل أفضل يريد الوصول إليه ، لذلك تعد الإزاحة من أهم وظائف الحلم البلاغية داخل الرواية المعاصرة ، وهي تعني أن الحلم "يمتلك قوة قادرة على إزاحة هموم الواقع الرديء الذي عاشته الشخصية الفنية قبل النوم، وهذا الواقع يشكل ضغطًا علي كاهل الضخية ، وفي داخلها ، ولذلك تجب إزاحته"(١).

وبالنظر إلى مفهوم الحلم لغويًا نجده معبرًا عن الرؤيا المنامية: " حلم : الحُلْمُ والحُلُم: الرؤيا ، والجمعأ َحلام، وحَلَّمَ

---

(١) حسن البندارى (د) ، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ ، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٧م، ص ١٥.

به وحَلَّ مَ عنه وتَحَلَّمَ عنه: رأى له رُؤيا او رآه في المنام، والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح"[١]. ومن هنا يتضح لنا أن الحلم هو "تعبير عن أي نشاط نفسي روحي في حلة النوم، وله معناه ومدلوله"[٢]. وهذا التعريف يتفق مع نظرة علماء النفس للحلم، وتفسيرهم لطبيعته، حيث يرى سيجموند فرويد أن الأحلام "لون من النشاط النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها في نومه"[٣] ، كما يقول " إن الحلم يتناول بعض الأحداث التي تبقت من نشاطنا اليومي، فيستخدمها كما يستخدم عامل المطبعة الحروف المتناثرة ليؤلف منها وحدة متكاملة، وليس من الضرورى أن يتم هذا التأليف أثناء النوم ، بل ليس ما يمنع أن يكون هناك تيار فيما قبل الشعور لا نعيه أثناء اليقظة ، يجمع تلك الشتات ، ويداول بينها ، حتى إذا حانت ساعة النوم بدأ العرض السحري"[٤].

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦٢ ، ص ١٤٥.
(٢) إريش فروم، الحكايات والأساطير والأحلام، ت / صلاح حان، دار الحوار ، سوريا، ط١، ١٩٩٠م. ص ٢٨.
(٣) سيجموند فرويد ، تفسير الأحلام ، تبسيط وتلخيص ،/ نظمي لوقا (د) ، دار الهلال، ط١، ١٩٦٢م، ص ١٣.
(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٣.

أما عن وظائف الحلم في الرواية ، فنجد أنه في كثير من الأحيان يعد الحلم تكنيكًا يمكن من خلاله الكشف عما يعتمل في نفوس الشخصيات الروائية منمشاعر سلبية، مثل إحساسهم بالقهر، والألم، والانكسار ، والتمرد، نتيجة تمزق الواقع السياسي والاجتماعي المحيط بهم، كما ينبئ أيضًا في بعض الأحيان عن بعض المشاعر الإيجابية، من التمسك بالأمل، والبحث عن مستقبل أفضل، لذلك يعده النقاد "وسيلة تنفيسية لإزاحة الواقع المعين للشخصيات الفنية"[١]، كما يتخذه بعض الأدباء قناعًا يعبرون من خلاله عن أفكارهم ، ومواقفهم، وتصوراتهم حول القضايا المتعلقة بالسياسة، والسلطة، والتقاليد الاجتماعية الموروثة، وذلك لأن الأحلام تعتمد في لغتها على صيغ فنية إيحائية ورمزية يمكن التعبير منخلالها عما لا تستطيع التصريح به، على عكس لغة السرد العادية، التي تعد لغة تقريرية مباشرة، كما أن الأحلام من الناحية الفنية تسهم في تحويل مجري السرد الروائي ، وتزيد من عمقه الدلالي.

وبما أن "النوم واليقظة قطبا الوجود الإنساني"[٢]، لذلك نجد الكاتب السيد حافظ قد عمد إلى استخدام الحلم في رواياته،

---

(١) حسن البندارى (د)، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ ، ص ٧.
(٢) إريش فرومن الحكايات والأساطير والأحلام ، ص ٣٠.

خاصة حلم المنام الذي ظهر بشكل واضح في رواياته، بخلاف حلم اليقظة الذي قل ظهوره، لذلك ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

١- المبحث الأول : بلاغة الإزاحة بحلم المنام.

٢- المبحث الثاني: بلاغة الإزاحة بحلم اليقظة.

المبحث الأول
بلاغة الإزاحة بحلم المنام

يتكون الحلم المنامي قي أثناء انتقال الضخية من وعيها اليقظ إلى منطقة اللاوعي، تلك المنطقة التي تتداعى فيها الأفكار والصور المختلفة والذكريات في ذن الشخصية الحالمة في أثناء نومها ، كما تتداعي العديد من الأحاسيس والمشاعر، والرموز المختلفة التي يصعب على الحالم تفسير معناها أو المغزى منها – في بعض الأحيان – لما تملكه هذه الرموز مندلالات عدة، متعلقة بالذات الداخلية و الخارجية للشخصية الحالمة ، كما أن هذه الرموز تكون في معظم الحيان عبارة عن خيالات ربما يتذكرها الحالم عند الاستيقاظ أو ينساها ، حيث إن الشخصية الحالمة "تحلم أثناء النوم بحادثة أو موقف أو موضوع أو إنسان ما ، فتشعر الشخصية النائمة بحالات الإحباط والحزن والتعاسة والألم، وبحالات الأمل والسعادة والفرح، وتظهر علامات هه الحالات بنوعيها على وجه الشخصية، وتبدو في ملامحها عقب الاستيقاظ من النوم، وربما تنساها الشخصية بعد لحظات، وربما تبقى في ذاكرتها بعض الوقت ، أو تبقى بها الشعور والأعوام"[١].

---

(١) حسن البندارى (د)، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ ، ص ١٤.

وبالنظر إلى وظيفةالحلم المنامي البلاغية داخل العمل الأدبي – سواء أكان رواية أم قصة – نجده عبارة عن "مظهر فني لانحراف مؤقت للسرد الوصفي لمنطقة الوعي، إلى منطقة اللاوعي، للكشف عما يزخر بها من تداعيات دالة على انبساط باطن الشخصية وانقباضه أثناء الحلم"(١).

وقد وظف الكاتب السيد حافظ الحلم المنامي في رواياته للتعبير عن العديد من القضايا والأفكار، والمضامين السياسية التي ناقشها داخل رواياته، والتي يتضح من خلالها رغبته في التخلص من واقع اجتماعي وسياسية أليم عاشته مصر والمة العربية بشكل عام، وحلمه بمستقبل أفضل لوطنه، ذلك استعان الكاتب بتقنية الحلم، لأن الحلم يمثل "خاصية الإزاحة"، بمعني إبعاد واقع رديء تأباه الشخصية، وتود التحرر من سطوته، والتخلص من وطأته"(٢)، حيث نجد أن الكاتب قد استغل هذه القوة الإزاحية للتعبير عن رغبات الشخصيات الحالمة داخل رواياته، وبناء على لك يتكون هذا المبحث من محورين :

- المحور الأول : إزاحة الواقع بحلم خاضع لرغبة في الاستبدال.

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠.
(٢) حسن البندارى (د)، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ ، ص ٢٠.

- المحور الثاني : إزاحة الوقع بحلم راغب في تخليص المجتمع من بعض الظواهر الفاسدة.

المحور الأول : إزاحة الواقع بحلم خاضع لرغبة في الاستبدال.

لقد وظف الكاتب الحلم داخل رواياته بغرض إزاحة واقع سيء ، يريد التخلص منه واستبداله ، والتطلع لعالم يبغي أن يعيشه ويحقق فيه ما لم يستطع تحقيقه في الماضي، كما نجده في بعض الأحيان بهدف عن طريق الحلم إلى إزاحة زمن آني، واستبداله بزمن ماضٍ ، للكشف عن فترة تاريخية كانت أفضل من الواقع المعيش، لذلك نجد أن إزاحة عن طريق الاستبدال قد جاءت في الروايات على مستويين:

أولًا : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة في استبدال واقع بآخر.

ثانياً : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة في استبدال زمن بزمن.

أولاً : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة في استبدال واقع بآخر

عندما تتداعى كوابيس الواقع على الإنسان، نجده يهرب إلى الحلم، لذلك لجأ الكاتب إلى الحلم المنامي في رواياته، للتعير عن هروب شخصيات روايات من واقعهم الرديء ، وبناء واقع جديد في أحلامهم ، فيربط بذلك بين عالمي الشخصية الداخلي والخارجي، وقد زهر حلم المنام في رواية "ليالي

دبي: شاي بالياسمين"، عندما استغرق "فتحي رضوان" في النوم، وحلم بالرئيس السابق "جمال عبد الناصر" :
" أما الصديق المخرج محمود أبو العباس قابلني بترحاب، ودعاني على عشاء فاخر في دبي.. دبي مدينة الخيال والهروب من الأحزان وقال:

- عيوني فتحي سأجد لك عملًا فورًا فى قناة عراقية ، وسأجد لك عملًا في مركز الطفولة لمسرح الطفل...

وعدني بايجاد عمل فورًا غدًا ، وأخذ رقمي ، ثم هرب.
لا يرد على هاتفي.. لا يتصل بي.. نمت حزينًا فى الشارقة، في غرفة يسكنها خمسة أفراد من جنسيات عربية مختلفة.. لو أن أحد سألني في تلك الأيام، ما أعز أمانيك؟ لقلت له على الفور: أن أسمع مصريا يقول كلمة إنصاف في حق مصري آخر. وأن أحس أن مصريا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لإخوانه المصريين. وأن أرى مصريا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصري آخر، وألا أرى هناك بعد ذلك أنانية فردية مستحكمة ... كانت كلمة "أنا" على كل لسان... كانت هي الحل لكل مشكلة، وهي الدواء لكل داء، وكثيرا ما كنت أقابل كبراء- أو هكذا تسميهم الصحف - من كل الاتجاهات والألوان، وكنت أسأل الواحد منهم عن مشكلة ألتمس عنده حلالها، فلم أكن أسمع إلا "أنا".. مشاكل الاقتصاد "هو" وحده يفهمها،

أما الباقون جميعاً فهم فى العلم أطفال يحبون.. ومشاكل السياسة "هو" وحده الخبير، أما الباقون جميعاً فمازالوا في" ألف باء" لم يتقدموا بعدها حرفاً واحداً. أذكر مرة كنت أزور فيها إحدى الجامعات ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء. وتكلم أمامي منهم كثيرون.. وتكلموا طويلًا.. ومن سوء الحظ أن أحدًا منهم لم يقدم لي أفكارًا، وإنما كل واحد منهم لم يزد على أن قدم لي نفسه، وكفاياته الخلقية وحدها تعمل المعجزات، ورمقني كل واحد منهم بنظرة الذي يؤثرني على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود!. وأذكر أني لم أتمالك نفسي فقمت بعدها أقول لهم: "إن كل فرد منا يستطيع في مكانه أن يصنع المعجزات، إن واجبه الأول أن يعطى كل جهده لعمله، ولو أنكم كأساتذة جامعات فكرتم في طلبتكم وجعلتموهم - كما يجب - عملكم الأساسي، لاستطعتم أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن إن كل واحد منا يجب أن يبقى في مكانه ويبذل فيه كل جهده"(١).

هنا يصف الكاتب في النصر الروائي المعاناة التي شعر بها فتحي رضوان في رحلة بحثه عن وظيفة مناسبة له في دبي، وكان من أهم أسباب تلك المعاناة هو تخلي صديقه عنه بعد وعده له بأنه سوف يوفر له عملاً في أحدي القنوات العراقية،

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين، ص ١٥٤.

كما تخلي عنه أيضًا جميع الناس الذين كان يعرفهم هناك، مما سبب له في أزمة نفسية ، حيث شعر بالخزن الشديد والحسرة على أحلامه التي انطفأت بأيدي أصدقائه ، وأدرك حينها أن سبب ذلك التخلي ، هو أن كلاً منهم لا يفكر إلا في ذاته، ومصلحته الشخصية فحسب، فكل هذا الحزن والغضب الذي شعر بهما تجاه الواقع المحيط به حُزن في ذاكرته، أو وعيه الداخلي ، مما جعله يحلم بواقع جديد يود أن يراه في الحقيقة ويعيشه، واقع مليء بالحب بين الناس ، بعيدًا عن الأنانية الفردية التي أصبحت آفة منتشرة في المجتمع المصري.

وقد جاء هذا الواقع الجديد في صورة حلم منامي ، رأي فيه "فتحي رضوان" الرئيس السابق "جمال عبد الناصر" حزينًا، وأن يرى الحب والتسامح والغفران واحترام الرأي الآخر، خصالًا يتحلى بها المصريون، فكل هذه السمات لو أصبحت سائدة في المجتمع سيتمكن المصريون من بناء وطن قوي ، قدر على مواجهة المصاعب والأزمات التي يمر بها.

وهكذا فقد جسد الحلم سمات الواقع الجديد الذي يريده فتحي رضوان ، والتي لو وجدت في واقعه المعاش ما اضطر لأن يترك وطنه وأهله ويشعر بكل هذا الحزن والذل اللذين واجهاه في غربته، فحلم البطل في النص السدي ليس إلا صدى لرغبته

الشديدة في إزاحة واقع أليم عانى منه كثيرًا ، وذلك لإحلال واقع آخر جديد خالٍ من جميع الآفات .

وقد ظهر حلم المنام في الرواية نفسها (ليالي دبي : شاي بالياسمين) عن طريق شخصية "فتحي رضوان" وحلمه مرة أخرى بالرئيس السابق "جمال عبد الناصر " ، كما نرى في النص الآتى :

" كل من حولي ألوان من الفساد والحسد والغيرة والضلال... نزلت إلى الشارع. أخذتها ونزلنا ، نظرت تهاني في عيني، وجدتها حمراء ، وكنت أقود السيارة وأقاوم البكاء، قالت :

- ما بك؟
- أنا بدون مصر هشيم ، ومصر بالنسبة لى هشيم وجحيم.

بكت تهاني لبكائي .. قالت :

- لم أعرف عندما تزوجتك أن بداخلك كل هذا العذاب والألم من أجل مصر؟
- وبداخلي أمل أيضًا .. لماذا تبكين يا زوجتي؟
- أريد أن أساعدك أن أجعلك سعيدًا ..
- أحاول كل لحظة أن أقاوم .. وأشد اللون الأبيض من أعماقي .. أرجوكِ يا تهاني ساعديني..

سرنا على كورنيش البحيرة في الشارقة، الخليج حزين، ذهبت إلى البيت ونمت. جاءني عبد الناصر في المنام، وجلس معى

على المقهي، وقال لى : أرواحنا مازالت تعيش في آثار القرن الثالث عشر، وإن سارت في نواحيها المختلفة سلوك القرن التاسع عشر.. وأكمل عبد الناصر: كانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة القرن التاسع عشر.. وأكمل عبد الناصر: كانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التي تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد، وكان الشوط ماضيًا والسباق مروعًا مخيفًا ، وما من شك في أن هذا الحال هو المسئول عن عدم وجود رأي عام متحد قوي في البلاد، فإن الفارق بين الفرد والفرد كبير، والفارق بين الجيل والجيل شاسع. ولقد جاء عليَّ وقت كنت أشكو فيه من أن الناس لا يعرفون ماذا يريدون ، وأن اجتماعهم لا ينعقد على طريق واحد يسيرون فيه، ثم أدركت بعدها أنني أطلب المستحيل، وأنني أسقط من حسابي ظروف مجتمعنا . غننا نهيش في مجتمع لم يتبلور بعد، ومازال يفوز ويتحرك، ولم يهدأ حتى الآن، أو يتخذ وضعه المستقر، ويواصل تطوره التدريجي بعد مع باقي الشعوب التى سبقتنا على الطريق .. وأنا أنظر أحيانًا إلى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التي تعيش في العاصمة. الأب مثلًا فلاح معمم من صميم الريف، والأم سيدة منحدرة من أصل تركي، وأبناء الأسرة في مدارس على النظام الإنكليزي، وفتياتها في مدارس على النظام الفرنس، كل هذا بين روح

الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين. أنظر إلى كل هذا وأحس في أعماقي بفهم للحيرة التي نقاسيها ، والتخبط الذي فترسنان ثم أقول لنفسى: سوف يتبلور هذا المجتمع، وسوف يتماسك، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة، إنما ينبغي أن نشد أعصابنا ونتحمل فترة الانتقالن تلك إذا هى الأصول التي انحدرت منها أحوالنا اليوم.... (اختفى جمال عبد الناصر)"[١].

لقد اعرب هذا الحلم المنامي عن رغبة "فتحي رضوان" في إزاحة واقع يعاني منه المصريون، نظرًا لما يشوبه من تفرقة وتشتت بين أفراده، واستبداله بواقع جديد يتميز بالتماسك والوحدة والتجانس بين أفراده، وقد ظهر ذلك في الحلم من خلال تنبؤ الرئيس "جمال عبدالناصر" بأن المجتمع المصري سوف ينهض ، ويتبلور ويستقر عن طريق جمع الشعب المصري، ووضعه على طريق واحد صحيح، فالمجتمع لا ينهض إلا بأيدي أفراده، كما أظهر الحلم أن الحرية السياسية والاقتصادية هي إحدى السبل لتحقيق هذا الواقع المتماسك الذي حلم به فتحي رضوان وغيره من المصريين.

وهنا نجد أن الكاتب ارتد في الحلم إلى الماضي (القرن التاسع عشر) لِيُظهر ان الحلم بتطور المجتمع وتماسكه قد راود عقول المصريين منذ فترة زمنية ليست بالقصيرة، وعلى

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين، ص ٢٢٢.

الرغم من أن تحقيق ذلك الحلم بشكل كلي قد تأخر كثيرًا ، فإن الأمل في تحقيقه مازال موجودًا قائمًا ، وقد ظهر ذلك في الحوار الذى دار بين فتحي رضوان وزوجته تهاني في نفس الليلة التي رأى فيها فتحي رضوان ذلك الحلم:

- " لم أعرف عندما تزوجتك أن بداخلك كل هذا العذاب والألم من أجل مصر؟

- وبداخلى أمل أيضًا ... أحاول كل لحظة أن أقاوم، وأشد اللون الأبيض من أعماقي...".

لقد أظهر الحوار الذي دار بينهما أن الحزن الشديد الذي يسكن قلب فتحي رضوان على حال وطنه، كان ممزوجًا بالمل بأن وطنه سوف يسير على الطريق الصحيح، وأن شعبهسوف يلحق بالبشرية المتقدمة، مما جعل ذلك الأمل يُخزن فى اللاوعي ، ويظهر في صورة حلم منامي ليفصح عن رغبته في تحقق آماله وأحلامه.

وقد تكرر حلم البطل "فتحي رضوان" بالرئيس "جمال عبد الناصر" في الرواية نفسها (ليالي دبي: شاي بالياسمين) ، ويتضح ذلك من خلال السرد الروائي التالي :

" قال لي عبد الناصر فى المنام:

ولقد وقفت أمام الكعبة وأحسست بخواطري تطوف بكل ناحية من العالم وصل إليها الإسلام ثم وجدتني أقول لنفسي: يجب

أن تتغير نظرتنا إلى الحج، لا يجب أن يصبح محاولة الذهاب إلى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة. يجب أن يكون الحجيج قوة سياسية ضخمة، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صورة طريفة لقراء الصحف، وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه كل قادة الدول الإسلامية ، ورجال الرأي فيها ، وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا في هذا البرلمان الإسلامي العالمي خطوطًا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معه. حين يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام، يجتمعون خاشعين، ولكن أقوياء، متجردين من المطامع.. الكل عاملون، مستضعفين لله، ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم، حالمون بحياة أخرى، ولكن مؤمنون أن لهم مكانًا تحت الشمس ، يتعين عليهم احتلاله في هذه الحياة.

وأذكر أني قلت بعض خواطري هذه لجلالة الملك سعود ، فقال لي الملك أن هذه هي فعلًا ، الحكمة الحقيقية من الحج.

وفي الحق أني لا أستطيع أن أتصور للحج حكمة أخرى. حين أسرح بخيالي إلى ثمانين مليون من المسلمين فى إندونيسيا وخمسين مليون فى الصين، وبضعة ملايين فى الملاوي

وسيام وبورما، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان وأكثر من مائة مليون في منطقة الشرق الأوسط، وأربعين مليون داخل الاتحاد السوفيتي، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة حين أسرح بخيالي إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة، أخرج بإحساسي الكبير بالإمكانيات الهائلة التي يمكن أن يحققها التعاون بين هؤلاء المسلمين، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع، ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة.سكت عبد الناصر وقام واختفى.. استيقظت من النوم.. وشربت شربة ماء"(١).

لقد أعرب الحلم المنامي عن رغبة فتحي رضوان في إزاحة واقع التفكك والفرقة بين الأمة العربية ، واستبداله بواقع يتسم بالاتحاد والتعاون السياسي والتجاري فيما بينهم، ذلك الاتحاد الذي يجعلهم قوة عظيمة على الأرض، يهابها ويخشاها الجميع ، حيث إن تلك القوة تجعلهم قادرين على هزيمة أعداءهم، والتخلص من كافة المشاكل التي تعاني منها بلادهم، أهمها تحكم دول الغرب في سياستهم واقتصادهم.

وقد ظهرت تلك الرغبة في إزاحة هذا الواقع الأليم الذي تعاني منه كافة الدول العربية، من خلال حلم فتحي رضوان بالرئيس

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩.

جمال عبد الناصر ، والذى أفصح فيه عن فكرته ورغبته في أن تكون للحج أهداف عديدة ، سياسية وتجارية، ولا تقتصر على الهدف الديني فحسب، فمن الممكن استغلال ذلك الحدث الذي تكرر كل عام، بأن يكون بمثابة اجتماع سياسي لكافة قيادات العرب، من رؤساء وعلماء وأدباء، وشباب وغيرهم، لوضع خطة سياسية موحدة، يستطيعون من خلالها التغلب على المشاكل التي تواجههم، وبناء الوطن العربي بشكل صحيح وقوي، لأن العرب باتحادهم يستطيعون تحقيق ذلك وأكثر ، فنجد أن الحلم هنا قد جاء معبرًا عن امنية فتحي رضوان في أن يجتمع العرب على خطة سياسية موحدة تسير على أسسها ومبادئها كافة الدول العربية ، كما اجتمعوا على دين واحد وعبادة رب واحد، وأيضًا جاء الحلم عاكسًا لصورة الواقع الجديد الذي تتمناه الشخصية الحالمة.

ثانيًا : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة في استبدال زمن بآخر :

يهدف الحلم المنامي هنا إلى الإزاحة أيضًا ، ولكن رغبة الكاتب في توظيف الأحلام هنا تختلف عن رغبته في توظيف الأحلام السابقة ، حيث يرغب في هذه الحالة في إزاحة زمن آنى ، وإحلال زمن ماضٍ – كان واقعه السياسي أفضل بكثير من هروب لتلك الشخصيات منالزمن الحالي، وتمنٍّ للرجوع إلى زمن ماضٍ كان مغايرًا أو مختلفًا عنه من الناحية

السياسية . وقد انتمى إلى ذلك الهدف من الأحلام المنامية ما حدث في رواية "ليالي دبي: شاي بالياسمين" ، عندما شاهد فتحي رضوان في منامه الملك فؤاد :

" النور في روح شعبنا اختفى وأنا الخفي الرائي.. لا تجعلوني أمضي وحيداً إلى بلاد أخرى فيها الإنسان معنى وقيمة وليس رقماً وضباباً.. ماذا سيقول أحفادنا القادمون عن شعب فقد إنسانيته وكرامته ببطء حتى صار بلا.. بلا.. بلا.. شاهدت الملك فؤاد في منامي يسير في شوارع القاهرة ، وهو يرى الزبالة أكوامًا أكوامًا فبكى ، كيف تكون القاهرة هكذا ، وقد حصلت عام ١٩٣٣ في عهده بوسام أفضل عاصمة نظيفة في العالم..؟ أجلسته على مقهى في التحرير ، وطلبت له الشاي فرفض، ومشى في الزحام واختفى"(١).

تظهر من خلال النص الروائي حالة الإحباط التي شعر بها فتحي رضوان عند محاولة البحث عن قيمة له داخل وطنه، لكنه يكتشف أنه لا قيمة للإنسان في بلده، وأن الشعب أصبح فاقدًا لكافة معاني الإنسانية ، فهو يشعر بالحزن لتردي الوضع في بلده، إلى درجة جعلته يخشى على أحفاده الذين لم ياتوا بعد من هذا الضياع الذي يشعر به الشعب المصري. كل هذه المشاعر السلبية التي تؤرقه من الداخل ، جعلته يرتد في أثناء

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، ص ٢١٩.

نومه عن طريق الحلم إلى فترة زمنية ماضية، ألا وهي فترة حكمن الملك فؤاد لمصر، وقدظهر الملك فؤاد في الحلم حزينًا أيضًا ومتحسرًا على القاهرة وشوارعها، التي أصبحت ممتلئة بالقمامة بعد أن كانت في عهده أفضل عاصمة نظيمة في العالم كله.

لقد أعرب الحلم المنامي الذي استعان به الكاتب في النص الروائى عن رغبة البطل في إزاحة الحاضر بكل مساوئه ، والارتداد إلى زمن ماضٍ كان أفضل منه، وخاليًا من كافة العيوب التي يعاني منها الحاضر، وبالفعل قد أظهر الحلم أن الشعب في تلك الفترة الزمنية الماضية كان يمتلك الضمير والإنسانية اللتين يفتقدهما فتحي رضوان في زمنه الحالى الذي يعيش فيه، واللاتين انعكستا بالطبع على الاهتمام بالوطن ونظافته، حرصًا على صحة المواطنين ، فكان الحلم هنا بمثابة تمنٍّ من فتحي رضوان بأن تعود بلده مثل سابق عهدها ، بلدًا جميلة ونظيفة ، يستطيع أن يفتخر بها أمام أحفاده في المستقبل.

وقد استعان الكاتب بالحلم المنامي مرة أخرى في الرواية نفسها (ليالي دبي: شاي الياسمين)، وذلك عن طريق تردد الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر" مرة أخرى على بطل الرواية "فتحي رضوان" في منامه، في النص التالي:

" قال لي عبد الناصر فى المنام حين سألته:
- ماذا فعلت بعد قيام الثورة في عام ١٩٥٢ بأيام؟
- هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم؟.. وفينا من يملك عشرات الألوف من الأفدنة، وفينا من لا يملك قطعة يدفن فيها بعد أن يموت.

وأنا أدرك أننا أغضبنا الساسة القدماء! ولكن هل يمكن أن نغضبهم ونترك وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم؟ وأنا أدرك أننا أغضبنا عددًا كبيرًا من الموظفين. ولكن هل يمكن أن نعطي أكثر من نصف ميزانية الدولة مرتبات للموظفين ولا نستطيع – كما صنعنا بالفعل – أن نخصص أربعين مليوناً من الجنيهات للمشروعات الإنتاجية؟. ماذا علينا لو كنا فتحنا – كما فعل غيرنا – خزائن الدولة ووزعنا ما فيها على الموظفين ، وليكن بعد ذلك الطوفان ، وليكن أيضاً أن يجيء العام القادم فلا تستطيع الحكومة أن تدفع مرتبات موظفيها أصلاً وأساساً. وما كان أسهل أن نرضي هؤلاء جميعاً وغيرهم، ولكن ما الثمن الذي كان وطننا سيدفعه من آماله ومستقبله في مقابل هذا الرضى؟ ذلك دورنا الذي حدده لنا تاريخ وطننا، ولا مفر أمامنا من أن نقوم به، مهما كان الثمن الذي قد ندفعه. ولم نخطئ أبداً فى

فهم هذا الدور، ولا فى إدراك طبيعة الواجبات التي تلقيها علينا تلك خطوات لإصلاح آثار الماضي ورواسبه مضينا فيها وتحملنا من أجلها كل شيء، فلما جاء الكلام عن المستقبل قلنا أننا لا نملك هذا وحدنا؛ فمن أجل ضمان الحياة السياسية فى المستقبل ذهبنا إلى عدد من قادة الرأي من مختلف الطبقات والعقائد وقلنا لهم: ضعوا للبلد دستوراً يصون مقدساته، وكانت لجنة وضع الدستور ، ومن أجل ضمان الحياة الاقتصادية فى المستقبل ذهبنا إلى أكبر الأساتذة في مختلف نواحي الخبرة وقلنا لهم: نظموا للبلد رخاءه واضمنوا لقمة العيش لكل فرد فيه. وكان مجلس الإنتاج. تلك حدودنا لم نتعداها، إزالة الصخور والعقبات من الطريق، مهما يكون الثمن، والعمل للمستقبل من كل نواحيه مفتوح لكل ذوي الرأي والخبرة، فرض لازم عليهم وليس لنا أن نستأثر به دونهم، بل أن مهمتنا تقتضي أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر.. مصر القوية المتحررة."(١).

وهكذا نجد أن الكاتب يرتد في الحلم إلى زمن سابق عن الزمن الذي تدور فيه أحداث روايته، ألا وهوعام ١٩٥٢ ، ذلك العام الذي قام فيه ضباط الجيش المصري بثورة ٢٣ يوليو ضد الحكم الملكي بكل مساوئه، من إقطاع ، واستعمار، وسيطرة

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، ص ٢٢٨.

لرأس المال على الحكم، وقد وجد هؤلاء الضباط أن السبيل الوحيد للقضاء على كل هذا ، هو السيطرة على الحكم ، لإقامة حياة ديمقراطية سليمة، وعدالة اجتماعية، وبناء جيش وطني قوي.

ويدل ذلك الحلم على رغبة فتحي رضوان في إزاحة الزمن الذي يعيش فيه ، والقضاء على كل مساوئه ، والعودة إلى زمن ماضٍ ، كانت فيه مصلحة الوطن ومستقبله ومصلحة مواطنيه ، تعلو كل المصالح الشخصية للحكام والمسئولين، وقد اتضح ذلك من خلال ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر لبطل الرواية فتحي رضوان فيى نهاية حلمه، حيث قال :"إن مهمتنا أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر، مصر القوية المتحررة"(١). وقد أعربت تلك الجملة عن الهدف السامي الذي كان يسعى إليه ضباط الجيش المصري، والذي قامت من أجله ثورة ٢٣ يوليو ، كما أعرب الحلم أيضًا عن المشاعر الذاتية لفتحي رضوان، حيث إنه يتمني أن يجد من أعرب الحلم أيضًا عن المشاعر الذاتية لفتحي رضوان، حيث إنه يتمني أن يجد من حوله أشخاصًا مثل هؤلاء الضباط، يخافون على مستقبل مصر، ويحرصون على رفعة الوطن وتقدمه، باذلين أقصى جهودهم من أجل ذلك.

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، ص ٢٢٨.

ويستمر الكاتب في توظيف الحلم المنامي داخل رواياته ، فنجد في روايته "كل من عليها خان" البطل "فتحي رضوان" يحلم بواحد من أشهر علماء العرب، وهو المؤرخ الجغرافي "المسعودي" ، على نحو ما نرى في النص التالي:

" جاءنى في المنام المسعودي. قال لى : يا ابن رضوان (يفتح كتابًا) .. يقول المسعودي : " لما خلق الله آدم عليه السلام، مثل له الدنيا، شرقها وغربها، وسهلها وجبالها ، وأنهارها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك، فلما رأى آدم عليه السلام مصر أرضًا سهلة ، ذات نهرٍ جارٍ، مادته منالجنة ، تنحدر فيه البركة، ورأي جبلاً من جبالها مكسوًا نورًا لا يخلو من نظرة الرب إليه بالرحمة، في سفحه أشجار مثمرة ، وفروعها في الجنة، تُسقى بماء الرحمة ، فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة، وقال : "مصر فيك الخفايا والكنوز ، ولك البر والثورة، وسال نهرك عسلًا ، كثر الله زرعك وذكى نباتك، ولا يزال فيك خير ما لم تتجبرى وتتكبري أو تخوني.. (اختفى المسعودي)"[1].

يشير الحلم إلى رغبة "فتحي رضوان" في التخلص من الزمن الذي يعيش فيه، وإزاحته بكافة عيوبه ومساوته ، والعودة إلى بداية خلق سيدنا آدم ، ونزوله على أرض مصر التي

---

(١) رواية : كل من عليها خن ، ص ٢٩.

وجدها أرضًا جميلة، مليئة بالخيرات التي لا تعد ولا تحصي، أرضًا نقية غير ملوثة ، وكأن البطل بذلك الحلم يتمني أن تعود مصر مثلما كانت في سابق عهدها – كما وصفها المسعودي له في أثناء الحلم – أرضًا مليئة بالنور والرحمة قبل أن ينتشر فيها الظلم وقلة الضمير الإنساني، والغش، وغيرها من الآفات العديدة، كما أنه يتمنى داخل نفسه أن يكون موجودًا في ذلك الوقت على أرض مصر، لعله يستطيع حينها إنقاذ مصر، قبل أن يحل بها كل هذا الخراب.

كما أظهر الحلم المنامي أن كل ما يعني منه المصريون من آفات وأمراض وتردٍّ في الحالة الاقتصادية والاجتماعية، وغيرها من المساوئ العديدة، إنما هو لغياب ضمير بعض المصريين، وليس العيب في أرض مصر، فالمصريون من أفسدوا تلك الأرض الطاهرة النقية، وبددوا خيراتها، ودمروا كل ما هو جميل عليها، فالحلم هنا وضع القارئ أمام حقيقة لا يستطيع إنكارها ، أو التملص منها ، وهي أن العيب ليس في الأرض ، بل في أهلها الذي يسكنونها ولا يستطيعون الحفاظ عليها.

المحور الثانى : إزاحة الواقع بحلم راغب في تخليص المجتمع من بعض الظواهر الفاسدة

نجد أن الكاتب يستعين بالحلم المنامي في رواياته بغرض تحقيق شكل آخر من أشكال الإزاحة، وهو إزاحة بعض الظاهر

الفاسدة الموجودة في المجتمع، التي تضر بالبناء الاجتماعي وسلامته، وذلك من أجل تحقيق صفاء المجتمع ونقائه، على نحو ما نرى في النص التالي من روايته "ليالي دبي: شاي بالياسمين":

" قال جمال عبد الناصر لي في المنام : نحن نحتاج إلى ثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ، ولا ننسى الماضي .. وفي تلك الأيام قدت مظاهرات في مدرسة النهضة ، وصرخت من أعماقي بطلب الاستقلال التام، وصرح ورائى كثيرون ، ولكن صراخنا ضاع هباءً ، بددته الرياح أصداء واهنةً ، لا تحرك الجبال ، ولا تحطم الصخور . قلت لجمال عبد الناصر: أنا مثلك سرت في مظاهرات فى مدرسة الاسكندرية ، وكل المظهرات ضاعت أُثارها هباء.. ."(١)

وهكذا نجد أن الحلم الذي رأه فتحي رضوان صدى لرغبته في القيام بثورة حقيقية ، تقضي على جميع الظواهر الفاسدة المحيطة به في المجتمع، وتنقيه من جميع الآفات الموجودة به ، لكنه يعجز عن القيام بذلك في الواقع، مما دفعه إلى تخزين تلك الرغبة في اللاوعي ، وخروجها في صورة حلم منامي ، يفصح من خلاله عما يريد أن يفعله من حلول لإصلاح ذلك المجتمع.

---

(١) رواية : ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، ص ١٤٣.

وبالنظر في النصر الروائي ، نجد أن العجز الذي يشعر به فتحي رضوان في الوقت الراهن، قد جاء نتيجة خوضه لتلك التجربة في الماضي أكثر من مرة، فقد شارك في مظاهرات عديدة طالبت بالتغيير، ولكن كل محاولاته كانت غير مجدية ، وباءت بالفشل ، ولكنه على الرغم من ذلكمازال يأمل في النهوض بالمجتمع وإصلاحه ، ويتمنى داخل نفسه أن يعيد التجربة من جديد ، لعله ينجح في تحقيق ما لم يستطع تحقيقه بالأمس.

وهكذا نجد أن الكاتب السيد حافظ قد استخدم المستوى المباشر في تقديمه للحلم المنامي ولم يلجأ إلى لتداعي الحر، بل نجده يصرح بالحلم، ويفهم دون عناء أنهحلم ، من خلال شخصيات رواياته ، أي إن "الشخصية داخل القصة تصرح بحلمها في قوله "حلمت – رأيت" ، وتقوم الشخصية القصصية بسرد هذا الحلم سردًا مباشرًا في نسيج القصة ، فتقل فيه جرعة التناثر، وسرعة النقلات ، وشدة التكثيف ، لحساب سلسلة الأحداث ، وتنسيق الحوار والتفكير العادي"(١)، كما أن اللغة التي استعان بها الكاتب في سرده للأحلام جاءت بسيطة، وتلقائية، خالية من الغموض ، والرموز المعقدة، ولكنها تحمل

---

(١) مراد عبد الرحمن مبروك (د) ، الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة في مصر ١٩٦٧ – ١٩٨٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٨٩م، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

في طياتها دلالات عدة. كما استطاع الكاتب أن يمزج في الحلم المنامي بين صور الماضي، والأمل في المستقبل الذي تطل من خلاله الشخصية الروائية على عالم تبغي أن تعيشه ، لذلك "يعتمد الحلم عند الكاتب على التذكر، أو استحضار الأحداث، وأحيانًا يعتمد على الاستباق ، أي يجسد اللحظة المستبلية المرجوة في زمن الحضور"(١).

وبالنظر إلى النصوص الروائية السابقة، نجد أن الأحلام المنامية قد غلب عليها الطابع السياسي التاريخي ، حيث إن الزعماء والقادة السياسيين ، والشخصيات التاريخية، كانوا دائمًا يطاردون بطل الروايات "فتحي رضوان" في المنام، أمثال جمال عبدالناصر ، والملك فؤاد ، والمؤرخ المسعودي، ويقصون أحداثًا تاريخية مروا بها في زمن ماضٍ يسبق الزمن الذي تدور فيه أحداث الروايةن وبذلك نجد أن الكاتب قد نجح في "الربط بين الحلم والتوظيف التاريخي، واختلال دائرة الزمن ، معتمدًا على الاستحضار، واستدعاء الشخصيات من الماضي ، وربطها بالعناصر التاريخية في الواقع المعاش"(٢)، كما نجد أن الأحلام قد جاءت مساهمة في بناء الروايات ،

---

(١) مراد عبد الرحمن مبروك (د) ، الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة في مصر ١٩٦٧ ــ ١٩٨٤م ، ص ٢٧٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٤

وكاشفة عن الملامح الداخلية للشخصيات ، عجزهم عن التأقلم مع ذلك الواقع المتأزم لذلك يهربون إلى الحلم.

المبحث الثانى
إزاحة الواقع بحلم اليقظة

حلم اليقظة يقصد به لجوء الشخصية إلى خيالها، لتحقيق إشباع من آمال وأهداف لا تستطيع تحقيقها في الواقع ، وذلك عن طريق صنع الشخصية الحالمة عالمًا افتراضيًا لنفسها في عقلها الباطن ، لا في الحياة الواقعية ، لتستطيع من خلاله تخفيف القلق والتوتر والإحباط الناتجين عن الفشل في تحقيق دوافعها وطموحاتها، وذلك التخفيف يتم عن طريق التخييل، حيث " تتوارد على الشخصية المفتوحة وأصوات بشرية ، أو غيرها ، يكون محروها "التمني" بحصول ما يتوافق أو يختلف معها "[١]. وفي حلم اليقظة نجد أن الشخصية الحالمة تكون على وعي كافٍ يجعلها قادرة على التحكم بالأحداث داخل الحلم ، لذلك يطلق عليه بعض النقاد " حلم الوعي"، حيث يكون شكل هذا الحلم داخل العمل الأدبي " ليس حلمًا مباشرًا يحكى على لسان شخصية القصة، بل تتداعى الصور والخواطر والأفطار والذكريات من خلال استخدام المونولوج الداخلي المباشر والغير مباشر، والقطع ، والاستمرار ، والاختفاء التدريجى ، ويتم الحلم دون تدخل الرواي"[٢].

---

(١) حسن البندارى (د) ، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ ، ص ٧٦.
(٢) مراد عبد الرحمن مبروك (د) ، الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة في مصر ١٩٦٧ ــ ١٩٨٤ ن، ص ٢٨٦.

ويشير آخر إلى تقديم حلم الوعي أو اليقظة بطريقة المونولوج الداخلي : "محاولة استخدام المنولوج الداخلي المباشر في طرق استخدامه"(١).

وتدل أحلام اليقظة في روايات الكاتب على رغبة الحالم في إزاحة واقعة الرديء الذي فرض عليه، وتمني تغييره وإصلاحه بصورة شاملة، سواء أكان هذا الإصلاح على المستوى الشخصي، أم المستوي السياسي ، وهو ما ظهر في رواية "مسافرون بلا هوية"، حينما سرح كل من "إبراهيم عمار" وزوجته "منى" بذهنها متخيلين شكل مستقبلهما وهما يعيشان واقعًا أفضل من الواقع السيء الذي يعيشونه الآن :

" لقد نشرت في جريدة اللنيش ، والأحصاء ، ومصفاة الحكمة ، وبحر الأنهار ، وكل هذا يساوى ٣٠٠ دينار ، وسأحصل عليهم، وأدبر شقة لي ولك ، ونهيش في سعادة بعض الوقت ، ونسافر إلى أي دولة في أوروبا ، ربما ليبيا إذا كنا سنعيش في بلد عربى ، أو فرنسا إذا كانت بلدًا أوروبيًا ، أو العراق، أو أي بلد يعطينا هوية .. ضحكت .. وسندور حول العالم .. نعم، ونشاهد أوبرا عايدة في إيطاليا وفرنسا ، وندور، ونغني ، ونرقص، وننجب الأطفال، ونحضر الربيع.

---

(١) روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ت / د . محمود الربيعي ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ٦٤.

- ومصر ؟ .. أرجوك وقفت قدمي.. هل ستعود لها ؟
- أنا ؟ هل مصر تعرفني يا منى ؟ أنا بريء من جيلي ، لكني لا أبرأ من مصر، صفقت لي الدنيا بأحلام اليقظة .. لم أعد أحلم وأنا نائم "(١).

نجد "إبراهيم عمار" في هذا النص قد شرد بذفنه هو زوجته "منى" ، متخيلين مستقبلهما معًا ، وآمالهم ، وأحلامهم البسيطة التي تتلخص في العيش معًا فى سعادة ، وإنجاب الأطفال، كما نجد أن إبراهيم عمار قد رأي أن السبيل الوحيد لتحقيق تلك السعادة له ولزوجته، كما نجد أن إبراهيم عمار قد رأي أن السبيل الوحيد لتحقيق تلك السعادة له ولزوجته ، هو تركهم لوطنهم ، والهجرة معًا إلى أي دولة أوربية أو عربية ، يستطيعون تحقيق فيها ما فشلوا في تحقيقه داخل وطنهم، نتيجة سوء الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تمر به مصر، وعلى الرغم من معوقات الهجرة من حيث توفير مبلغ كافٍ يمكنهم من السفر – مما جعله ينشر العديد من المقالات له في جرائد مختلفة – وأيضًا من حيث تركهم لأهلهم ووطنهم وانتظارهم لمجهول لا يعرفونه ، فإنهما يحلمان بالهجرة باعتبارها ضرورة حتمية بالنسبة لهما، لإزاحة

---

(١) رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٢٧.

الواقع الرديء المحيط بهم ، واستبداله بواقع أفضل لهما ولأطفالهما اللذين ينتظرانهم في المستقبل.
وعلى الرغم من أن أغلب الأدباء يقدمون حلماليقظة في صورة المونولوج الداخلي للشخصية الحالة، فإن الكاتب في هذا النص لم يلجأ إلى هذه التقنية في تقديمه للحلم، بل استعان بالديالوج أو الحوار الخارجي، وقد ظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بين إبراهيم عمار وزوجته مني حول شكل مستقبلهما معًا ، وقد استخدم الكاتب الديالوج في النص الروائى ، ليوضح أن أن الزوجين يشتركان في الحلم ذاته ، وهذا الاشتراك دلالة على وجود أزمة اجتماعية حقيقية وملموسة، نتيجة الوضع السياسي والاقتصادي السيء المحيط بهم، مما جعلهم يتمنون الهروب عن طريق الهجرة لتحقيق أحلامهم.
ويتفق مع هذا الحلم ما تخيله "سامي" الشاب السوري في رواية " قهوة سادة"، حينما سرح بذهنه في أثناء جلوسه على المقهى:
" سامي "أخو "سهر" جلس على المقهي التي تطل على الجبل يشرب الشاي والشيشة ، يحلم بأن يذهب إلى أمريكا ، ويرتدي قبعة ، ويركب سيارة أمريكي، ويتزوج من حسناء

أمريكية .. كان يحلم بالكثير .. وأن يتحدث باللغة الإنجليزية بطلاقة"(١).

يحلم سامي الشاب الذي لا يريد العمل داخل وطنه بالطيران إلى أمريكا ، مثل أغلب الشباب في الوطن العربي الذين يراودهم حلم الذهاب إلى أمريكا ، سعيًا لكسب المال، وتوفير حياة اجتماعية جيدة ورفاهية عالية، بالإضافة إلى الحصول على متعة الانتماء إلى الحضارة المنتصرة من وجهة نظرهم، والحياة تحت ظل ديمقراطية يفتقدونها في أوطانهم ، لذلك نجد سامي – أحد شخوص الرواية – يرفض أي فرصة ع مل تقدم له داخل وطنه من قبل الأهل أو الأصدقاء ، ويضع حلم الهجرة إلى أمريكا نصب عينيه ، حتى يحققه يومًا ما ، ونجد أن تشبثه بحلمه رغم صعوبة تحقيقه يدل على صعوبة الأحوال الاقتصادية في وطنه ، وخيبات الأمل الكثيرة التي يشعر بها ، فعلى الرغم من أنه يجد العديد من فرص العمل في وطنه، فغنها لا تتناسب مع طموحاته التي يريد أن يحققها في حياته، لذلك يريد إزاحة الواقع الأليم الذي يعيشه عن طريق الهروب والهجرة، بحثًا عن فرصة حياة أفضل، فنجد أن الحلم هنا قد جاء بمثابة نجاة لسامي من الواقع ، وإزاحته بكافة عيوبه، ومعبرًا عن تعلقه بأهداف أو خيوط الأمل، وذلك عن طريق

(١) رواية : قهوة سادة ، ص ١٩٣.

تخيله لشكل حياته، والصورة التي سيصبح عليها بعدما يستطيع تحقيق ذلك الحلم.

ينتمي إلى أحلام اليقظة نص سردي آخر ، ورد في رواية "ليالي دبي : شاي بالياسمين " ، عندما تخيل "فتحي رضوان" أنه من الممكن أن يكون كاتبًا يؤثر بشكل إيجابي في قرائه :

" أنا فتحي رضوان كاتب بسيط ، أريد أن أرسخ في ذهن هذا الشعب الأخلاق التي فقدها منذ أن قتل إخناتون.. إن اللهيعلم أن شعب مصر والعرب غير أسوياء ، لذلك أرسل لهم الكثير من الأنبياء، والعلماء، والنبهاء، وكل واحد إما قُتل أو طُرد أو هاجر أو رحل"(١).

لقد ظهر من خلال الحلم أن فتحي رضوان رغم بساطته وبساطة كتاباته ، إلا أنه يسعي باستخدام قلمه إلى إزاحة الواقع الفاسد المحيط به، والذي يفتقد فيه الناس للأخلاق، وإحلال واقع آخر بدلاً منه ، تسوده القيم والأخلاق النبيلة.

ونلحظ من خلال النص الروائي أن الحلم هنا قد عكس جزءًا من شخصية فتحي رضوان ، فهو شخص يفكر بشكل إيجابى، ويسعى إلى أن يكون مؤثرًا في المجتمع بكتاباته، ولا يكتب لإظهار موهبته فى الكتابة، أو سعيًا وراء الكسب المادي

---

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الأول (شاى بالياسمين) ، ص ٣٢٢.

فحسب، ولكنه يريد أن يكتب من أجل هدف سامٍ ، وهو إحداث تغيير للظواهر الفاسدة المضرة بالمجتمع، كما عكس الحلم أيضًا باطن الشخصية وخوالجها النفسية، فنجد أن فتحي رضوان قد تكون داخله الشعور باليأس والإحباط نتيجة الصعوبة التي وجدها في إصلاح المجتمع الذي استمر فيه الفساد على مدى عصور متعددة ، وتغلغل في نفوس العرب إلى الدرجة التي جعلته سمة لم يستطه كل من العلماء ، والنبهاء والمثقفين إزاحتها ، أو تغييرها ، ولكنه على الرغم من فشل هؤلاء في الأصلاح ، فإنه كان يملك بصيصًا من الأمل، - رغم بساطته – يريد المحاولة ، لعله ينجح فيما فشل فيه السابقون.

ونجد أن الكاتب هنا قدم حلم اليقظة في صورة المونولوج الداخلي المباشر، وقد ظهر ذلك في حوار فتحى رضوان مع نفسه، وذلك يدل على صعوبة تحقيق ذلكا لحلم، فاقتناعه بتلك الصعوبة جعله لا يستطيع أن يبوح بحلمه لمن حوله من الأهل أو الأصدقاء ، ويفضل الاحتفاظ بحلمه داخل عقله الباطن.

وثمة نموذج آخر في رواية " ليالي دبي : شاي أخضر" استعان فيه الكاتب بحلم اليقظة ، من خلال شخصية "سهر" البنت السورية ، وحلمها بتغيير حياتها :

" لعبت سهر بخاتم الخطوبة في يديها ، وخلعته ، ونظرت في اسم منقذ .. بعد أسبوع الامتحانات ستسافر إلى هناك، إلى منقذ ، وسيكون حفل الزفاف، وستغادر هذا المكان السجن، الأماكن الفقيرة لا تمنح الناس إلا الأحلام الفقيرة، والمدن الصغيرة ، والدول الصغيرة ، سكانها أحلامهم فقيرة مثلها"(١).

من خلال النص الروائي نجد أن سهر الفتاة السورية الجميلة تحلم بالزواج مثل أى فتاة أخرى، ولكنها تنظر إلى الزواج نظرة مختلفة النظرة التقليدية أو المعتادة التي تنظرها أي فتاة أخرى له ، حيث ترى فيه الاستقرار ، وتكون أسرة جميلة ، فسهر أجمل بنات الجبل كما لقبها الكاتب في روايته ، تعتبر زواجها من منقذ الذي يسكن في دولة الإمارات بمثابة طوق نجاة لها ، ظلت تنتظره ٥ سنوات لينتشلها من مدينتها ، لتسافر معه إلى مدينة دبي، مدينة الأحلام بالنسبة لها ، فنجد أن السعادة التي تشعر بها سهر، والتي جعلتها تحلم وتتخيل حفل زفافها، ومستقبلها مع منقذ، ليست من أجل حبها له ، بل رغبة في الهروب والفرار من بلدتها الفقيرة التي تعدها سجنًا يقيد أحلامها ، فهي تفتقد فيها قيمة العدل، حيث أحرقت تلك البلدة شعبها بالظلم، ومن ثم ستذهب إلى دبي حيث الحرية

(١) رواية : ليالي دبي الجزء الثاني (شاي أخضر) ، ص ٢٠٢.

والأمان المادي والرفاهية ، والعدل، كما يراها أغلب الشباب العرب، فهي تتمنى أن يمر الوقت سريعًا ، وتنتهي من الامتحانات وتحقق حلمها ، وذلك لإزاحة هذا الواقع الذي فرض عليها ، لأنها ترى أنها تستحق العيش في وقاع أفضل، لذلك ترغب في الحصول على هذا الواقع ، وإن كلفها ذلك الأمر أن تتزوج من رجل لا تعرفه ولا تحبه ، فهذه الرغبة المسيطرة على عقلها الباطن هي التي أدت إلى حلم اليقظة.

وقد ظهر حلم اليقظة أيضًا في رواية " حتى يطمئن قلبي" ، عن طريق شخصية " فتحي رضوان " الذي هاجر من وطنه بحثًا عن أحلامه ، ولكننا نجده لا ينسى أمر وطنه ، ويحن إليه بين الحين والآخر ، كما سنرى في النص التالي :

" أقود السيارة على شاطيء الخليج .. لست متأكدًا أنى كائن حي ، بين الحب والخرافة شيء خفي ، أوقفتنى سيارة الشرطة ، طلب رخصة السيارة، ورخصة القيادة ، نظر الشرطي فيها ، وقال لي : أنت صحفي ؟

- نعم .
- أنتم واصلين يا صحفيين .
- امال مين اللي واصل ؟
- ما أدري ؟

ضحك الشرطى ، ناولني الهوية ورخصة القيادة ، وانطلقت إلى شارع الصحافة ، وأظل أحلم بالحرية حتى تدق أبواب الوطن.. أيا لهفة الروح أن عودي لنا يا بلادي النبيلة.. وأمضى نحو الحقيقة، ويتبعني ظلي، وضحكات الأغبياء تلاحقنى ، وهم الغالبية العظمة من بني وطني.."(١).

لقد أظهر النص الروائي أن الصحفيين يعتبرون ذوي سلطة في دولة الإمارات ، وذلك اتضح من خلال الحوار الذي دار بين الشرطي والصحفي "فتحي رضوان" على الطريق، والذي دل على الهيبة التى يتمتع بها الصحفيون هناك، تلك الهيبة هي التي جعلت الشرطي بعد أن استوقفه لبحث رخصته ، وهويته يتركه يمر ويستكمل طريقه في سلامن عند علمه من خلال فحص هويته أنه يعمل بقطاع الصحافة.

وبالنظر إلى النص السردي الذي أعقب الحوار، نجد أن ذلك الموقف الذي تعرض له فتحي رضوان على الطريق، جعل حلم الحرية الذي يظل يراوده طوال حياته يتردد على ذهنه في تلك اللحظة، متمنيًا تحرر وطنه مصر من كافة القيود التي تكبل الحريات ، وخاصة حرية الفكر والقلم ، لأن هذه القيود من أهم الأسبا التي جعلته يترك وطنه وأهله، ويذهب إلى الإمارات

(١) رواية : حتى يطمئن قلبى ، ص ١٨٨.

باحثًا عن الحرية، التي تمكنه من التعبير عن أفكاره السياسية والاجتماعية دون أي مساءلة قانونية تحرمه من حرية قلمه.
وهكذا نجد أن الحلم هنا قد جاء موضحًا للمقارنة التي عقدها فتحي رضوان داخل ذهنه بين المعاملة السيئة التي وجدها كصحفي داخل وطنه، والإهانة – سواء على المستوي المادي أم على مستوي الاستهانة بكلماته وآرائه، وترهيبه أحياناً لإسكات صوته وقلمه – وبين المكانة التي أصبح يتمتع بها كصحفى في دولة الإمارات ، تلك المقارنة جعلته يمني نفسه بأن يري وطنه وهو يستظل تحت غطاء الحرية، وقد نبعت تلك الأمنية من تلهف روحه على وطنه والاشتياق له ، ولكنه لا يستطيع في تلك الفترة التخلي عن المكانة التي وصل إليها فى الإمارات، ليعود مرة أخري إلى وطنه الذي لا يقدره.
وبالنظر في النص الروائي نجد أن الحلم هنا يهدف إلى إزاحة واقع قمع الحريات – بأشكاله المختلفة – الذي عاني منه المصريون على مدار أعوام كثيرة وتمني استبداله بواقع جديد أفضل تسوده الحرية.
وبالنظر إلى النصوص الروائية نجد أن أحلام اليقظة قد تمحورت حول فكرة إزاحة الواقع الرديء ، وذلك عن طريق الهروب منه بالهجرة من الوطن ، والذهاب إلى مكان أفضل

تستطيع فيه الشخصية الحالمة تحقيق رغبتها في بناء واقع جديد يتلاءم مع أحلامها وطموحاتها.
ونجد أن الكاتب قد نوع في شكل تقديم حلم اليقظة داخل الروايتن حيث يقدمه في صورة السرد الحواري تارة، وتارة أخري يعتمد في تقديمه على المونولوج الداخلي للشخصية الحالمة .
وذلك التنويع الذي وظفه الكاتب في رواياته يعتمد على الموقف الذي تواجهه الشخصية في إطار الحدث الروائي ، وبذلك تكون الأحلام – سواء الأحلام المنامية، أم أحلام اليقظة – قد عبرت عن الرغبات اللاشعورية للشخصيات الحالمة ، تلك الرغبات التي ظلت مقموعة داخل نفوسهم ، مما جعلهم يلجأون إلى الحلم كوسيلة تنفيسية يستطيعون من خلالها الإفصاح عن تلك الرغبات ، كما ساهمت الأحلام في الكشف عن الأسرار المجهولة للشخصيات الروائية، وعرضها من الداخل في نومها حينًا وفي يقظتها حينًا آخر، وجسدت الأفكار والمشاعر التي تشعر بها من حالات يأس وألم ، وعدم استقرار نفسي ، نتيجة المعاناة التي يشعرون بها بسبب التدهور السياسي والتمزق الاجتماعي، والأزمات الاقتصادية المحيطة بهم في واقعهم المعيش ، لذلك نجدهم يتوقون إلى عالم أفضل ، عن طريق الحلم.

ونجد أن الكاتب قد وظف ظاهرة الحلم في رواياته بهدف إظهار حالة التمرد التي تمر بها شخصيات رواياته على الواقع المعيش ، والرغبة فى إزاحته وتجاوزه، والخلاص منه ، عن طريق الحلم الذي يساهم في رسم ملامح المستقبل المشرق الذي تتطله إليه الشخصية الحالمة، فهذه الإزاحة تعيد للشخصية الحالمة توازنها النفسى ، وتعطيها جرعة من التفاؤل ، لتستطيع من خلالها استكمال حياتها ، والتعايش مع الواقع ، لذلك نجد أن الأحلام قد ارتطبت بالتحولات التي طرأت على نفوس الشخصيات التي كانت تسعي دائمًا إلى الانتصار على الواقع.. أما الناحية الفنية والبلاغية ، فنجد أن الأحلام قد ساعدت على إثراء النص الروائي ، وإعطاءه عمقًا دلاليًا ، عن طريق تشييد عوالم جديدة داخل نفوس الشخصية الحالمة، تعتمد على الخيال تارة ، وعلى الذاكرة تارة أخرى، وذلك ساعد الكاتب على الربط بين عالم الحلم وعالم الواقع.

الخاتمة

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة بلاغة التعبير عن الفكر السياسي في روايات الكاتب "السيد حافظ" (مسافرون بلا هوية – ونسكافيه – و قهوة سادة – وكابتشينو – وليالي دبي : شاي بالياسمين – وليالى دبي : شاي أخضر – وكل من عليها خان ، - وحتى يطمئن قلبي) وقد ترتبت على الدراسة عدة نتائج أبرزها :

١- أثر الفكر اليساري الذي ينتمي إليه الكاتب على كتاباته الروائية ، حيث إن تيار اليسار يريد التقدم بالوضع من خلال تغييره نحو الأمام ، ويتبني مفهوم العدالة الاجتماعية ، ويسعى إلى المساواة بين أفراد المجتمع ، لذلك نرى أن شخصيات رواياته تلجأ دائمًا إلى الهجرة خارج وطنها ، هاربة من الوضع السيء الذي تعيش فيه ، ومن إحساسها بالظلم الواقع عليها من قبل المجتمع المحيط بها ، باحثة عن حياة أفضل في مكان آخر جديد ، تستطيع فيه النهوض بذاتها من الناحية الاقتصادية ، وتحقيق طموحاتها ، وأحلامها التي فشلت في تحقيقها داخل وطنها ، نتيجة عدم المساواة بين أفراده ، فقد ناقشت رواياته الفكرة الأساسية التي يقوم عليها التيار

اليساري ، ألا وهي "السعي نحو واقع أفضل ، سواء أكان ذلك السعي عن طريق المناداة بتغيير الأوضاع الخائطة داخل المجتمع، أم عن طريق الهجرة إلى مكان آخر، يستطيع الإنسان أن يحقق فيه واقعًا أفضل له ، مثلما فعل "فتحي رضوان" (بطل معظم رواياته) بعد تعرض الأمة العربية لنكسة ١٩٦٧ التي أطاحت العرب، وجعلتهم يشعرون بالإنكسار، فرغم الصعوبات التي واجهته في حياته لم يرضخ للهزيمة ، ولم يتقبل الواقع المؤلم المحيط به، بل كان دائمًا يصبو إلى التغيير نحو الأفضل، ساعيًا إلى التخلص من القهر والهزيمة ، وحالمًا بعد أجمل.

٢- قدم الكاتب المضمون السياسي لرواياته داخل قوالب فنية بلاغية ، كان لها تأثير على المتلقي ، فنجده يوظف ثقافته الواسعة في النصوص الروائية، وذلك عن طريق اللجوء إلى التناص بأنواع المختلفة، وهي : التناص مع التاريخ ، والتناص مع الأدب شعره ونثره، والتناص مع النصوص الدينية، وذلك لدعم أفكاره ومواقفه من الأحداث السياسية المختلفة التي تناولها داخل رواياته، ولإبراز العديد من جوانب الرؤية الفكرية والسياسية التي يمتلكها أبطال رواياته، فقد جاءت النصوص التي تناص معها –

سواء على مستوي التصريح أم على مستوي التلميح – لإياقظ فكر القارئ ، وتحفيز ذهنه ، كما عبرت عن حالة التمزق النفسي والضياع التي يمر بها معظم أبطال رواياته ، من حيث استشعار الوحدة والوحشة نتيجة غربتهم عن أوطانهم. وبالنظر إلى النصوص التي تناص معها " السيد حافظ" ، نجد أن اختيارها لم يأتِ اعتباطيًا ، أو على محض الصدفة، بل جاء ملائمًا للمواقف التي يريد التعبير عنها ، فكان موفقًا في استلهام النصوص التي تخدم موقفه وفكره السياسي ، وهذا إندل فإنه يدل على الذكاء الأدبي الذي يتمتع به.

٣- وقد لجأ الكاتب أيضًا إلى اللالتفات بصورة المتعددة، فبادل بين الأفعال المختلفة ، مما أظهر الاتجاهات التي ينحوها الزمن داخل الروايات، حيث استعان بتقنيتي الارتداد والاستباق ، مما خلق نوعًا من المفارقة الزمنية بين زمن سرد الأحداث ، وبين زمن الرواية. ومن الملاحظ أنه في أغلب الأحيان قد اعتمد في الاسترجاعات على ذاكرة أبطال رواياته ، التي تتذكر الأحداث السياسية الماضية، وتسقطها على الحاضر المعاش لتغييره، كما جاء الاستباق مجسدًا لأمنيات وتأملات بعض الشخصيات

الروائية ، حيث نجد كلًا من "فتحي رضوان" و"سهر" (أبطال معظم رواياته) يتطلعان دائمًا نحو السفر والهجرة إلى مكان أفضل في المستقبل ، لتحقيق أحلامهم التي فشلاً في تحقيقها داخل وطنيهما. وقد عني الكاتب أيضًا بالتبادل بين الأساليب المختلفة، فتحول من الأسلوب الخبري إلى الأساليب الإنشائية الطلبية بصورها المتعددة، من "أمر، ونهي، وتمنٍّ، ونداء ، واستفهام"، وذلك للكشف عن المشاعر المضطربة التي تشعر بها شخصياته الروائية داخل نفوسها، من قلق وحيرة ويأس، فالتلاعب بين الأفعال والأزمنة والأساليب المختلفة ، قد أعطي النص الروائي نوعًا من المرونة والحيوية.

٤- وقد استعان الكاتب أيضًا بالأحلام بشقيها (الأحلام المنامية، و"أحلام اليقظة") لتجسيد الأفكار والمشاعر المضطربة التي تشعر بها شخصيات رواياته، بسبب التدهور السياسي والاقتصادي والصحي والثقافي في المجتمع المحيط بهم، مما ادى إلى تأزم الواقع الذي يعيشون فيه، فكان الحلم بالنسبة لهم وسيلة تنفيسية ، يستطيعون من خلالها إزاحة الواقع المعاش، واستبداله بواقع أفضل، فقد نجح الكاتب باستخدام تلك التقنيات

السردية الفنية والبلاغية في التعبير عن الواقع المعاش بكل تفاصيله وأزماته.

٥- أثرت الذات المسرحية للكاتب السيد حافظ على كتاباته الروائية ، حيث استخدم في رواياته بعض التقنيات الخاصة بالمسرح التجريبى والطليعي ، فنجدة فى رواياته يقدم نقدًا للواقع العربي، وما يشوبه من تشويه للذات الإنسانية – حيث افتقاد الحرية الكرامة والعدالة – معتمدًا في ذلك على الرموز التي تعد من أهم تقنيات المسرح التجريبى والطليعي ، حيث إن الكاتب لهذين النوعين من المسرح يسعى إلى التنقيب عن "الأسطورة والرمز"، لكي يفسر المفاهيم المادية والآلية التي حولت الإنسان إلى رقم، والى كم مهمل ، والى أداة أو ألة كآلات المصانع التي تتحرك بغيرها ، فيتمرد على أشكال وقيم وعلاقات الواقع المشوه لكل ما هو إنساني، فيبدأ بلغة شعرية وبأسلوب رامز للموقف وللحدث الدرامي"[١]. وبالنظر إلى روايات الكاتب "السيد حافظ" نجد أن "لمي القيسي" بطلة رواية "نسكافيه" ، تلك المرأة المتحررة الضائعة،

---

(١) محمد عزيز نظمي سالم (د) ، السيد حافظ بين المسرح التجريبي ومسرح الطليعة، مركز العربي للنشر والإعلام ، كتاب رؤيا ، ط ١، ص ١٤.

قد جاءت رمزًا للوطن الذي أصبح مستباحًا إثر نكسة ٦٧ ، تلك المرأة قد جسدت الصورة الصادمة التي أصبح عليها الواقع العربي بعد الهزيمة ، كما عكست حالة الضياع التي أصبح عليها الواقع العربي بعد الهزيمة ، كما عكست حالة الضياع والويلات العديدة التي عاني منها المواطن العربي.

ونجد أن الكاتب السيد حافظ يعتمد في رواياته على الشكل التوليدي للحكايات، حيث ينبثق من الحكاية الرئيسية لمعظم رواياته (وهي حكاية سهر والعشق والقمر) عدة حكايات فرعية ، يستلهم الكاتب أحداثها من التاريخ ، مثل "حكاية إخناتون ونفر والنيل، وحكاية نور ومحب وموسى ، وحكاية شمس والحاكم بأمر الله، وهو بهذا "يستخدم باقتدار تكنيكًا مسرحيًا يعتبر من الملامح الأساسية للمسرح الطليعي، فاستخدام التاريخ أو الرمز لا يشير فقط إلى عملية الوعي والإدراك"(١).

وبالنظر إلى الروايات نلمح بها أيضًا بعض سمات المسرح السياسي، الذي يعنى "بعرض مشكلة سياسية

(١) محمد عزيز نظمي سالم (د) ، السيد حافظ بين المسرح التجريبي ومسرح الطليعة، ص ٧.

أو اقتصادية، عن طريق التحليل للظروف التاريخية والاقتصادية المختلفة، بهدف خلق وعي جمعي لدى الجمهور، والتأثير عليه، وتحريضه على الثورة ضد كافة أشكال الاستبداد والقمع السياسي والفساد"(١)، فقد عمد الكاتب السيد حافظ في رواياته إلى إيقاظ المتلقي ، وزيادة وعيه بالمشاكل القائمة من حوله، والإشارة إلى الدور الواجب عليه القيام به في المجتمع من أجل تغييره، معتمدًا في توصيل ذلك إلى القارئ على عدة تقنيات ، تتشابه مع طبيعة وأساليب المسرح السياسي، ومنها استخدام تكنيك "الفلاش باك" ، الذي ظهر بوضوح في رواية "كابتشينو" ، لإلقاء الضوء على جوانب عدة من شخصية "فتحي رضوان" (بطل معظم رواياته) ، ليمكن القارئ من معرفة تلك الشخصية بصورة واضحة، وذلك عن طريق إظهار التجارب والمواقف الحياتية المختلفة التي مر بها طوال حياته، والأحداث السياسية المختلفة التي عاصرهان والتي بالطبع ساهمت في تكوين شخصيته المرئية للقارئ ، ذلك الرجل الثوري الذي يسعى

---

(١) إيمان صحصاح (د) ، صخب الهمس: مقاربة مسرحية، مجلة فكر وإبداع، بورصة الكتب، القاهرة، الجزء التاسع والثمانون ، نوفمبر ، ٢٠١٤م ، ص ٥١١.

دائمًا إلى مخاطبة عقل الجمهور عن طريق كتاباته الأدبية، من قصص، وأشعار ، ومقالات صحفية، وبحثهم على تغيير المجتمع نحو الأفضل، والوقوف ضد القمع والاستبداد والفساد بشتي صوره، كما ساعد الفلاش باك على استلهام بعض العبر والدروس من أحداث الماضي، والتي يمكن أن تسهم في تغيير الحاضر، هذا بالإضافة إلى استخدام العديد من الأساليب الأخرى لعرض القضايا السياسية داخل الروايات، فلجأ إلى الإذاعة والتليفزيون ، واستخدام العديد من المقالات والرسائل ، كما عني بالتنقل الحر بين الأزمنة المختلفة، وأيضًا لجأ إلى الحلم بصوره المختلفة، ليمكن القارئ من الخوص داخل أعماق شخصياته الروائية، ورؤية انفعالاتها تجاه الأحداث التي تمر بها.

وهكذا يتضح أن روايات الكاتب السيد حافظ قد تأثرت بأهداف ، ودور المسرح بصوره المختلفة، من تجريبي، وطليعي، وسياسي، والتي تتلخص في "إسقاط الأقنعة، وكشف الحقائق ، وتوسيع الوعي القومي، والدعوة إلى

الثورة والتمرد ، واتخاذ المواقف"(١). وقد أشار الكاتب إلى تأثره بالمسرح في رواياته، فنجده يقول " أعتقد أني متأثر بالشعر والمسرح ، والسيناريوهات التي قدمتها للشاشة، متأثر لأنها تجربة القلم، وخبرة العشق، فلا مناص أن تجدي العشق والمسرح والسيناريو أخذ الرواية إلى فضائى الحياتي والكتابي"(٢).

٦- وقد أثرت دراسة الكاتب للفلسفة على كتاباته الروائية، حيث يلجأ الكاتب السيد حافظ في بعض الأحيان إلى عرض فكره السياسي ورؤيته للواقع، من خلال بعض الجمل التي تحمل في طياتها دلالات عديدة، ورووئية فلسفية ممزوجة بالحكمة، فنجده على سبيل المثال يقول في روايته "حتي يطمئن قلبي" : "الأفكار لا تموت في الكتب، ولا بالقوانين، ولا بالجلادين، الأفكار تطير وتطير، الأديان فكرة وأفكار، والسياسة فكرة وأفكار، لا أحد يوقف النهار"(٣).

(١) ليلي بن عائشة (د) ، التجريب في مسرح السيد حافظ ، رؤيا ، ط١ ، د.ت، ص ٧٦.
(٢) عواطف الزين (د) ، قراءة فى رواية "قهوة سادة" للسيد حافظ، كتاب التشظي وتداخل الأجناس الأدبية فى الرواية العربية (السيد حافظ نموذجًا) إعداد وتقديم د. نجاة صادق الجشعمي (د) ، رؤيا ، ج١، ط١ ، ٢٠١٧م.
(٣) رواية : حتى يطمئن قبي ، ص ١٩١.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

أ- القرآن الكريم.

ب- روايات الكاتب (السيد حافظ) :

١- مسافرون بلا هوية، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ١٩٩٧م.

٢- نسكافيه ، روافد للنشر والتوزيع ، ط ١، ٢٠١١م.

٣- قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢م.

٤- كابتشينو، مركز الوطن العربي : رؤيا ، ص ١ ، ٢٠١٣م.

٥- ليالي دبي ، الجزء الأول : شاي بالياسمين ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م.

٦- ليالي دبي ، الجزء الثاني : شاي أخضر، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م.

٧- كل من عليها خان ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ٢٠١٥م.

٨- حتي يطمئن قلبي ، مركز الوطن العربي ، رؤيا ، ط١ ٢٠١٧م.

ج- المصادر البلاغية والنقدية :

١- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة: "المعاني والبيان والبديع"، ت/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، د.ت.
٢- سعد الدين التفتازانى، مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، د.ت.
٣- السكاكسى، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق /نعيم زوزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٧م.
٤- ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت/ محمد محيي عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ج٢، د.ت.
٥- ابن طباطا العلوي، عيار الشعر، ت/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٥م.
٦- أبو العباس عبد الله بن المعتز ، البديع ، ت/ عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م.
٧- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ت/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، ط١ ، د.ت.

ثانيًا :المراجع :

أ. المراجع العربية :

١- أحمد الزعبي (د) ، التناص نظريًا وتطبيقيًا ، مؤسسة عمون ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

٢- إمام عبد الفتاح (د) ، الطاغية : "دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي" ، عالم المعرفة ، ط١ ، د.ت.

٣- آمنة يوسف، تقنيات السرد فى النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ببيروت ، ط٢ ، ٢٠١٥م.

٤- حاتم العسكر، ترويض النص: "دراسة للتحليل النصيفي النقد المعاصر: إجراءات ومنهجيات"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٨م.

٥- الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمزذ، الجامع الكبير، المجلد الخامس، ت/ بشار عواد معروف (د) ، دار العرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٦- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م.

٧- حسن البنداري (د) ، الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الآداب ، ط١، ٢٠١٠م.

٨- ....، أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٦م.
٩- ....، البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ : "دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٩٦ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤م.
١٠- ....، تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
١١- ....، تقنيات السرد الشعري العربي الحديث، بورصة الكاتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م.
١٢- ....، الصنعة الفنية في التراث النقدي ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣- حسن طبل (د)، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٤- حسين جمعة (د)، جمالية الخبر والإنشاء، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
١٥- حصة البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث، كنوز المعرفة العلمية، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦- حميد الحمداني (د)، بنية النص السردى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩١م.
١٧- ربيع عبد العزيز (د)، مرايا السرد ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط١، ٢٠١٠م.
١٨- سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، تبسيط وتلخيص / نظمي لوقا) (د)، دار الهلال، ط١، ١٩٦٢م.
١٩- سيزا قاسم (د)، بناء الرواية : "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، هيئة الكتاب، ط١، د.ت.
٢٠- شوقي ضيف (د)، البلاغة: تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، د.ت.
٢١- صلاح جاهين ، الأعمال الكاملة، دار الصفوة، لبنان، ط١، د. ت.
٢٢- طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط١، ١٩٩٦م.
٢٣- عباس الطرابيلي، شوارع لها تاريخ : "سياحة في عقل الأمة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٤- عبد الرضا حسين الطعان (د)، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم، الجزائر، ط١ن ٢٠١٥م.
٢٥- عبد العزيز عتيق (د)، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٦- عبد القادر حسين (د)، فن البلاغة، عالم الكتب ، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
٢٧- عبد الملك مرتاض (د)، في نظرية الرواية: "بحث في تقنيات السرد"، عالم المعرفة ، ط١، ١٩٩٨م.
٢٨- عزة شبل محمد (د)، علم لغة النص: "النظرية والتطبيق" ، تقديم/ سليمان العطار (د)، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٩م.
٢٩- ليلي بن عائشة (د)، التجريب في مسرح السيد حافظ، رؤيا، ط١، د.ت.
٣٠- محمد حسنين هيكل، الانفجار : "حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧"، مؤسسة الأهرام، القاهرة ، ط١، د.ت.
٣١- ....، كلام في السياسة: "قضايا ورجال"، المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٢م.

٣٢- محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٨م.
٣٣- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنانن بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٤- محمد عزام ، النص الغائب: "تجليات التناص في الشعر العربي"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
٣٥- محمد عزيز نظمي سالم (د)، السيد حافظ بين المسرح التجريبي ومسرح الطليعة، مركز العربي للنشر والإعلام ، كتاب رؤيا، ط١ ، د.ت.
٣٦- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري: "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ١٩٩٢م.
٣٧- مراد عبد الرحمن مبروك (د)، الظاهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة فى مصر (١٩٦٧ – ١٩٨٤) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والقاهرة، ط١، ١٩٨٩م.
٣٨- مها حسن القصراوى (د)، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٩- نجاة صادق الجشعمى (د)، التشظي وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية : "السيد حافظ" نموذجًا ، رؤيا، ج١، ط١، ٢٠١٧م.
٤٠- عواطف الزين (د)، قراءة في رواية "قهوة سادة" للسيد حافظ، كتاب التشظي وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية " السيد حافظ " نموذجًا، إعداد وتقديم : نجاة صادق الجشعمي (د)، رؤيا، ج١، ط١، ٢٠١٧م.

ب-المراجع المترجمة :

١- إريش فروم ، الحكايات والأساطير والأحلام، ت / صلاح سالم ، دار الحوار ، سوريا ، ط١، ١٩٩٠م.
٢- جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي: "من المدينة الدولة إلى الدولة القومية"، ت/ محمد عرب صاصيلا (د)،المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨م.
٣- جوليا كريسطيفا، علم النص، ت/ فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢ ، ١٩٩٧م.

٤- روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديث ، ت/ محمود الربيعي (د)، دار غريب ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

ثالثاً : المعاجم والقواميس :

١- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر ، بيروت ، ط١، د.ت.

٢- مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت ، ط٢، ١٩٨٤م.

٣- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤.

٤- لطيف زيتوني (د)، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

رابعاً :الدوريات :

١- إيمان صحصاح (د)، صخب الهمس: مقاربة مسرحية، مجلة فكر وإبداع، بورصة الكتب، القاهرة، الجزء التاسع والثمانون، نوفمبر، ٢٠١٤م.

خامسًا : المواقع الإلكترونية :

١- إسلام ويب، مركز الفتوي، ٩ مارس ٢٠١٤م.

٢- ويكيبديا الموسوعة الحرة.

٣- اليوم السابع ، رئيس التحرير / خالد صلاحن الدور الخفي للملك حسين في نكسة ١٩٦٧، الأحد ٣١ مايو ٢٠٠٩م.

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ
وأهم أعماله فى المسرح والرواية
حتى شهر سبتمبر ٢٠٢٠

- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦ / كلية التربية.
- أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحى بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦– ٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مستشار إعلامى دبى مؤسسة الصدى (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- كتب عنه أكثر من ٥٣ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراة

<u>عرض له في مسرح الطفل</u>

- مسرحية سندريلا (الكويت-سلطنة عمان-البحرين)	١٩٨٣ إخراج / منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت-دبى-أبوظبى)	١٩٨٣ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت-البحرين- قطر)	١٩٨٥ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	١٩٨٥ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية أولاد جحا (الكويت - البحرين)	١٩٨٦ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية حذاء سندريلا (الكويت - بغداد)	١٩٨٧ إخراج / دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- عنتر بن شداد (الكويت)	١٩٨٩ إخراج/أحمد عبد الحليم
- مسرحية أولاد جحا (مصر)	١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس	١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة –القاهرة	١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى

فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضى بطولة ١٩٩٦ إخراج / حسام عطا
وجدى العربى - عبد الرحمن أبو زهرة
عائشة الكيلانى - علاء عوض
- مسرحية حب الرومان وخيرزان (القاهرة)
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضى .. بطولة : مى عبد النبى - لمياء الأمير - محمد عبد المعطى ،أحمد الحجار.
- مسرحية (سفروتة في الغابة) ١٩٩٨ إخراج د. محمد عبد المعطى
من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحى بتونس) بطولة / وفاء الحكيم .
محمد عبد المعطى

<u>كتب العديد من الروايات منها :</u>

١- مسافرون بلا هوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠
٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- شاي أخضر - شاي بالياسمين ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان ٢٠١٥
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به — شط إسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧
٩- نورو موسى الحبل السري للروح ٢٠١٨
١٠- نيروزي والبنت وجد ٢٠١٨
١١- شهرزاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨
١٢- كرس على البحر ٢٠١٨
١٣- هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨
١٤- الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨
١٥- وتحممت بعطرها ٢٠١٩
١٦- حكاية البنت لامارو قراقوش ٢٠١٩
١٧- لو لم أعشقها ٢٠١٩
١٨- كل هذا الحب ٢٠١٩
١٩- نسيت أحلامى فى باريس ٢٠١٩

مشاريع السيد حافظ الكوميدية للمسرح

١. الغجرية والسنكوح
٢. وسام من الرئيس
٣. رحلات ابن بسبوسة
٤. أنا ما ليش حل
٥. عريس الغفلة
٦. حكاية الفلاح عبد المطيع
٧. حكاية مدينة الزعفران
٨. الحوش
٩. الراجل اللى لعبها صح
١٠. امسكوا سالم حشيشة
١١. ملك الزبالة
١٢. حرب الملوخية
١٣. الرقص على النار
١٤. عوانس ٢٠٠٠
١٥. بيت الحبايب

كتب مشروعاً مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن :

١. رجال في معتقل
٢. يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين
٣. والله زمان يا مصر
٤. الأقصى فى القدس يحترق
٥. أحبك يا مصر

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

١) سندريلا
٢) الشاطر حسن
٣) أبو زيد الهلالى
٤) سندريلا والأمير
٥) سندس
٦) علي بابا
٧) أولاد جحا
٨) بيبى والعجوز

٩) سندباد سواح فى البلاد
١٠) قطر الندى
١١) عنتر بن شداد
١٢) فستق وبندق
١٣) القطة يويو
١٤) أحلام بابا نويل
١٥) حمدان ومشمشة
١٦) سفروته فى الغابة
١٧) حب الرمان وخيزران
١٨) الوحش العجيب

قدم مشروعا للمسرح التجريبى

١) كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى - الط الرابعة
٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث
٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم
٤) علمونا أن نموت وأن نحيا
٥) الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان
٧) حبيبتي أميرة السينما
٨) إشاعة
٩) إجازة بابا
١٠) الميراث
١١) سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى
١٢) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
١٣) نغم فى الحلم الفوضوى
١٤) تقسيمات مختزنة للشمس
١٥) سقوط حضارة لوط
١٦) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)
١٧) المفتاح
١٨) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف
١٩) سيزيف القرن العشرين

٢٠) الأشجار تنحنى أحيانًا (مسرحيات تجريبية) وهي
٢١) رجل ونبي وخوذة
٢٢) امرأة وزير وقافلة
٢٣) طفل وقوقع وقزح
٢٤) لهو الأطفال فى الأشياء شيىء
٢٥) تكاثف الغثاثة على الخلق موتًا
٢٦) خطوة الفرسان فى عصر اللاجدوى.. كلمة
٢٧) محبوبتي محبوبتي قمر الخصوبة فى شرنقة حبنا ميلادًا
٢٨) تعثر الفارغات فى درب الحقيقة.. بحث
٢٩) ياله من عالم مظلم بارد متخبط
٣٠) بوابة الميناء
٣١) قدم مشروعًا للمسرح النسوي يحتوي على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان إكسبريسو ومعها
٣٢) امرأتان
٣٣) ليلة ليلاء
٣٤) ليلة الخميس
٣٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
٣٦) ليلة اختفاء إخناتون
٣٧) ليلة اختفاء فرعون موسى
٣٨) المنشار
٣٩) التحقيق
٤٠) صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدًا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة.
٤١) المسافر ٢٠١٨
٤٢) الجراد ٢٠١٨
٤٣) مزامير السيد حافظ المسرحية – تحت الطبع.

<u>قدم لمسرح المونودراما مشروعاً :</u>

١) مسرحية أجازة بابا
٢) مسرحية الخادمة والعجوز
٣) مسرحية اكسبرسو

أخرج للمسرح

- مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشري السترة ١٠ شخصيات.
- (الحبل) إيوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدي يوسف (المؤلف الشهير الحالي) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.
- الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.
- الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
- آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب، مجدي نجيب،عبد الرحمن الأبنودي-فؤاد حداد.
- حديقة الحيوان لإدوارد أولبي ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حاليًا، صفاء غراب قصاص معروف حاليًا.
- كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
- أولاد جحا، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.
- نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى.. ومسرحية إيقاع فى رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور .
- جماعة المسرح الطليعي التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضًا متواصلاً دون إجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	مسرح كلية الأداب بالاسكندرية	حكاية الفلاح عبد المطيع	رمضان عبد الحفيظ	١٩٨٧
٢	قصر ثقافة الحرية – الاسكندرية	امرأتان	السيد حافظ	١٩٨٩
٣	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٤	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائى فتحى	١٩٩٥
٥	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٦	ميت غمر	ملك الزبالين	على عزب	١٩٩٦
٧	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٨	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٩	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
١٠	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
١١	غزل المحلة	خطفونى ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٢	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١٣	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولى	١٩٩٧
١٤	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقى	١٩٩٨
١٥	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٦	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٧	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٨	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٩	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
٢٠	البيت الفنى للمسرح مسرح الغد	امرأتان	محمد متولى	٢٠٠٢
٢١	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
٢٢	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسينى	٢٠٠٤
٢٣	قصر ثقافة أبو تيج بأسيوط	ملك الزبالة	إميل شوقى	٢٠٠٩

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف ابو السعود الأبيارى
٢) الغربان - تأليفه
٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودي

٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب
٧) الحبل لجان أنوى
٨) حديقة الحيوان لإدوارد أولبي بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدي يوسف المؤلف الشهير حاليًا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالي الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) والله زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد الله النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلاً ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
- الأستاذ عادل شاهين
- الأستاذ محمد غباشي النجم المعروف الآن
- المخرج ناجي أحمد ناجي
- المخرج رمضان عبد الحفيظ
- المخرج سيد شعبان

أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكي مسرحية
دكتور محمد عبد المعطي مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية

فاروق زكي مسرحية
سمير حسني مسرحية
محمد متولي مسرحية
عبد الرحمن الشافعي مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجًا من أشهر مخرجي المحافظات

أخرجت مسرحياته فى العراق من الأساتذة

- د. وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
- دكتور سعدي يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
- دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
- دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى
- المخرج هشـــام عبد الرحمن (إعداد وإخراج) مســـرحية (ســـيمفونية العصـــافير) الفلســطيني المقيم في بغداد معدة عن مســرحية (حبيبيتي أنا مســافر والقطار أنت والرحلة الإنســان) للكاتب المصــري الســيد حافظ مع مجموعة من أشعار معين بسيسو ومحمود درويش عرضت في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٨٧ على خشــبة المســرح الدوار في المعهد وهي ضـــمن أطروحات الطلبة للتخرج في المعهد وكانت الممثلة زهرة بدن تمثل أحد أدوار المسرحية الرئيسة فيها ..

من الكويت أخرج مسرحياته

- منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
- دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثاني)
- د حسين مسلم (مسرحية بيبي والعجوز)
- عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له فى الإمارات

جاسم عبيد – مسرحية الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلي المخرج التونسي أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة فى فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جالزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة فى تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله فى مسرح الطفل :

- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهي - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجًا علي بابا- نزيهة بن طالب (الناشر - العربي للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجًا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير -

وقميص السـعادة" د. عبد العزيز خلوفة - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ ــــ سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قســم الإعلام التربوي – جمهورية مصــر العربية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.
- مسرح الطفل - دكتور على عاشور الجعفر– الكويت
- مسرح الطفل فى الكويت – د. نرمين الحوطى – الكويت
- خصـوصـية التأليف لمسـرح الطفل فى الوطن العربى (نموذجاً السـيد حافظ) – م.م. حيدر على الأسدى – العراق.
- مفهوم الثورة فى مسرح الطفل فى أعمال السيد حافظ – د. رشا دياب كلية التربية النوعية – جامعة طنطا – جمهورية مصر العربية.

كتب ودراسات مسرحية عن أعماله فى المسرح التجريبى والمسرح والتراث العربى :

- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشـكالية التأهيل في المسـرح العربي - صـليحة حسـني - بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسـانية - المغرب. الناشـر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب الفلاح في المســرح العربي - نموذجًا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للســيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول -المغرب الناشــر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسـرح السـيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفاري- منصــورية مباركي - وجدة - المغرب. الناشــر مركز الوطن العربي ١٩٨٩.
- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجًا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.

- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي.
- السيد حافظ نموذجًا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الأول -١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجًا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول- وجدة- المغرب - ١٩٩٦.
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجًا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ

١- الفعل الدرامى فى مسرح السيد حافظ - دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.

٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ فى المسرواية) "جزءان" د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٣- التنوع الدلالى فى مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل فى الوطن العربى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٥- تمظهر التجديد فى بنية السرد فى القصة القصيرة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٦- المسرح التجريبى بين المراوغة اضطراب المعرفة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٧- إشكالية الحداثة والرؤى النقدية فى المسرح التجريبى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
٨- السيد حافظ فى عيون الباحثين والنقاد الجزائريين د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٩- السيد حافظ فى عيون نقاد المغرب د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١٠- المشاكس د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١١- انحطاط العالم د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر.
١٢- تمثيل العالم د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر.
١٣- التأثيث المكانى فى رواية ليالى دبى شاى بالياسمين – د. محمد زعترى - الجزائر.
١٤- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٥- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية – د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية ٢٠٢٠م
١٦- السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات – إعداد الكاتب : أحمد حافظ - مصر - ط ٢٠٢٠م
١٧- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د . ناديه سعدونى ، الجزائر ط ٢٠٢٠م.
١٨- جمالية الكتابة المسرحية والسردية عند السيد حافظ أ.د. كمال الدين عيد ، مصر ،ط. ٢٠٢٠م.
١٩- الهجنة الأجانسية فى أعمال السيد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
٢٠- مملكة السرد " دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م
٢١- معارك المسرح " دراسات في النقد المسرحى لنصوص السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط ٢٠٢٠م

<u>مشاركات</u>

- شارك في مهرجان
- قرطاج (تونس)
- مهرجان بغداد (العراق)
- مهرجان مسرح الطفل – الأردن
- مهرجان أبو ظبي
- مهرجان القاهرة
- مهرجان الإسكندرية
- مهرجان مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)
- مهرجان المونودراما الأول فى البصرة – العراق.

العنوان : ١٢ شارع طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة

موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩

E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com
http://sdhafez.blogspot.com
https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

فهرس